

تأريخ الإمبراطورية الفارسية القديمة ومراحل حكمها في العراق قبل الميلاد وبعده



شاكر مجید ناصر الشطري



عميد متلاعنة

هواياته: البحث في علم الأنساب العربية وعلم المصطلحات
السياسية..

وله من المؤلفات المطبوعة:

❖ قاموس العميد للمصطلحات السياسية

❖ تاريخ العرب والعشائر العراقية العربية والكردية

❖ وماذا بعد يا بغداد؟

❖ نساء في التاريخ

❖ أسماء وسميات في تاريخ العرب قبل القرآن

❖ فطاحل شعراء العرب قبل القرآن

❖ أخبار أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

❖ أخبار حياة أهل البيت عليهم السلام

❖ قاموس المعاني لأسماء العرب

❖ تاريخ العراق والعشائر العراقية (الجزء الثاني)

❖ القاموس السياسي العام

❖ قاموس المصطلحات العشائرية والنسبية للقبائل العراقية

❖ قبائل الجزيرة العربية أساس الحضارات البشرية

❖ أحداث في لسان التاريخ

❖ دليل المعرفة لأسماء وسميات في التاريخ اليهودي

❖ جمهرة الأسماء اليهودية وأثرها في تحقيق الأهداف الاسرائيلية

❖ الأسفار اليهودية وأثرها في تحقيق الأهداف الصهيونية

❖ أعلام وأقلام دونها التاريخ

❖ جدلية العرب العارية والعرب المستعرية في العقل والخلق في عربية القرآن الكريم

❖ تاريخ الإمبراطورية الفارسية القديمة ومراحل حكمها في العراق قبل الميلاد وبعده

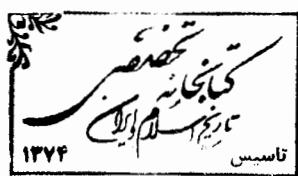
وله عدة مؤلفات أخرى تحت الطبع



تصميم المهندس اركان هاشم البخاري الموسوي

موبايل: 07702535359





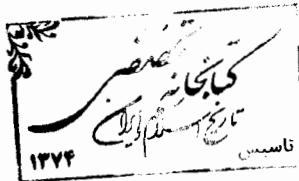
تاریخ الامپراطوریة الفارسیة القدیمة
ومراحل حکمها فی العراق قبل المیلاد وبعده

شاكر مجيد ناصر الشطري

SHAKIR AL-SHATRY

سلسلة العميد ٢١

تاريخ الامبراطورية الفارسية القديمة
ومراحل حكمها في العراق قبل الميلاد وبعده



منشورات مكتبة العميد

بغداد

رقم الإيداع في دار الكتب
والوثائق العراقية ببغداد

٢٠١٤ لسنة ٢٥١٢

الطبعة الأولى

٢٠١٥

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

البريد الإلكتروني Shakiralshatry@yahoo.com

الموبايل: ٠٧٩٠١٣٣٦٨٩٠

تصميم الغلاف والإشراف الفني: المهندس أركان هاشم عباس

الموبايل: ٠٧٧٠٢٥٣٥٣٥٩

البريد الإلكتروني: ahal1985@yahoo.com

مكتب العين للطباعة والاستنساخ

الإهداء

إلى من:

حملت مع أسمى اسمه ورباني صغيرا...

والى من:

سهرت الليالي وبالروح تفديني واعطت من روحها لحياتي...

والى:

رفقة دربي في السراء والضراء واعطت لي وأولادي من قلبها ما لا
اعطي مثلها...

والى من:

التفوا حولي وأبعدوا عنِي وحشة الطريق وعناء الزمن فلذات اكبادي
ونور عيني...

والى كل صديق و قريب يقرأ ويتذكر بأن العقل كالزناد كلما أهمل لا
يقدح ومتلما نغذي البطون نغذي العقول
إلى هؤلاء جميعاً أسألكم الدعاء...

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الناس ! إن الله تعالى أذهب عنكم نخوة
الجاهلية وفخرها بالآباء، كلكم لآدم وأدم من
تراب، ليس لعربي على أعمجمي فضل إلا
بالتقوى.

حديث شريف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق آدم من سلالة من طين وأخرج منه ذريته وجعلهم شعوباً وقبائل ليتذارفو، وأصطفى منهم نبيه وحبيبه محمد ابن عبد الله القرشي الصادق الأمين وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين.

وبعد:

من خلال تاريخ العراق القديم نجد ان أرض العراق كانت ولا تزال مطمع أنظار الدول القوية لأهمية موقعها الجغرافي والسياسي وثرواته الطبيعية لذاك نرى يد الفاتحين قد تناولتها ولعبت بها مطامع المنتصرين منذ أقدم الأزمنة وحل بها في أكثر الأحيان من الويالات والنكبات والمصائب مالا توصف، ومن هذه المعارك القديمة المعروفة في تاريخ العراق منها تاريخ الدولة اليونانية في العراق سنة (٣١١-١٢٦ق.م)، عندما كان العراق من ضمن الممتلكات الامبراطورية الفارسية، وعندما أنكسر الملك الفارسي (دارا) في واقعة (اربيل) محافظة اربيل حالياً وقد هرب الملك الفارسي وترك جميع البلاد العراقية (وادي الرافدين) وما فيها من أموال وخرائب مما سهل دخول الاسكندر مدينة اربيل ومنها سار إلى داخل الأرض العراقية قاصداً مدينة (بابل) وعندما دخلها خرج البابليون لاستقباله بثياب الفرح والاعياد وضرب الطبول وبدخوله سلمت له كل المدن العراقية وخضع لحكم الاسكندر كل من كان في بادية مابين النهرين من القبائل وذلك سنة (٣٣١ق.م) ولم يمكث الاسكندر في بابل إلا قليلاً فسار نحو بلاد فارس فأفتقها وظل يطارد (دارا) حتى وجده قتيلاً بجوار (بلخ) وبموت الملك (دارا) انفرضت تلك الدولة العريقة صاحبة المجد والفتحات وأصبح كل ما كان لها من البلاد والمستعمرات ملكاً لليونان. ثم قام الاسكندر بفتح قسماً من بلاد الترك وعاد إلى بابل ثم زحف نحو الهند سنة ٣٢٧ق.م ورجع ثانية إلى بابل سنة ٣٢٥ق.م، ويقي في بابل سنتين تقريباً من سنة ٣٢٥-٣٢٣ق.م، ولما حضرته الوفاة اجتمع برجال دولته وسألوه عن الذي يخلفه فقال (خليفي عليكم اجركم برعاية الملك ثم نزع

خاتمه وسلمه إلى (برديکاس) قائلًا: هذه لمن به الكفاءة ومات ذلك القائد الكبير وكانت مدة حکمه أثني عشر سنة تقريباً، وكانت وفاته في القصر الشرقي الذي بناه بختنصر ببابل على ضفة الفرات عند الجسر ولم يترك ورائه غير أمه (ليمیاس) وأخيه (أریدیه) وزوجتيه احدهما ابنت الملك الفارسي (دارا) ودفن في بابل ثم نقلت جثته إلى مصر من قبل (بطليموس) ودفنتها في منفیس حسب وصيته ثم نقلت الجثة مرة أخرى إلى الاسكندرية في أيام خلفه ويدرك المؤرخون انه على الأرجح مات الاسكندر مسموماً عام ٣٢٣ق.م، ولا يخفى على القارئ المتتبع بتاريخ الأمة الفارسية نجد أنهم كانوا من أقدم أمم العالم وأشدّها شوكة في الحروب والفتحات وهم من الشعوب الآرية وقد نزلوا أرض تدعى أرض العجم وأطلقوا عليها ایران وهم أقدم من خالط العرب من الأمم وأقدم من ساد وحكم العرب قديماً، ومن أجل ذلك كانت بين الأمتين العربية والفارسية منافسة شديدة وخاصة أيام الدولة الساسانية ولم يشترکوا مع العرب في دین واحد إلا عند ظهور الإسلام فكانت مدة حکمهم للعراق (١٤١ سنة ق.م) مدة حکم الفرس و (١٧٦ سنة) مدة حکم العرب قبل الإسلام وبعده (٦٠٠ سنة) مدة حکم المغول والترکمان واليونان والاتراك وعلى هذا الاساس تكون مدة الدول التي حکمت العراق منذ سنة (٧٠٠ ق.م) إلى سنة (١٩١٧م) تقدر (٨٩١٧ سنة) حسبما ورد في مصادر ومراجع التحقيق المرفقة في آخر الكتاب. كان الفراغ في مکتبة رابطة تحقيق الانساب لهذا التاريخ الفارسي حافزاً مؤثراً دفعني لإعداد وتألیف هذا الكتاب لسد الفراغ وإغناء الحاجة للباحث في تاريخ العراق عسى ان يكون مفیداً ومرشدأً لكل عربي آمن بوحدة أمته وعمل من أجلها واستعدب الموت في سبيل استعادة أمجاد أمته العربية لإعادة بناء دولته من المحیط الاطلسي إلى الخليج العربي لتخليص وطنه من الاستعباد والاستغلال والانحلال لبناء مجتمع الكفاية والعدل مجتمع الرخاء والازدهار والحرية والله من وراء القصد.

المؤلف

شاکر مجید الشطري

توطئة

للغرض تحقيق الغاية المتوكحة لمعرفة مراحل حكم الامپراطوريه الفارسیه القديمه لوادي الرافدين (العراق) التي حكمت قروناً عديدة وفي أزمان مختلفة قبل الميلاد وبعده وهذا ما يحتاجه النشأ الجديد من الشباب العربي لمعرفة تاريخ بلاده لذا يتوجب علينا لسهولة البحث أن نقسم مراحل حكم الدولة الفارسية القديمة إلى ثمانية مراحل وكما يلي:

- ١- الدولة العيلانية (الدولة الفارسية الأولى) في جنوبی العراق (٢٢٩٥-٢٢٨٧ق.م).
- ٢- الدولة الكيانيه (الدولة الفارسية الثانية) في العراق كله (٥٣٨-٣٣١ق.م).
- ٣- الدولة البرتيه (الدولة الفارسية الثالثة) في العراق كله (١٢٦-٢٢٦ ب.م.).
- ٤- الدولة الساسانيه (الدولة الفارسية الرابعة) في العراق كله (٢٢٦-٦٣٧م).
- ٥- الدولة البوبيه (الدولة الفارسية الخامسة) في العراق كله (٥٥٠-٩٤٥م).
- ٦- الدولة الصفويه الأولى (الدولة الفارسية السادسة) في العراق كله (١٥٣٥-١٥٠٢م).
- ٧- الدولة الصفويه الثانية (الدولة الفارسية السابعة) في العراق كله (١٦٣٨-١٦٢٠م).
- ٨- الدولة الزنديه (الدولة الفارسية الثامنة) في العراق كله (١٧٦٨-١٧٧١م).

فيكون المجموع الكلي لمدة حكم الفرس في العراق ما يقدر بـ (١٤١ سنة)
(أنظر التفاصيل في الجدول رقم ١ المرفق في الكتاب).

تمهید:

ما زالت حلقات السقوط في الأرض العراقية منذ القدم تشهد تداعي الكراسي وتساقط رقاب البعض تتدحرج بالسيوف وتسmil العيون وتسmil الابدان، ولا تزال سِمة حكام العرب قبل الإسلام وبعده تحول الدولة إلى اقطاعيات عائلية وتقسم المدن والاحياء على الأبناء والأحفاد وخزينة بيت المال حصصاً للوراثة والى وعاظ السلاطين، وليس الاستغراب في هزيمة الحكام والمتخاذلين وإنما الدهشة أن لا يتعرض عشاق المناصب والكراسي وعيدي السلطة من حكم التاريخ الذي لا يرحم والأكثر دهشة إن الشعب العراقي لا يتعرض من أن يصبح مخدوعاً لمرات عديدة وهو يردد في كل مناسبة المؤمن لا يلدع من حجر مرئين. وقد نعترف بأن شعبنا الطيب بطيء التغير سريع الفرزنة وبطيء الاستجابة ولا يكتثر لدروس الماضي وقد مرت أمتنا العربية المجيدة بفترات طويلة منذ سقوط بغداد على يد هولاكو عام ١٢٥٨م، والعراق لايزال يمر بعدة احتلالات متكررة وبسميات مختلفة في سبات طويل حتى غاصت الركب وما يزال الحكام العرب يصررون على ارتداء الحزام اللاصق على الكراسي حتى صار جزءاً من أعضائهم، ولكن ما لم يدركه الطغاة والمتخاذلين بحق أوطانهم وشعوبهم أن الزمن يعرّي أجسادهم ويسقط من على جلودهم ورقة التوت ليمشوا عراة تحت طائلة النهاية المحتملة والهزينة المضحكة المبكية على لسان التاريخ وللتاريخ لسان فيه الموعظة والعبرة لأولي الألباب وسيبقى الأمل معقوداً على الأجيال الصاعدة واللاحقة لتغيير الواقع الأليم والأمل المفقود وربما كلمة تغيير مسار التاريخ. أرجو أن أكون بعد هذا قد وفقت للوصول إلى الغاية التي آمل أن نستمد منها قوة الإيمان وقوة البناء لمستقبلنا الذي نتطلع إليه ونعمل جاهدين على تحقيقه والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلق الله محمد صلى الله عليه وآلـه وصحبه المنتجبين.

تاريخ الفرس القديم

يطلق الفرس على بلادهم أسم (ایران) وهي كلمة مشتقة من (أريان) الاسم الذي اطلق على أول من سكن وعاش في هذه الأرض التي كانت تدعى (بلاد العجم) وقد انقسمت ایران في الازمنة الغابرة إلى قسمين، القسم الاول أطلق عليه (فارس القديمة أو بلاد العجم) وتقع في الجنوب الغربي وهي بلاد الجبال والصحراء والوديان الخصبة المنعزلة التي يمكن فيها زراعة المحاصيل، وفي القسم الثاني الشمال من فارس القديمة تقع مملكة (ميديا) المنافسة التي تظم امبراطورية واسعة استولى عليها (الميديون)^(١)، من الآشوريين. وفي حوالي سنة ٥٥٥ق.م، استطاع (كورش) اول ملوك فارس القديمة أسر الملك (استياجس) ملك ميديا وبذلك فرض سيطرته على الامبراطورية (الميدية) وفي ذلك الوقت كان الفرس عدوان كبيران وهم (الليديون) في الغرب والبابليون في الجنوب وكانت ليديا تقع فيما يعرف اليوم بقرب تركيا، وفي سنة ٥٥٠ق.م، كانت بحكم موقعها الجغرافي تقف بين امبراطورية فارس النامية واليونان فإذا تمكن كورش من الاستيلاء على ليديا فإن الطريق سيكون مفتوحاً أمامه لغزو بلاد اليونان وفي سنة ٥٤٦ق.م، انهزم قارون ملك ليديا ومن ثم أصبحت ليديا والمستعمرات الاغريقية تحت حكم الفرس وقد كان قارون واحداً من أغنى ملوك العالم وتحوي بلاد العديد من مناجم الذهب وحتى اليوم تضرب به الأمثل في الثراء والغنى فيقال عن الغنى انه (غني مثل قارون) كان حلم كورش ان يقهر مملكة بابل على الرغم مما يقوله

(١) الميديون: سكان مديا أو ميديه أو بلاد ماري ويقال ماوي وهي التي عرفت أخيراً باذرستان والعراق العجمي معاً أقسامها شهرزور وحلوان وهم الميديون من الجنس الآري اخوان الفرس والانغان والارمن وغيرهم من الآريين ومن بقائهم الاكراد استولى عليها كورش وصارت جزءاً من بلاد فارس.

الناس بان بابل لايمكن ان تهزم إذ فيها من مخازن الطعام مايكفي للصمود امام أي حصار حتى لو طال عشرات السنين.

وفي سنة ٥٣٩ق.م، تقدم كورش نحو المدينة التي لاسبيل إلى اخترافها وذات ليلة بينما كان سكان المدينة منصرفين إلى حفل أقيم لهم في أحد القصور الفخمة مما دفع كورش وبعض رجاله الأشداء الاندفاع لمسافة قصيرة في نهر الفرات وقام بهدم جسور النهر وحولوا مجراه إلى منخفض قريب وبذلك سبب توقف تدفق مياه النهر واستطاع رجاله إلى الزحف على طول قاع النهر الجاف إلى داخل المدينة واستولوا عليها تماماً مما حقق المفاجئة والمباغة ضد أعدائه وبعد فوات الامان تنبه الحاكم البابلي المدعو (بك زاد) إلى نبوءة هزيمة بلاده كما ورد في سفر (دانيال-الاصحاح/٥ - الآية من ٣١-٢٥) ولكن سكان بابل عوملوا معاملة حسنة مما كسب ودهم ورضاهم ونودي بكورش ملكاً على بابل وأصبح يلقب (ملك العالم ملك بابل) مات كورش سنة ٥٢٩ق.م، ودفن بالمدينة الملكية (باسارجاديا) وقد خلفه من بعده في الحكم ولده (قمبیز) وكان هذا ملكاً فظاً وعنيداً ولكنه كان موقعاً في حكمه خلال السنوات السبع لحكمه مما أضاف إلى الامپراطوريه الفارسیه كلاً من فينيقيا وقبرص ومصر. بعد حوالي سبعة سنوات من الحكم والانتصار ثم مالبث الملك الفارسي قمبیز إلا ان جن وقتل سنة (٥٢٢ق.م) وتولى من بعده ولده (دارا الملقب بدارا الاول الذي كان يأخذ الاتاوات من مستعمراته في بحر أيجه ولكن هذه المستعمرات رفظت تقديم هذه الاتاوات فأرسل دارا مبعوثاً إلى مستعمراته وطلب ان يبعثوا له من هناك (ماء وتراباً) من أرضهم ولكن سكان المستعمرات في بحر أيجه رفضوا ذلك إذ رأوا ان ذلك رمز لاستسلامهم لأن الماء والتربة رمز الوطن فقتلوا رسل الملك (دارا) وألقوا بهم في بئر بعد ان قالوا لهم هناك في البئر التراب والماء وعلى أثر ذلك أرسل دارا

أسطولاً إلى بحر أيجه ولكن رياحاً عاتية أغرفت الاسطول ومن فيه من قوات دارا بالقرب من جبل (أثوس) على الساحل وبعد سنتين أرسل الفرس أسطولاً آخر أضخم من سابقه وتوجه إلى بحر أيجه بالقرب من (ماراثون) وما ان سمع الاثنين بوصول الاسطول الفارسي حتى أرسلوا جيشاً قوامه عشرة الاف مقاتل وأحاطوا به سهل ماراثون^(١)، وأشتبك الجيشان فهزم الفرس وأدرك المدن اليونانية ان عليها ان تتوحد ضد الاعداء الغزاة فوضعت معااهدة اتحاد سميت (العصبة الدليانية) وبعد وفاة الملك دارا تولى الحكم من بعده أبنه (اكساركيس) العرش وحاول الاستمرار فيما أهمله أبوه ففي سنة ٤٨١ ق.م، حشد جيشاً عظيماً وأسطولاً ضخماً من جميع اجزاء الامبراطورية وبنى جسراً من الزوارق حتى يستطيع جيشه العبور من اسيا إلى اوروبا ويقول (هيرودوت)^(٢) ان الجيش الضخم قد استغرق سبعة ايام بليلتها في عبور (هيليسبرونت) ولقد حفر كسرى قناة طولها حوالي مليوني ميلين بالقرب من قرية (نيا روده) ليتجنب شبه جزيرة (أثوس) حيث تحطم اسطول ابيه واثناء عبور الفرس ممر (ثرموبولي) ظهر لهم (٣٠٠) اغريقى معظمهم من اسبرطة تحت قيادة (ليو ثيداس) فحاربوا بشجاعة حتى آخر رجل لكنهم عجزوا عن صد الفرس وبطول صيف ٤٨٠ ق.م. استولى الفرس على اثينا ولكن الاستيلاء على اثينا لم يكن نهاية للأغريق ففي المعركة البحرية عند (سلاميس) تحول التيار آخرأ في صالح الاغريق وهزم الفرس وهرب الملك الفارسي مع جيشه إلى الشمال تجاه (هيلوسبرونت) وكان يراقب المعركة من تل

^(١) ماراثون: أرسل الاثنين احد العدائين الرياضيين واسمه (فيديبيس) إلى اسيوط طلباً للنجدة ومن هنا جاء اسم (سباق الماراثون للمسافات الطويلة). تخليداً لذكرى البطل الالايني الذي

دافع عن مدنه بكل هذه البسالة والتضحية وكانت هذه المعركة في سنة (٤٩٠ ق.م)

^(٢) هيرودوت: مؤرخ اغريقى ولد باسيا الصغرى (٤٨٤-٢٥٤ ق.م) ويعتبر أبو التاريخ.

مطل على البحر وكان قد خسر القائد الفارسي قضيته عندما هزم جيشه في معركة (بلاطاي) وبذلك أفلح الملك عن محاولته هزيمة الاغريق وأنصرف مع باقي جيشه لإكمال الانجازات وتعمير بلاده في (برسيبولييس) التي بدأها أبوه (دارا) وأخيراً قتل عام ٤٦٤ق.م. وكان مقتل (اكساركيس) علامة على بداية الافوال والانهيار السريع لدولة فارس وتبع ذلك قرون من الفوضى وفي سنة ٢٣٠ق.م. دحر الاسكندر الأكبر الفرس في معركة (جوجاميلا) وقتل آخر ملوك فارس (كودومانوس) وهو في طريقه إلى (باكتريا) بعد هروبه من المعركة ومن ثم سقطت امبراطورية فارس بين يدي أعدائهم القدامى الاغريق.

الدولة العيلامية (الدولة الفارسية الأولى)

قديماً كانت أمة من الفرس تدعى بالامة العيلامية تسكن في الإقليم المعروف الآن (بخوزستان) المسمى قديماً ببلاد عيلام^(١)، وكان لها منزلة رفيعة بين أمم الشرق وسماهم العرب (بني غليم) وكانت الدولة العلامية محاطة ببلاد الكلدان وببلاد مادي (ميديه) وببلاد فارس وتحتوي على عدة مدن أشهرها مدينة (شوشن) أو شاشان القديمة^(٢)، عاصمة تلك المملكة إلا أنها كانت أحياناً تتسع ومرة تتقلص و أخرى تخضع لسيطرة جارتها مملكة أور في جنوب العراق. ولمجاورتها لجنوب العراق كانت لها عدة روابط معها ولكنها لم تكن لتطعم في جارتها القوية حتى إذا ما ضعفت مملكة أور الشهيرة في التاريخ وشعر العيلاميون في أنفسهم قوة طمعوا بأرضها الخصبة الكثيرة الخيرات فحملوا عليها في القرن

^(١) ويعرف بعرستان ولورستان وجبال البختارية وسماء العرب بلاد الاحواز وعرفه اليونان وتسمى (ديوس بوليتيس) وهو اليوم جزء من الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

^(٢) ونسمى شوشن والسوس وستر وستر وشوشتر وهي ششتر الحالية.

الثالث والعشرين قبل الميلاد وبعد حروب جرت بين الامتيين استولى العلاميون على مملكة أور ودخلوا عاصمتها (أور) وآسروا ملكها (أبي سين) بن جبل سين آخر ملوك السلالة الثالثة لملوك أور وساقوه أسيراً إلى عاصمتهم شوشن واستولوا على جميع مدن تلك المملكة وفرضوها بعد ان كانت مستقلة في جنوب العراق وكانت أور حينذاك لها منزلة رفيعة عند العراقيين لعظم مركزها الدينى والتجاري ومركزأً للصناعة والفنون وفيها هيكل (آنون ماخ للالهة القمر ورفيقه الذي تم تدميره في هذه المعركة واستولى العلاميون على جنوبى العراق أو على مملكة أور الكلدانيين بعد حروب دامت بينهم وبين الكلدانيين في الوقت الذي كان فيه العراق منقسمأً إلى قسمين القسم الاول: الجنوبي المسمى بملكه أور أو بلاد الكلدان أو كلدو. والقسم الثاني الشمالي المعروف بملكه بابل أو بلاد بابل^(١)، وكان كل قسم مستقل بنفسه غير ان الجنوبي كان قد فاق الشمالي بالمدنية والعمران وشتهر بالتجارة والزراعة والفنون. وبعد ان نمى أمر تلك الأمة الفارسية في الجنوب حاولت الاستيلاء على الشمال ولكنها عادت بالفشل بعد ان تمكنت بمحاجتها من دخول مدينة (اوروق) (الوركاء) التي هي من البلاد الشمالية أو من مملكة بابل الراضخة لحكم السلالة السامية أو الدولة البابلية الاولى التي أسسها سامورأبى سنة ١٦٤٠ق.م. وقد نهبت كنوزها وآثارها من جملتها تمثال الالهة (نانا) شفيقة مدينة أوروق وأرسلت الجميع إلى شوشن وأودعت هذا التمثال في هيكلها وبقي جنوبى العراق في قبضة تلك الأمة القارسية لحين قيودم سادس ملوك الدولة البابلية الاولى أو الدولة السامية لعصر الملك حمورأبى سنة ٢٢٣٢-٢٢٨٧ق.م) فحمل عليهم بجنوده وطردهم من بلاده ولم يكتف بذلك

(١) لم يطلق اسم كلدوا أو كلدانية أو بلاد بابل على جميع العراق إلا بعد ان أسس الملك (بنوبلاصر) الدولة البابلية الثانية سنة ٦٢٦ق.م.

بل طاردهم حتی دخل عاصمتهم شوشن ولم يعد لمفره إلا بعد ان أخضع عدوه لسيادته وأرجع تمثال الالهة (نانا) إلى هيكل مدينة أوروق ويقال في رواية اخرى أن آشور بانيبال ملك آشورية هو الذي استرجع صورة الالهة نانا إلى مقرها في اوروك (اوروك) بينما حارب العيلاميين وانتصر عليهم سنة ٤٤٥ق.م. هذا ما وجد من بين الابحاث التاريخية الحديثة المستند إلى الآثار المستخرجة من موقع المدن العراقية القديمة غير ان المؤرخين قد اختلفوا في السنة التي استولى العيلاميون فيها على مملكة اور غير ان الدولة العلامية لم تحكم جنوبی العراق غير مدة وجيزة فطردهم الملك حمورابي عندما قویت شوکته وملك العراق كلہ ولم يقف عند ذلك الحد بل انه اخضعهم لسيادته كما تقدم وليس هذه المرة الاولى التي خضع فيها العيلاميون لمملوك العراق بل انهم خضعوا مراراً لسيادة ملوك هذا القطر في أزمان مختلفة ومن ذلك ان الملك سرجون الاکدي السامی الذي ملك سنة ٢٨٧٢ق.م. كان قد ادخلهم تحت سیادته كما ان الملك (اناتوم) الذي ملك سنة ٣٩٠٠ق.م. وهو كان احد ملوك لجش حاربهم واخضعهم لحكمه علماً لم تكن ديانة العيلاميين حينئذ تختلف عن ديانة الكلدانيین في شيء عن عبادة الكواكب والعبادة التي اتخذتها هذه الامتان تماثيل وبنوا لعبادتها الهیاکل العلمیة في المدن وقد كان الاله شمسا (الشمس والاله القمر وغيرهما يعبدون في مدن العيلاميين) كما يعبدون في مملكة اور وبعد ان ظل العراق مزدهراً في عهد الدولة البابلية الاولى التي جمعت شمله ووحدت كلمته وأعلت شأنه انعكس الأمر عند سقوط تلك الدولة واضطربت شؤون العراق وأصبحت البلاد منقسمة على نفسها وصارت عدة ممالك أو دول صغيرة عديدة كل واحدة منها قائمة بنفسها وكثيراً ما كانت البلاد من سلالة إلى أخرى ومن بيت إلى آخر وبعد ذلك أشتد الخلاف بين أهل البلاد وطمع بهم أعدائهم فعاد العيلاميون إلى طمعهم في جارتهم وأعلنوا الحرب

عدة مرات على أهل هذا القطر وشنوا الغارة على المدن العراقيه في أزمان مختلفة ونهبوا بعض المدن وفتوكوا بأهلها ومن تلك المدن نبور وأوروق ومن ملوكهم الذين أغروا على العراق الملك (شتروك ناخونتا) فإنه شن الغارة على هذا القطر سنة ١٩٠ ق.م. وغنم غنائم نفيسة من البلاد من جملتها شريعة حمورابي فإنه نقلها إلى عاصمة شوشن ولما أستحكم الشقاق بين أهل البلاد واختفت كلمتهم حمل عليهم الآشوريون^(١)، وخضعوهم لسيادتهم وظلوا تحت سيطرتهم قرونًا جرت في خلالها حوادث خطيرة وانقلابات غريبة حتى قامت الدولة البابلية الثانية التي أسسها نبوخذننصر ودامـت (٦١١-٥٣٨ق.م) فـتم لـمـ الشـمـلـ وـعـادـ العـزـ وـالـقـبـالـ إـلـىـ هـذـاـ القـطـرـ وـعـلـاـ شـائـهـ فـيـ عـهـدـ الـمـلـكـ نـبوـخـذـنـصـرـ،ـ غيرـ انـ شـمـسـ ذـلـكـ العـزـ أـفـلـتـ بـظـهـورـ كـورـشـ الـفـارـسـيـ الـذـيـ قـوـضـ تـلـكـ الدـوـلـةـ بـعـدـ انـ عـاشـتـ ٧٣ـ سـنـةـ تـقـرـيـبـاـ.

الدولة البابلية

(الدولة الفارسية الثانية للعراق سنة ٥٣٨ - ٣٣١ ق.م)

ظهر أمر كورش الثاني الملقب بكورش الأكبر في أواسط القرن السادس قبل الميلاد سنة ٥٥٢ ق.م. فنهض كورش الأكبر بقومه الفرس وأخضع الميديين والعيلاميين بعد أن دانت له فارس فتوح ملكاً وأصبح امبراطوراً على هذه الأقاليم

(١) كان الآشوريون تحت سيادة البابليين ولكنهم تمكوا لخيراً من التخلص منها ثم قويت شوكتهم وصارت لهم دولة عظيمة أشتهرت في التاريخ وقام منهم ملوك عظام أخضعوا لحكمهم بلاد بابل وغيرها. أما أصلهم فإنهم فرع من أهل بابل أو الكلدان وكانوا قد نزحوا إلى ذلك القطر وظلوا قرونًا تحت حكم الكلدان ثم استغلوا إدارياً وظلوا خاضعين لسيادة الكلدان حتى إذا ما ضعف أمر البابليين استغلوا تماماً ولم يمض زمن طويلاً حتى صارت لهم دولة كبيرة أخضعت عدة أقطار وخلدت لها ذكرأً عظيماً في التاريخ القديم.

الثلاثة (فارس وميدية وعيلام) وأسس دولة الكيانيين المشهورة وعلى آثر ذلك تحالفت مملكة بابل ومصر ولديا^(١)، على هذا الفاتح فلم يغنى تلك الممالك ذلك التحالف الثلاثي لأن كورش حمل بجيوش الفارسية على الليديين أولاً وفرض دولتهم سنة ٦٤٥ق.م، وتوغل في آسيا الصغرى إلى مملكته بلاد مستعمرة الاغريق التي كانت على شواطئ آسيا الصغرى ثم فتح بخارى ومردو وديار الافغان وبلوجستان ثم حول نظره إلى مملكة بابل فحمل عليها سنة ٥٣٨ق.م، بجيش جرار فخرج للدفاع بلطشاصر بن الملك البابلي (بنيوناهيد) وبعد عدة معارك انكسرت في جميعها الجنود البابلية ووقع ابن الملك (بطشاصر) قتيلاً في المعركة الأخيرة وأنهزمت جيوشة وتحصنت في عاصمة الملك مدينة بابل فألقى الحصار عليها كورش بعد أن استولى في طريقه على مدن عدة وبعد حصار طويل دافع في خلاله البابليون دفاع الابطال استولى كورش على بابل عنوة وأسر الملك (بنيوناهيد) وأهله وساقهم إلى كرمان ومات بعد أيام قليلة في الأسر وعلى آثر سقوط مدينة بابل عاصمة العراق سلمت جميع المدن العراقية لكورش في السنة نفسها سنة ٥٣٨ق.م، وانقرضت الدولة البابلية الثانية أو المملكة الكلدانية على يد الفاتح بعد أن دامت ٧٣ سنة كما تقدم.

دخل كورش مدينة بابل كما يقول المؤرخون دخول منفذ ومصلح فلاقوه أهلها بالتهليل والتصفيق شأنهم مع كل فاتح فأظهر لهم الولاء والرقة والرأفة وعطف عليهم وبالغ في احترام دياناتهم وعاداتهم وأطلق لهم الحرية التامة في التنقل والعمل والدين وأبقى قوانين البلاد وشرائعها على حالها واقتدى بملوكهم

(١) لديا تطلق على إقليم الاناضول الغربي وهي مقاطعة كبيرة فيها بلاد كثيرة وكانت عاصمتها مدينة (سارد) وقد استولى عليها كورش فجعلها عدة امارات ثم استولى عليها الاسكندر والسلوقيين والروم.

الأولين وقرب للالهة القرابين وقدم لهم التحف. وكورش على دين زرداشت الذي ظهر بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد وهذا يدل على جانب عظيم من السياسة والدهاء وأتخذ لقب ملك بابل لنفسه وعمل كل من شأنه ان يجذب اليه قلوب البابليين ولم يخرب شيء من بلادهم وبقيت المدن جميعها زاهرة وعاصمة ولم يشتهر كورش بسياسته الرشيدة ومراعاته لعواطف الشعوب بل انه أشتهر بتنشيط التجارة وتوسيع الزراعة كما أشتهر بالفتحات والانتصارات لذلك تتمتع أهل العراق في عهده بالحرية التامة وكثُرت ثروات بلادهم وحفر لهم الترع والانهار ومبانيه من العدل والأمن في أنحاء البلاد وبعد ان ثبت حكمه في العراق أناب عنه نائباً فيها أحد قواده وسار بجيشه قاصداً سوريا فأفتحتها ثم فتح فلسطين سنة ٥٣٦ق.م، واصدر أمرًّا بطلاق حرية اليهود الاسرى في بابل من عهد الملك بختنصر وأذن لهم بالرجوع إلى وطنهم اورشليم وبناء الهيكل وولى على فلسطين (زربابل) أحد أحفاد (يهوياكيم) ولقبه بلقب (الحاكم) فسار من العراق نحو السنتين ألفاً منهم إلى وطنهم واختارت جماعة منهم السكن في العراق ومات كورش ذلك الفاتح العظيم والسياسي سنة ٥٢٩ق.م، ودفن في عاصمته شوشن.

الدولة البرتية

الدولة الفارسية الثالثة في العراق

(٢٢٦ - ١٢٦) بعد الميلاد

عندما ضعفت الدولة السلوقية اليونانية التي قامت على أنقاض دولة الاسكندر الذي فرض الدولة الكيانية أغتم (البرتيون) من سكان البلاد الجبلية في شرق بحر قزوين الذين كانوا سابقاً خاضعين للأشوريين والميديين والفرس ثم للاسكندر الكبير ثم للسلوقيين الفرصة لضعف الدولة اليونانية نهض فيهم زعيمهم

المدعو (أرشك) او (ارشاق) فأجتاز بقومه بلاد البرترين سنة ٢٥٠ ق.م، وخرج على السلوقيين ثم أعلن استقلاله سنة ٢٤٨ ق.م، وأسس الدولة البرتية^(١) تيمناً لاسم إقليمهم الأصلي وهو (برتيه) وهي خراسان الحالية وعرفت أيضاً بالدولة الأرشكالية نسبة إلى زعيمهم ومؤسس دولتهم أرشك ومات في السنة التي أعلن استقلاله فيها بعد أن حكم لمدة سنة واحدة ويقال مات قتلاً وأنه من نسل دارا وظل اعاقبه يوسعون مملكتهم بما كانوا يفتحونه من بلاد الدولة السلوقية اليونانية حتى أصبحت دولته واسعة الأطراف ثم حملوا على العراق سنة ٤٣ ق.م، وبعد حروب استمرت أعواماً بين تلك الأمتين البرترين واليونان حتى احتل العراق سنة ١٢٦ ق.م، في عهد ملکهم (مهر داد السادس) (١٢٦-١٧٥ ق.م) وأخذوا مدينة سلوقية التي بناها سلوقيس الأول اليوناني على الضفة اليمنى من دجلة عاصمة لهم بعد أن فتكوا بأهلها لحزبهم للسلوقيين ثم بعد ذلك بنوا مدينة جديدة لهم سموها (قطيسفون) وجعلوها عاصمة لهم بدلاً من سلوقية وعند الفتح الإسلامي سماها العرب طيسفون وسموها اليونان (اكتسيسيفون).

فكان نظام حكومة البرترين ونظامهم مختلف باختلاف الأقوام والأقاليم وكانت دولتهم تقسم إلى ممالك صغيرة ومقاطعات مستقلة ولكن لكل واحدة منها ملك يحكم عليها ويُخضع للملك البرتي المقيم في المدينة العاصمة (اكتسيسيفون) وهي أشباه الولايات المتحدة ومن تلك الممالك الصغيرة التي كانت في العراق إمارة (ميشان) التي كانت في البصرة وإمارة (حطارا) في تكريت وإمارة (حديلي) في وإمارة الحيرة والتي كانت في أبي صخیر وهي حكومة عربية أسسها (مالك بن فهم المتنوفي سنة ١٣٨ م) وهو أول ملك على العرب بأرض الحيرة أصله من

(١) البرتية: عرفت بهذا الاسم نسبة إلى إقليمهم الأصلي برتة وهي خراسان الحالية وعرفت أيضاً بالدولة الأرشكالية نسبة إلى زعيمهم (أرشك) واستقل ببلاد فارس كلها سنة ٢٥٥ ق.م.

قططان هاجر من اليمن بعد سيل العرم مع قومه فنزل بالعراق وابتلى بستانًا في الحيرة وعاش فيها نحو عشرين سنة حتى قتله سلمة بن مالك غيلة^(١). وبعد أن تم أمر الدولة البرتية في بلاد بابل أطلقوا لأهلهما الحرية التامة في كل شيء وابقوا قوانين البلاد وشرائعها على ما كانت عليه قبلًا ولم يعترضوا ببياناتهم وعبادتهم ومنحوا البعض المدن استقلالاً إدارياً وبعضاها استقلالاً سياسياً ولكنهم جعلوا على العراق حاكماً عاماً فارسياً يدير شؤون تلك المدن المهمة تحت اشراف الملك البرتى المقيم في اكتسيفون، وفرضوا على كل مدينة ضريبة سنوية تؤديها للحكومة المركزية وبذلك تمنع العراقيون بالحرية التامة وعمرت بلادهم وكثرت ثروتهم ولم يكن عند البرترين أي فرق بين دين وآخر ولا تعصب حتى دينهم الزرديشي الذي كانوا عليه، إلا أنه كانت تحدث بين ملوك سوريا وبين البرترين الملوك بعض الحروب التي كاد يتغير بعض شررها على أبناء الرافدين. ولكن البرترين حاولوا التسلط على سوريا كما حاول السلوقيين اليونان ملوك سوريا الذين طردوا من العراق حاولوا أرجاع العراق فسببت تلك المطامع حروب دامت أعوااماً طوالاً خسرت فيها الدولتان خسائر فادحة أصيب بسببها أبناء الرافدين ببعض النوايب، ولما انقضى عهد السلوقيين في سوريا سنة ٦٤ق.م، وقام فيها الرومانيون طمعوا في العراق كما طمع البرترين في سوريا فامتدت من أجل ذلك بينهم الحروب وأكثرها كانت تقع فيما بين النهرين ولكنها كانت في أول الأمر سجالاً بين الأمتين ثم صار النصر حليف الرومان وحمل طريانوس الإمبراطور الروماني سنة ١٤م بجيش كبير على البرترين في أيام الملك خسرو الذي سماه

(١) انظر المزيد في المختصر في أخبار البشر ١/٦٩ ومروج الذهب ٣/١٨٢ وتاريخ اليعقوبي ١٦٩ ونهاية الأدب ١٥/٣١٥ وجمهرة الانساب ٣٥٨ والسبائك ٧٥ والعرب والعرب قبل الاسلام ١٧٣.

بعضهم (ارشاق الرابع والعشرين) فانتصروا عليهم وتغلب الإمبراطور في بلادهم حتى استولى على سواحل دجلة من جبال ارمينيا إلى خليج فارس سنة ۱۱۵ م واستولى على سواحل مدينة سلوقة واكتسيفون وغيرها من مدن العراق وزعزع أركان الدولة البرتية وكاد يقضي عليها إلا أن الملك البرتني خسروا تمكن أخيراً من جمع جيوشه المتفرقة وحمل على الرومان وأخرجهم من بلاده فعادوا بالفشل ولم تمض أعوام قليلة حتى عادت الحرب بين الدولتين سنة ۱۶۴ م، فانتصر الروم أيضاً وتوغلوا في العراق وحاصروا عاصمة الملك اكتسيفون سنة ۱۹۵ م، وعادت الحرب فاندحر البرتنيون وتقدم الرومان في العراق وتمكنوا من الاستيلاء حرباً على اكتسيفون فنهبواها وظل البرتنيون تارة ينتصرون على الروم وأخرى يندحرون أمامهم ومرة يعقدون الصلح معهم حتى انتهت أكثر مدتهم في نزاع وحروب عدا ما كان يحدث أحياناً من الفتن الداخلية التي كانت تقوم تارة بين الأسرة المالكة لتنازعهم على الملك وأخرى من الشعب فيختل النظام وتضطرب أمور المملكة وتؤدي ذلك إلى خلع الملك أو قتله وأخذت الدولة تتحط عاماً فعاماً وزالت هيبيتها وطمع بها الأعداء وكان آخر ملوكها اردون الرابع (۲۲۶-۲۱۶ م). وعندما جلس اردون الرابع على العرش كانت الدولة قد أنهكتها الحروب الخارجية والفنين الداخلية كما تقدم ذكره فأغتنم الرومان فرصة تلك الفتن والاضطرابات المتولدة حتى حمل الإمبراطور الروماني (قرافلا) على مابين النهرين سنة ۲۱۶ ثم خلفه (مرقيا نوس) سنة ۲۱۷ م صلحًا مع اردون ولكن الدولة البرتية لم تك تستريح من الحروب الخارجية حتى ثار الفرس سنة ۲۲۴ م بزعامة اردشير بن بابك من آل سامان وكان من كبار القواد في تلك الدولة وعزم على محو تلك الدولة التي حكمتهم مدة خمسة أجيال فاندحرت جيوش اروان الرابع وأعلن اردشير ملوكته المستقلة في منطقة باختراء وسمى نفسه ملكاً وبعد ان

انتصر اروشير انتصاراً باهراً بعد ان مزق جيوش الدولة البرتية وافتتح العراق وغيره من الأقطار التي تحت حکمهم فدخل عاصمة الملك اكتسيفون سنة ٢٢٦م، واستولى على جميع ما كان ل تلك الدولة البرتية وانهزم الملك البرتی اروان الرابع الى جبال ارمینیا وقتل في أحد المعارك الأخيرة فانقضت تلك الدول البرتية التي أسسها (أرشك) بعد ان دامت ٤٧٤ سنة من (٣٧٣-٢٤٨م) وضمت مدن إیران الحديثة وأکثر بلاد الأفغان وقسمها من تركيا، وآسيا وأقاليم أخرى من الأماکن الروسية والعراق وبلاد آشور وبلاد مادي من ضمنها كردستان وبلاد ما بين النهرين (الجزيرة) وحكمت العراق نحو ٣٥٢ سنة وعدد ملوكها الذين حکموا العراق (٢٠) أولهم مهرداد السادس وآخرهم ارودان الرابع كانوا يلقبون بألقاب كما لقبوا ملوك الروم بالقياصرة وكما كان الساسانيون يلقبون بالأکاسرة.

الدولة الفارسية الرابعة في العراق

(الدولة الساسانية)

الدولة الساسانية او ما يطلق عليها الفارسية الرابعة سنة (٦٣٧-٢٢٦م)، عندما استولى الملك الفارسي اردشير بن بابك على العراق بعد ان قُضى على الدولة البرتية وأسس الدولة الساسانية او دولة الأکاسرة الشهيرة في التاريخ قام بتنظيم إدارة البلاد العراقية وولى عليها الولاية ولم يتعرض بديانة العراقيين ولا بعادتهم واقر قوانين البلاد على حالها ولكنه اضطهد اليهود بسبب مساعدتهم للبرترين أثناء الحروب التي قامت بينه وبين البرترين في العراق وأقر على الحيرة وما يليها ملکاً على العرب^(١). وبقي العراق في هدوء حتى مات اردشير سنة

^(١) الملك العربي جذيمة الوضاح الذي كان مخالفاً له قبل فتح العراق.

٢٤١م، بعد ان حکم خمسة عشر سنة (٢٢٦-٢٤١م) ومات هذا الفاتح والدولة الساسانية التي أسسها في دورة التأسيس ولم يفتح بعد العراق غير بلاد ما بين النهرين التي أعلن الحرب من أجلها على الروم في عهد القيصر (الكسندر سوپيروس) وأخذ منه جميع تلك البلاد ثم وسع حلفاؤه الملك بفتحات جديدة حتى صارت هذه الدول من أعظم دول الأرض في تلك الأزمنة. وتولى بعد ارشير الأول ابنه شابور الأول (٢٧٢-٢٤١م) الذي أدخل القسم الأعظم من جزيرة العرب تحت حماية الفرس وبنى في العراق مدينة تكريت التي صارت بعد حين مركزاً للعقاب النصارى وظهر في أيامه (ماني) المشهور الذي أدعى النبوة في بلاد فارس وشابرور هذا هو الذي أسر ملك الروم قيصر وأرسله أسريراً إلى بابل بعد حروب شديدة استمرت أعواماً بين الدولتين ولكنه أندحر أخيراً أمام (أذنيه الثاني) العربي ملك تدمر الخاضع لسيادة الرومان حتى استردت منه باسم الرومانيين جميع بلاد الجزيرة وظل يطارده حتى دخل العراق وحاصر مدينة سلوقة سنة ٢٦١م، ثم رجع بمن معه من جيوش العرب والروم لاختلال حدث في المملكة الرومانية.

وتولى بعده ابنه (هرمز) الأول سنة ٢٧٢م، ثم بهرام الأول سنة ٢٧٣م، وهو الذي قتل ماني وسعى في محو مذهبة من بلاد فارس وأعلن الحرب على الروم فأخذل أمامهم فطاردوه إلى العراق واستولوا على مدينتين سلوقة واكتسيفون ثم رجعوا إلى ما بين النهرين وخلفه بهرام الثاني سنة ٢٧٦م. ثم بهرام الثالث سنة ٢٩٣م، فلم يملك غير أربعة أشهر فتولى في السنة نفسها نرسى بن بهرام الثاني وهو الذي حفر في العراق بنواحي الكوفة نهر الترس الذي يأخذ من الفرات وهذا النهر هو الذي كراه الحاج بن يوسف أمير العراق في عهد الأمويين فسمى نهر النيل وفي أيامه جعل نهر الخابور حدأً فاصلاً بين العراق

والروم او بين المملكة الفارسية والمملكة الرومانية آنذاك وتولى بعده هرمز الثاني سنة ٣٠٢-٣٠٩م، وفي كل هذه المدة لم يحدث في العراق أي اضطراب او احتلال. وعندما تولى شابور الثاني بعد هرمز الثاني سنة ٣٠٩ ولصغر سنه نصب الفرس وصيأ عليه ليتولى شؤون المملكة فساعت الأحوال بدء وكثرت الأضطرابات في المملكة حتى طمع العرب فيها وجاء منهم عدة قبائل من البحرين وغيرها عبروا خليج فارس وأخذوا يشنون الغارات على الأطراف وأغارت قبيلة ایاد على سواد العراق ونهبت وغنمته وظل العراق أعواماً وخصوصاً ایاد معادين للفرس لا يقاتلونهم فلما بلغ شابور السادسة عشر تسلم زمام المملكة بدء بآدائه القريبين منه وهم العرب الذين في العراق فتعمد أذاهم وآخرتهم من بلاده وخصوصاً قبيلة ایاد التي قال فيه شاعرها:

قَبَابِ اِيادِ حَوْلَهَا الْخَيْلُ وَالنَّعْمَ

عَلَى رَغْمِ سَابُورِ بْنِ سَابُورِ اَصْبَحَتْ

وعلى هذا الوضع الحاقد ضد العرب تمكّن شابور من الفتك بالعرب فقتل من ایاد ومن تميم عدداً كبيراً وشنّت جيوشه حملات إبادة ضد العرب ففر بعضهم إلى الروم وبعضهم إلى البحرين وغيرها فطارد شابور من في البحرين فقطع الخليج الفارسي وفتك في البحرين واليمامه ثم سار إلى الإحساء والقطيف وفكّ بهم ثم عاد وحمل على ديار بكر ومن يخالف يخلع الاكتاف فأراد العرب الذين فروا إلى الروم أن ينتقموا من شابور فاتفقوا مع الروم في عهد الملك (قسطنطين الأكبر) وزحفوا معهم على الجزيرة فأتسع الخرق عبر الجزيرة وجرت بين شابور وبين الروم عدة وقائع أنهزم في آخرها الفرس فطاردهم الرومان والعرب حتى استولوا على مدينتهم اكتسيفون وغنموا ما فيها فأضطر الملك الفارسي إلى تأليف جيش جديد فتمكن من استرداد المدينة حتى أخرجهم من العراق وطاردهم حتى

اضطر الروم الى مصالحته وإرجاع مدينة يصيبين له، وعندما تولى عرش الروم (بوليانيوس) حمل على الفرس سنة ٣٦٣م، وعبر نهر دجلة وتغل في البلاد حتى اقترب من اكتسيفون فأقيمه جيوش شابور وبعد معارك هائلة انكسرت الجيوش الرومانية وقتل ملكها. علماً ان اضطهاد شابور لم يكن قاصراً على عرب البايدية بل شمل سكان المدن ومنهم النصارى الذين كانوا منتشرين في المدن العراقية وكذلك أصدر أمر بمضاعفة الجزية ثم قتل الأساقفة وهدم الكنائس ومن جانب آخر قام ببناء مدينة الانبار وبنى مدينة الوس وقضى على دولة الضجاعمة العربية واستولى على مديتها الحضر وتولى من بعده اخوه ارشيدور الثاني سنة ٣٧٣م، ثم خلع سنة ٣٨٣م، وأجلس مكانه شابور الثالث ثم بهرام الرابع سنة ٣٨٨م، وفي أيامه أغار الهوبيون على ارمينيا سنة ٣٩٦م، ثم على ما بين النهرين وسوريا واستولوا على بلاد كثيرة ثم حملوا على العراق حتى اقتربوا من اكتسيفون فحمل عليه بهرام بالسبايا الذين سبواهم من بلاد الروم وكانوا حوالي الثمانية عشر ألف نسمة فأعاد بعضهم الى بلادهم وأسكن بعضهم العراق سنة ٢٩٩م، وبعد ذلك تولى يزد جرد الأول الملقب الايثيم سنة ٣٩٩م، وكان يحب العرب ويكرمهم وكان لملك النعمان الأول عنده منزلة رفيعة حتى ان اينه بهرام أعطاه وهو طفل للنعمان كبر ليربيه في الحيرة لطيب هواءها وعنوبة ماءها فرباه النعمان أحسن تربية وعلمه الكتاب والحكمة والرمي والفروسية وكل ما يلزم للملوك وبنى له قصراً فخماً وبقي عنده حتى مات أبوه.

وفي عهده أضطهد الفرس النصارى إلا ان اينه بهرام الخامس أو بهرام جور سنة ٤٢م، وهو الذي رباه النعمان ملك الحيرة وساعدته على لبس التاج لأن الفرس اختلفوا فيمن يملكون عليهم من أولاد يزدجرد الأول الذين ثارت بينهم الفتن عند موت أبيهم فاستجد بهرام بالنعمان فجهز لنصرته جيشاً كبيراً من العرب

وسار به الى اکسیفون وأجلس بهرام على کرسي الملکة وعلى هذا رفع منزلة ملک الحیرة على سائر رجال دولته فأعلى شأن العرب في عهده وتولى بعده يزدجرد الثاني سنة ۴۳۸م، ثم هرمز الثالث سنة ۴۵۷م، فناز عه أخوه الأکبر فيروز على (الملک) واستنصر بالهیاطلة^(۱). فأمده ملکها بثلاثين ألف مقاتل فحارب أخاه حتى استولى على العرش بعد ان قتل أخاه سنة ۴۶۰م، فلما قاتل الروم سنة ۴۸۴م، قتل هذا الملک أثناء المعارك خلفه (بلاش) باني مدينة (ساباط) بالقرب من اکتسیفون فناز عه أخوه فصی الجو لقیاذ وجلس على العرش سنة ۴۸۱م، وفي أيامه ظهر (مزدک) الذي يحمل أفکار سیاسیة غریبة في ذلك العصر فيما یشبه الأفکار الشیوعیة كما یذكر ذلك الأستاذ على ضریف الاعظمی في كتاب تاریخ الدول اليونانیة والفارسیة في العراق وحاول مزدک نشر هذه الأفکار في بلاد فارس وتبغه الملک قباذ وساعده عند نشر مذهبہ في الملکة الفارسیة حتى کادت ان تسری هذه الأفکار الى العراق وأمر الملک قباذ جمیع الولاة والحكام والموظفين باتباع هذا المذهب فأتبغه فريق منهم طوعاً وآخرون کرهاً وأبی بعض اتباعه منهم المنذر الثالث ملک الحیرة فعزله قباذ وولی على الحیرة کنده الحارث بن عمرو عدو المنذر فلما زاد تعصب قباذ للمذهب ما یسمی (الشیوعی) أتفق عظاماء الفرس على خلعه فخلعوه وحبسوه سنة ۴۹۶م، وأجلسوا مكانه أخاه (زماسب) (جامسب) وبعد قلیل فر قباذ من الحبس بمساعدة أخوته وسار فلتاجاً بالهیاطلة او البرابرة وهناك استنجد بملکهم فجهز له جیساً کیراً وأنظم اليه اتباع مزدک فزحف قباذ على أخيه وبعد حروب قهره وعاد الى العرش ثانية سنة ۴۹۸م، ولما عاد الملک قباذ ورأى الفرس قد غضبوا عليه بسبب اتباعه لمذهب مزدک الفوضوی تركه وتظاهر بالمجوسیة وهو الذي جعل الخراج بالمساحة في العراق بعد ان كان

^(۱) الهیاطلة: بلاد خلف النهر الاعظم مما یلی ارض بلخ.

الخراج بالمقاسمة فبلغت جباهة العراق في أيامه (١٥٠) مليون درهم في السنة حيث كانت بلاد العراق زاهية بالبساتين والحدائق والمزارع العظيمة والاثمارخصوصاً وان الملك كان قد نشط في التجارة والزراعة وحفر أنهار عديدة في العراق. وتولى بعد قباد أبنه كسرى انوشروان العادل سنة ٥٣١ م فأصلاح أمر الدولة ونظم جيوشها وعدل الشرائع التي وضعها أردشير الأول^(١)، فزهت في أيامه المملكة الفارسية وتقدم العراق نحو المدنية والعمان حتى أصبح حافلاً بالعلماء من أهل البلاد الأصليين الفرس وغير الفرس من النصارى في الطب والفلسفة وأزدادت ثروة أبناء الرافدين وسعدوا برقي بلادهم فزالت جباهة العراق في عهده بمقدار ٢٨٧ مليون درهم ورغم الناس في العلم فأنتشرت في أيامه الفلسفة اليونانية والعلوم المختلفة وهو الذي حفر نهر القاطل فوق سامراء المعروف بالقاطل الكسروي الذي يأخذ مائة من دجلة ويصب في النهروان وبني عدة مدن وشق عدة أنهار وأعاد المنذر الثالث ملك الحيرة وقتل مزدك وكثيراً من أتباعه وأجتهد في محى الشيوعية حتى أزالها من مملكته وعاد قانون الجزية بعد تعديله ترفيهاً لرعاياه وأستثنى أهل البدية وهم عرب العراق وجلس على سرير المملكة بعده هرمزد الرابع سنة ٥٧٩ م، ثم خلع على أثر فتنة قامت بينه وبين القائد العام بهرام الذي انحازت إليه الجيوش كلها فأجلس الفرس على العرش أبنه ابرویز سنة ٥٩٠ م، (كسرى برویز أو كسرى الثاني حسماً للنزاع وسكنها لفترة والاضطرابات فأزداد القائد عتواً وطمع في العرش فدارت رحى الحرب بينه وبين الملك برویز وبعد عدة وقائع جرت بالنهروان في العراق انتصر بهرام واستولى على اكتسيفون وأغتصب العرش وأعلن نفسه ملكاً أما ابرویز فإنه فر بعد انكساره إلى القسطنطينية مستجداً بالامبراطور (موریس) (موریس) فأكرم وفادته وزوجه

(١) ويسمى كسرى الاول ومعنى كسرى: واسع الملك ومعنى انوشروان: ذي النفس الكريمة.

بأنته ثم جهز له جيشاً وأمده بالأموال فسار ابرويز بالجيش حتى أقرب من العراق فلقاء بهرام وبعد معارك هائلة دامت مدة انتصر ابرويز انتصاراً باهراً وفرق جيش بهرام وظل يطارده إلى أذربیجان وأنتصر عليه ثانية انتصاراً نهائياً ففر بهرام إلى بلاد الترك وعاد ابرويز إلى عرش الملك ودخل اكتسيفون باحتفال عظيم بعد ان دامت الحروب بينه وبين بهرام أربع سنوات وعلى أثر الفوز تنازل ابرويز للروم عن مدینتی دارا ومتیا فارقین اللتين أخذهما أبوه هرمز منهم وأرسل إلى الامپراطور موریس هدايا نفیسہ وأجلز العطاء والصلات إلى القواد الروم الذين نصروه وعقد ابرويز معاہدة الصلح مع الروم وأصبحت الدولتان في وفاق بعد ان أصح ابرويز صهر موریس إلا انه بعد فترة ألغی المعاہدة وأشهر الحرب على الروم سنة ٦٠٢ م عندما خلعوا الامپراطور موریس وقتلوا وأجلسوا مكانه (فوقا) على أثر فتنة أهلية فحمل عليهم ابرويز بجيشه سنة ٦٠٤ م آخذًا بثأر حمية موریس ودامت الحروب أعواماً وتوغل الفرس في مملكة الروم واستولوا على أكثر ممتلكاتها ومستعمراتها وكادوا يفتحون القسطنطینیة ويقضون على تلك المملكة ولكن انعكس الأمر عندما تولى (هرقلیوس) عرش الروم وأخذوا يستردون من الفرس مدينة بعد آخرى وظل الفرس يتفهرون والروم يتقدمون حتى اقترب هرقلیوس بجيشه من نینوى وهناك دارت رحى الحرب ودارت الدائرة على الفرس واستولى الروم على نینوى سنة ٦٢٧ م، ثم على كركوك ثم نحو العراق وأخذ الروم يتقدمون والفرس يفرون حتى وصل هرقلیوس إلى الدسکره وهي بلدة قرب شهربان ثم تقدم إلى النهروان فأخلّ أمر الفرس واضطربت أحوالهم فأجتمع كبار الفرس فخلعوا ابرويز وتولى مكانه ابنه شیرویه عام ٦٢٨ م، ففأواض الملك الجديد الروم في الصلح فأجابوه وعقد الصلح مع هرقلیوس على ما يرضي الروم فعادوا إلى بلادهم وعلى أثر ذلك قتل الملك شیرویه أباه ابرويز.

وابرویز هذا هو الذي قتل النعمان الثالث ملك الحيرة سنة ٣١٦م، وهو الذي أرسل اليه صاحب الشريعة المحمدية (صلى الله عليه وآلہ وسلم) كتاباً يدعوه إلى الإسلام مع عبد الله بن حذامه السهمي^(١)، سنة ٦٢٨م، سلمه الكتاب وهذا نصه (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى كسرى عظيم الفرس سلام على من أتى بالهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعابة الله فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم وسلم فإن أبىت فإنما عليك أثم المجروس فقرأه برویز فلما أنتهى منه مزقه ورماه إلى حامله وكتب إلى عامله باليمن بأمره ان يغزو المدينة ويأتيه برسول الله أسيراً وعاد عبد الله إلى النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) واطلب، بما فعل برویز فقال اللهم مزق ملکه كما مزق كتابي فلما خلع برویز كتب أبنه شیرویه إلى عامله بالیمن ینهاد عن مقاتلة رسول الله وفی عهد برویز حدثت المعرکة الشهیرة بواقة (ذی قار) الناصریة، بین الفرس والعرب انتصر فيها العرب على الفرس ولم تبقى لشیرویه غیر بضعة أشهر حتى قتل وخلفه اردشیر الثالث سنة ٢٢٩م، وهو طفلاً فجعلوا له نائباً ليقوم بأمره وهو رئيس أصحاب المدائن (رئيس الوزراء) المدعو (جنسن) فتسلم هذا زمام الامور ولكن الاضطرابات الداخلة كانت تزداد يوماً في يوماً في الوقت الذي حمل المسلمين فيه على العراق بقيادة خالد بن الوليد وأختلت شؤون المملكة واحتلت كلمة رجال الدولة حتى آل ذلك إلى حدوث فتنة بين رئيس القواد وبين نائب الملك كان النصر

(١) عبد الله بن حذامه بن قيس السهمي الفرشي أبو حذامه صحابي أسلم قديماً وبعثه النبي إلى كسرى وهاجر إلى الحبشة وشهد بدرأً فلما حط عبد الله أمّا أمّا برویز وأسره الروم في أيام الخليفة عمر ثم أطلقوه وشهد فتح مصر وتوفي بها في أيام الخليفة عثمان سنة ١٣٣هـ - ٦٥٣م، وكانت فيه دعاية وله حديث وعده الجمعي من شعراء مكة.

في آخرها لرئيس القواد فحمل بجيشه على اكتسيفون وحاصرها ونصب عليها المجانق ثم احتلها عنوة وقتل اردشير الملك ونائبه وجماعته من رجال الدولة وأغتصب العرش ونادى بنفسه ملكاً سنة ٦٣٠م، ولكنه لم يلبث أكثر من أربعين يوماً حتى وثبت عليه جماعة من الفرس قتلوه وعلى أثر ذلك أتفق رجال الدولة وعبر أثر ذلك بنت كسرى ابرویز في السنة نفسها فلم تملك هذه غير ستة عشر شهراً فأحتال عليها رئيس القواد بیروز وخفقها سنة ٦٣١م، فأشتد الشقاق والخلاف بين رجال الحكومة وعظمت وكبرت الااضطرابات في الدولة الفارسية وأدى ذلك إلى انقسام الفرس إلى ثلاثة أقسام فبایع أهل اكتسيفون (أزرميد وخت) بنت كسرى ابرویز وبایع أهل خراسان صبياً من أولاد الملوك اسمه (میهرخوسرو) وبایع أهل اصطخر^(١). يزدجرد بن شهريار ثم قتلت (أزرميد) قتلها رستم حاكم خراسان بعد أن حمل عليها بجيشه ودخل اكتسيفون حرباً عقب عدة معارك ثم قتل (میهرخوسرو) أيضاً فسادت الفوضى في البلاد واختل النظام والذي زاد الدولة اضطراباً وزعزع اركانها توغل العرب المسلمين في العراق الذين جاءوا لفتح منذ أيام اردشير الثالث سنة ٦٢٩م، بقيادة خالد بن الوليد في عهد الخليفة الأول أبي بكر ثم أتفق أهل اكتسيفون على تمليل شخص (حششده) ابن عم ابرویز سنة ٦٣٢م، فقتل هذا بعد شهر من تمليله وولوا مكانه (فیروز بن مهران) من نسل أبو نوشروان فقتل بعد بضعة أيام وملك بدلته سابور بن شهریزان وكان طفلاً بأمره أحد كبار رجال الدولة اسمه (فرخ) زاد خسرو بن البندوان ولم يمض ثلاثة أشهر حتى قتل الملك ونائبه زاد أمر الدولة مشاكل عديدة بسبب الفتنة المستمرة وطمع

(١) اصطخر مدينة قديمة في فارس واقعة في الشرق الشمالي من شیراز وكانت سابقاً عاصمة الدولة الفارسية ويسمى بها اليونان (برسيوس) أي مدينة فارس وكانت فخمة وعظيمة فتحها المسلمين ١٨هـ.

بها اعداها فلما أدرك الفرس خطورة موقفهم أجمعوا على تملكه يرجو رثا بن شهریار الذي أجلسه على العرش أهل اصطخر فاستقدموه منها إلى اكتسیفون وأجمعوا كلمتهم عليه فحضر اكتسیفون سنة ٦٣٢م، فدانت له فارس وجلس يزدجرد الثالث على عرش المملكة الفارسية في الوقت الذي كانت فيه الدولة قد ضعفت من كثرة الفتن الداخلية وزادها ضعفاً توغل العرب المسلمين في العراق وحربهم الشديدة مع الفرس منذ أيام اردشير الثالث أيام الخليفة الأول أبي بكر فكان هذا الملك يبذل جهده في اخماد الثورات الداخلية القائمة بين قومه من جهة وبقصد هجمات العرب الذين جاءوا للفتح من جهة أخرى حتى أربك عليه الأمر ولكنه كان مع ذلك جلداً لا يظهر الضعف ولا يتظاهر بالعجز أمام العرب وظل يجهز الجيوش لقتالهم فانتصروا عليه في أكثر الوقائع وفي الأخير أشتد عليه الحرب في وقعة القادسية الشهيرة سنة ٦٣٦م، ثم أجبروه على الهزيمة من العراق إلى بلاده فارس سنة ٦٣٧م، بعد حروب عديدة في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وقامت دولة الإسلام في العراق زانقريست دولة الفرس التي حكمته ٤١٠ سنوات (٦٣٧-٢٢٦م)، وقد كان معظم سكان العراق في عهد الدولة الساسانية من بقايا الآرميين الأصليين وهم (الكلدان والسريان) والقبائل العربية التي منها ایاد وربيعة وغيرها وكذلك عرب المناذرة سكان الحيرة وما يتبعها جموع وشبات من الفرس والاكراد وغيرهم من أمم أخرى وحرية تامة بسبب عدم تعرض هؤلاء الملوك بشرائع أهل البلاد وآدابهم وعاداتهم وابقاء القوانين على ما كانت عليه قبلًا غير انهم بدأوا باضطهاد النصارى العراقيين منذ تنصر القياصرة ملوك الرومان بعد ان كانوا وثنيين أي منذ أيام القيصر قسطنطين الكبير بسبب ميل النصارى إلى القياصرة ابناء مذهبهم والتجسس لهم خصوصاً عندما كانت تقوم الحرب بين العرب والفرس فيتجسس النصارى لأنباء دينهم حتى ان بعض الملوك قتلوا كثيراً

من رؤساء النصارى وهدموا أكثر كنائسهم ولم يكن ذلك وحده سبباً لاضطهادهم بل ان انتشار الدين المسيحي بين عرب العراق من بدو وحضر وازدياد اتباعه عاماً فعاماً خوف الفرس من القضاء على دينهم الزرديشي الذي أتخذوه ديناً رسمياً لدولتهم خصوصاً وان الدين المسيحي كان قد صار أخيراً ديناً رسمياً لدولة الروم المجاورة للفرس وخيار الروم ينتصرون للنصارى الذين تحت حكم الفرس حتى انهم كانوا يتخدون اضطهادهم في بعض الأحيان ذريعة للحرب مع الفرس ومع ذلك فقد كان أهل العراق في عهد هذه الدولة الفارسية سعداء بالنسبة إلى الأمم الأخرى الراضخة لحكم الاجنبي في ذلك العهد أما حالة العراق من الوجهة الاقتصادية فكانت حسنة جداً لاعتناء هؤلاء الملوك بالري واهتمامهم بتوسيع نطاق الزراعة وتنشيط التجارة وبذلك كان العراق في عهدهم غنياً جداً واشتغل أهل الرافدين في أيامهم بالتجارة براً وبحراً وتبادلوا مع أهل القطر البعيدة كمصر وسوريا ووالهند وفارس وغيرها وكانت الزراعة في العراق أرقى زراعة في العالم بفضل ما حفروه من الترع والأنهار وأصبحت جباهية العراق عظيمة في عهد اردشير الأول ودارا الأول وقباذ وأنوشروان وكان الملوك يقيمون أيام الشتاء في مدينة (المدائن) سلمان باك حالياً ويقضون المواسم الثلاثة الباقية في مدينة اصطخر بفارس وقد سموا الملوك بالأكاسرة منذ أيام كسرى أنوشروان بن قباذ وعاشت هذه الدولة ٤٢٥ سنة (٢٢٦-٦٥١) وقام فيها (٢٨) ملكاً أولهم اردشير بن بابك وأخرهم يزدجرد الثالث الذي قتل سنة ٦٥١م، في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان وبقتله انقرضت هذه الدولة ومحيت من عالم الوجود على يد العرب المسلمين بعد ان كانت من أكبر دول العالم وتشتمل على بلاد ايران والديلم وجورجان وببلاد بابل (العراق) وببلاد آشور من ضمنها كردستان وببلاد الجزيرة (بين النهرين) وجزائر الخليج الفارسي من بلاد العرب منها بلاد اليمن ولم يكن

سبب انقراض هذه الدولة العظيمة المترامية الاطراف غير الانقسامات التي حدثت فيها والثورات الأهلية المتتالية والفتن المستمرة بين الاسر الحاكمة والمملكة وبين رجال الدولة والسياسة التي كانت تقوم بينهم وبين الروم في أزمان مختلفة فتمكن العرب المسلمين من محواها واستولوا على جميع بلادها بالتدرج وانتهت دولتهم في العراق سنة ٦٣٧هـ الموافق لسنة ١٦ هجرية وأنقل الحكم إلى الخلفاء الراشدين ثم إلى بني أمية ثم إلى بني العباس حتى إذا ما ضعف شأن الخلافة العباسية في بغداد في الوقت الذي قامت فيه دولة فارسية في بلاد فارس على يد بني بويه طمع هؤلاء فحملوا على بغداد وأسسوا فيها دولة فارسية سنة ٩٣٤هـ - ٤٨٤م، ثم تلتها الدولة الصفوية بعد حين من الدهر ثم الدولة الزندية في العهد العثماني.

الدولة البوية

أو الدولة الفارسية الخامسة في العراق

(٣٣٤ - ٩٤٥هـ) (١٠٥٥ - ١٤٤٧م)

أبتدأت دولة بني بويه بقيام ثلاثة أخوة أبو الحسن علي وأبو علي الحسن وأبو الحسن احمد أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو الذي يتصل نسبه على ما قيل إلى ملوك الفرس القدماء وكان أبوهم أبو شجاع قد سكن بلاد الدليم ونشأ أولاده فيها ثم خرجوا مع من خرج من بلاد الدليم كما هو معروف تاريخياً هم جيل من الفرس ولم يكن بني بويه من الدليم بل ان أنصارهم ورجالهم من الدليم ومن الحيلان وراء خراسان ولهذا لاقت دولتهم بالديلمة كما لقيت بالبوية أيضاً وكانوا هؤلاء من أهل العصابات والثورة ومن دعاة العلوبيين ليفسدو على العباسيين الذين يعتقدون ان الدولة العباسية قامت باسم العلوبيين ولكن بعد ذلك استولوا على الحكم بالقوة والغلبة فدخل الاخوة الثلاثة في جيش ابن كالي فلما ادبر

أمره التحقوا (بمردا ويج) مؤسس الدولة الزيارية (طبرستان وجرجان والري وقزوين وهمدان واصبهان وغيرها)، فتقلد كل واحد منهم ناحية من الجبل سنة ٩٣٣هـ - ٥٣٢م، وكان أكبرهم أبو الحسن علي على بلاد الکرج التي كانت في العراق العجمي بين أصفهان وهمدان وكان علي الهمة فکثراً أتباعه وأتباع أخيه ثم حصلت بينه وبين فرداويج جفأة فانتقض عليه وسار إلى أصفهان وملکها ثم استولى على ارجان (جرجان) وعلى أثر ذلك كاتبه أهل شيراز يستدعونه فسار إليهم سنة ٩٣٤هـ - ٥٣٢م، فقاتلته ياقوت عامل الخليفة ولكنه فشل وانهزم ودخل على شيراز فدانت له البلاد الفارسية كلها واشتهر ولما قتل مرداويج انظمت عساكره إلى علي هذا وكان الخليفة يومئذ الراضي بالله فكتب اليه علي والى وزيره علي بن مقلة يطلب تقرير البلاد عليه مبلغ مليون درهم في السنة فأجىء إلى ذلك وبعثوا إليه بالخلع واللواء ولما قوي أمر علي اقطع أخيه الحسن أصفهان وأخاه احمد كرمان واقام هو بفارس ملكاً إلى ان مات سنة ٩٣٨هـ بعد ان أسس أكبر دولة فارسية شيعية في الشرق وأول غارة شنها البوهيميون على العراق كانت سنة ٩٣٦هـ الموافق سنة ٩٣٧م، وذلك ان ابا عبد الله البربری كان قد انهزم من أبي واثق وب JACK الترکي بحكم المتنبّلين على الخلافة ببغداد وسار إلى اصطخر مستجداً بعلي بن بویه فأرسل أخيه احمد لأخذ العراق فسار هذا بجيشه حتى وصل ارجان فلما هناك بحكم والي مدينة واسط وكان قد سار لصده وبعد عدة معارك انهزم بحكم إلى الاهواز فتقدم احمد إلى عسکر مکرم وقاتل حاميتها الذين تركهم فيها بحكم ففروا إلى تستر ثم سار احمد إلى الاهواز وملکها عنوة وفر بحكم إلى واسط وعلى أثر ذلك حدث خلاف بين احمد وبين ابن البربری فهرب الثاني فعلم بأختلافهم بحكم فأرسل جيشاً واسترد الاهواز وأكثر البلاد التي استولى عليها احمد فلما فشل احمد استجداً أخيه علي فأمده بالجيوش فعاد واستولى على الاهواز أما

بحکم فینه سار من واسط إلی بغداد و استولی علیها و قلده الخليفة الراضی بالله إمارة الامراء خزفاً من شره و ذلك سنة ٣٢٩هـ و كان ابن البربری بعد ان فر من احمد قد اقام بالبصرة وهو يراسل بحکم ويحرضه على المسیر إلی الجبل ليرجعها من الحسن بن بویه ثم سار إلی الاهواز فاستردها من احمد ابن بویه وأنفق معه فامده بحکم بخمسماة فارس و سار هو إلی حلوان في انتظاره و بقی ابن البربری يتربص ببجکم و ينتظر ان يبعد عن بغداد فيهم ف هو علیها فأدرك ذلك بحکم فرجع إلی بغداد ولما عظمت الفتنة في بغداد و تولت الاضطرابات في العراق و تولی إمارة الامراء (توزون) الترکي (توزون أو طوسون) و كان احمد مقیماً بالاهواز يراقب كل ما يجري في بغداد من الاعمال و يأخذ الاخبار عن الحوادث التي تقع فيها فاغتنم فرصة نکبة الخليفة (المنتقی بالله) فحمل بجيشه إلی واسط سنة ٣٣٣هـ فلاقاه توزون والخليفة المستکفی بالله فحمل بالعساکر فرجع احمد إلی الاهواز وضل يتربص الفرص ولما أشتدت الفتنة في بغداد و ضاقت بها الجبايات على العمال و خلا بيت المال وأمتدت الايدي إلی اموال الناس و زاد ظلم الاتراك في العراق و تقاعده الناس عن الاعمال فقلت الأسعار و قطعت الطرق وأصبحت البلاد العراقیة فوضی و اضطرابات و تولی إمارة الامراء (زبرک) بن شیرزاد الترکي وأخذ أهل بغداد بالجلاء عنها خصوصاً التجار خوفاً من المصادرات و ضاق الأمر بالناس و سأموا تجبر الاتراك و ظلم و غدرهم بالخلفاء أستغاثوا باحمد بن بویه سراً و كتب اليه أحد الاتراك المدعو بنال کوشہ يطمعه بالعراق فنهض احمد مغتمماً فرصة تلك الفتنة المحزنة و سار بجيشه الدیلم من الاهواز مسرعاً فخرج اليه زبرک بمن معه من جیوش الاتراك و قبائل الاکراد الذين جمعهم فالتقی الفرقان وبعد معارک هائلة أنهزم زبرک بمن معه و سار إلى الموصل بعد ان تولی الإمارة ثلاثة أشهر و اختفى الخليفة في داره ببغداد و خاف خوفاً شديداً و اضطرب الناس

اما احمد بن بویه فإنه قدم کاتبه حسن المھلی فلما دخل هذا بغداد ظهر الخليفة المستکفی ودعی المھلی إلى داره وأظهر له السرور والفرح بانتصار احمد وقدمه ثم دخل احمد بغداد سنة ٣٣٤هـ باستقبال عظیم وذهب إلى دار الخليفة واجتمع به فولاه الإمارة وحلف له وخلع عليه وألبسه طوقاً من الذهب وسوره بسورین من الذهب وفوض اليه تدبیر المملکة وعقد له لواء وأمر ان يخطب له على المنابر ولقبه معز الدولة ولقب أخاه علياً عماد الدولة وأخاه الحسن رکن الدولة وأمر بضرب ألقابهم عای الدراهم والدنانیر.

ولما أستتب أمر معز الدولة في العراق ورتب شؤون البلاد أقام في بغداد فاستأمن اليه أبو القاسم البربری من البصرة وكان حاكماً عليها وضمن له واسط واعمالها فعقد له عليها في السنة نفسها ٣٣٤هـ وعلى أثر ذلك حجر معتز الدولة على الخليفة وقدر له برسم النفقة كل يوم خمسة دراهم (وهو أول من فعل ذلك من البویهیون وأول من ملك بغداد منهم وبعد قليل حدثت بينه وبين الخليفة فتنة ورآه يسعى في إعادة حقوق الخليفة المغصوبية فعزم على خلعه فأجتمع به في قصر الخليفة فظنهم يریدان تقبیلهم فتمدھا فجذباه عن سریره وووضعاً عمامته في عنقه وأخذوا يخنقانه وساقوه ماشياً إلى دار معز الدولة في أسوء حال وهنالک خلوعه واعتقلوه وسلموا عینيه وظل في دار السلطنة معتقلأً حتى توفي في سنة ٣٣٨هـ.

اما معز الدولة فإنه لما ساق أصحابه الخليفة نهض من دار الخليفة وسار إلى داره فضررت البوقات والطبول ونهب الدیلم ما في قصر الخليفة من الأموال الثمينة فأستاء الاهلون ونقموا على معز الدولة فأضطررت بغداد فلم يبال معز بشيء بل انه جمع رجاله وأحضر ابا القاسم الفضل بن المقדר فبایعه بالخلافة وأخذ له البيعة العامة فلقبوه المطیع لله سنة ٣٣٤هـ ٩٧٣م، (٩٤٥م)،

ومنذ ذلك أغتصب معز الدولة ما بقي من حقوق الخلاقة ولم يبق لل الخليفة غير كاتب يدير أملاكه واقطاعه التي تركها له ليسد بها حاجاته وأصبحت سلطة الخليفة مسلوبة تماماً ولم يبق لل الخليفة غير الاسم والتوصي على المنشير وصارت الوزارة من جهة البوهين بعد ما كانت من جهة الخلفاء وظل السعد يخدم معز الدولة حتى بلغ ما لم يبلغه أحد من قبله في الإسلام إلا الخلفاء.

الدولة الصفوية الأولى

(الدولة الفارسية السادسة في العراق)

أسس الدولة الصفوية في ايران إسماعيل ابن حيدر ابن جنيد ابن الشيخ صفي الدين الارديبلي الصوفي وسميت بهذا الاسم نسبة إلى صفي الدين المذكور وليس لهذا البيت قرابة مع إحدى العائلات المالكة في ايران ولا في غيرها ولا كانت تعرف هذه السلالة بغير رئاسة التصوف في بادئ بدء ثم قوي أمرها على عهد جنيد وكثير أتباعها وأشتهرت وظل أبناؤها يتدرجون في الزعامة على أتباعهم شيئاً فشيئاً حتى عظم شأن حيدر ابن جنيد ولما مات نهض ابنه إسماعيل وجمع الجموع وكان حازماً علياً الهمة فحمل على أذربيجان سنة ٩٠٥هـ، واستولى عليها ثم على شيروان سنة ٩٠٦هـ، ثم على ما وراء النهر بلاد فارس فخراسان فالعراق العجمي فكردستان فديار بكر وأسس مملكة واسعة الاطراف وهو أول ملوك الدولة الصفوية وأول ملوك فارس الذين تلقوا بالشاهات (أي السلاطين).

وعندما دخلت سنة ٩١٤هـ ، طمع الشاه إسماعيل في العراق وصاحبه يومئذ السلطان مراد بك التركماني^(١) وكان إذ ذاك ملكاً على العراقيين (العراق العجمي)، والعراق العربي وبلاد فارس وكان قد أناب عنه على العراق أحد رجاله

(١) وكان إذ ذاك ملكاً على العراقيين (العراق العجمي وال伊拉克 العربي) وبلاد فارس.

الامیر مبارک فحمل الشاه علی العراق قاصداً بغداد وأرسل فی مقدمته أحد قواده المدعو لاله حسن فحاصر بغداد وعجز أمیرها عن الدفاع وانتصر القائد الفارسي علی حامیة المدينة واحتلها عنوة فی السنة نفسها وعلى أثر ذلك توجه الشاه إسماعیل إلی بغداد فلما دخلها فتك بأهلها من المعاصرين لحكمه ثم أستتاب عنه نائباً فيها وترك قسماً من جنوده لحامایة المدينة وعاد إلی مقره بعد أن زار العتبات المقدسة. وخضعت له أكثر المدن العراقیة أما السلطان مراد فإنه فر مستجبراً بالملوک الأمراء فأمدوه بالجیوش والأموال فألف جیشاً كبيراً وسار به لإسترداد بغداد فتمكن فی سنة ٩١٦هـ من طرد جیوش الشاه منها، فعادت اليه هي وما يتبعها بعد أن ملكها الفرس نحو من سنتين (أی سنة وبضعة أشهر) وكان الشاه إذ ذاك مشغولاً في حروب خراسان فلما أنهى منها تهیأ لأخذ بغداد ثانيةً وحمل عليها بجیش عرمرم وقاتل السلطان مراد حتى قهره وطرده واستولى على بغداد عنوة سنة ٩٢٠هـ، وهي المرة الثانية، فأنقرضت دولة الخروف الأبيض التركمانیة من العراق بعد أن ملكته أربعة وأربعين سنة تقريباً منها نحو الأربعين سنة (٨٧٤هـ - ٩١٤هـ) قبل إغارة الشاه الأول ونحو الأربع سنوات قبل الغارة الثانية . وأول ملوک الملك حسن بیک المعروف بحسن الطویل وأخرهم السلطان مراد بیک هذا وهي التي قامت في العراق على أنقاض دولة الخروف الأسود (قرة قوبونلي) التركمانیة^(١).

ولما دخل الشاه إسماعیل بغداد ثانيةً أعاد القتل وأعمل السیف بأعدائه وفتک بهم ولم يمس اليهود بسوء لأنهم تجسسوا له قبل دخوله بغداد وبعده . وغالى في الانتصار لمذهب الشیعہ واتباعه وأعلن المذهب الشیعی رسمیاً في مملکته وبالغ

(١) دولة الخروف الأسود هي التي أخذت العراق من الجلاثرينين الذين جاءوا بعد الدولة الإلخانیة التي فرضت الدولة العباسیة على يد زعيمها هولاکو.

في اضطهاد من خالقه في حكمه حتى انه أجبر الكثرين منهم على التشيع. وبعد أن استتب أمر الشاه فب العراق (بغداد واتبصرة والموصل وما يتبع ذلك) وقد ولی على العراق ببغداد أحد رجاله ابراهيم خان وعاد إلى مقره ثم أمر فأعيد بناء حرم الكاظمين والقبة التي على الضريحين سنة ٩٢٦هـ^(١). وأمر بكري النهر الذي كان قد احترقه علاء الدين عطاء الملك حاكم العراق من قبل هولاكو وسحبه من الفرات إلى مدينة النجف لأن الرمال كانت قد تراكمت فيه وسدت مجراه فسمي بالنهر الشاهي^(٢).

ولما مات الشاه إسماعيل (٩٣٠هـ - ٩٣٥هـ) وجلس مكانه أبنه طهماسب الأول وطبع في العراق الأمير ذو الفقار ابن نخوذ سلطان رئيس قبيلة موصلو من عشيرة كلهور الكردية الذي كان مستولياً على أطراف لورستان^(٣). فحمل بالكلهوريين على بغداد وحاصرها أربعين يوماً فاستولى عليها في سنة ٩٣٠هـ^(٤)، وأسس بها دولة كردية وأحسن السيرة والتثبيت حتى ملك العراق كله تقريباً وخلف من طهماسب الأول فأحتمى بالسلطان سليمان القانوني العثماني وخطب له على المنابر وضرب بأسمه السكة وأرسل وفداً لعرض خصوصه والدخول تحت سيادته ولكنه لم يك يستريح حتى حمل عليه الشاه طهماسب الأول سنة ٩٣٦هـ، الموافقة لسنة ١٥٣٠م فأستعد له ذو الفقار وتحصن في بغداد

(١) ولكنه لم يتم بناء الحرم فأتمه السلطان سليمان القانوني حينما فتح بغداد وبني مأذنة لازالت حتى اليوم باقية وهي أول مأذنة بنيت هناك.

(٢) وهو المعروف الآن بنهر الهندية نسبة إلى أصف الدولة أحد أمراء الهند في لكهور الذي كراه عند مجيئه إلى العراق لزيارة قبور الأئمة سنة ١٣٠٩م.

(٣) لورستان هو إقليم الأهواز أو عربستان ويسمى جبال البختيارية أيضاً.

(٤) وفي رواية كا استيلانه على بغداد سنة ٩٣٤هـ، فاستردها منه الشاه طهماسب سنة ٩٣٥هـ، ولكنها ضعيفة.

فحاصرها الشاه أيامأً حتى عجز عن استردادها لحصانة اسوارها فاضطر لإستعمال الحيل والخدع حتى تمكن من إغراء أخوي ذو الفقار وأطمعهما بالمناصب والأموال فأغتالاً أخاهما وقتلاه (وقيل مات مسموماً) وفتحا أبواب المدينة فدخلها الشاه في السنة نفسها ٩٣٦هـ وأنقرضت الدولة الكردية التي لم تدم إلا نحو ست سنوات.

ودخل الشاه طهماسب بغداد فسلمت له المدن العراقية كلها تقريباً فأعاد أعمال أبيه في دار السلام من اضطهاد السنة والفتاك بهم لتعاونهم مع العثمانيين ثم ولّى على بغداد بكلو محمد خان وفوض إليه شؤون البلاد العراقية وسار هو عائداً إلى مقره وظل رجاله في العراق يحكمون بما تشهيه نفوسهم مما حمل السلطان سليمان القانوني على الانتقام من الفرس انتصاراً لمذهبه فصمم على فتح العراق وأخذه منهم.

وعندما دخلت سنة ٩٤٠هـ الموافقة لسنة ١٥٣٥م، عزم السلطان سليمان القانوني على أخذ العراق من الفرس فأرسل إبراهيم باشا الصدر الأعظم والقائد العام بجيش كبير لقتال الشاه طهماسب الأول وسار هو في أثره بجيش آخر فدخل إبراهيم باشا تبريز أولاً بالأمان ثم سار منها قاصداً بغداد فلما اقترب منها هرب حاكمها الفارسي بكلو محمد خان بجيشه خوفاً من الأسر فسلمت المدينة وفتحت أبوابها للقائد العثماني فدخلها باستقبال عظيم في شهر جمادي الآخرة سنة ٩٤١هـ وبعد أيام قليلة وصل السلطان إلى بغداد ودخلها بين التهليل والترحيب والقدس على حسب عادة العراقيين مع كل فاتح. ثم فتحت الجيوش العثمانية مدينة الموصل في السنة نفسها ودانت المدن العراقية كلها للعثمانيين وزالت دولة الصفوين بعد أن حكموا العراق خمسة وعشرين سنة تقريباً منها نحو سنتين بعد الغارة الأولى التي كانت في سنة ٩١٤هـ وما بقي فهو بعد الغارة الثانية التي حدثت في سنة

٩٤٠. أما البصرة فإنها كانت يوم مجيء السلطان سليمان تابعة للفرس وكان عليها حاكم فارسي اسمه راشد خان وكان قد بلغه سقوط بغداد وغيرها فخاف على نفسه ومنصبه فسار إلى بغداد للمثول بين يدي السلطان وعرض الطاعة والخضوع وفرق له السلطان فأقره على البصرة على شرط أن تكون الخطبة والنقود باسم السلطان وأن يكون ممتنلاً لأوامر ولاة بغداد الأتراك في المسائل الهامة . فعاد راشد خان إلى منصبه ولكنه بعد قليل أستبد بالأمور وكان لم يكن له رابطة بالعثمانيين فأضطروا إلى إرسال جيش تحت قيادة الوزير إیاس باشا لطرد راشد من البصرة . فلما قرب الجيش أنهزم منها راشد ودخلها الجيش العثماني وذلك في سنة ٩٥٣هـ وظلت هذه المدينة في قبضة الأتراك إلى سنة ١٠٠٥هـ فاستقل بها أمراؤها ثم أعادها الأتراك اليهم في سنة ١٠٧٨هـ ثم تغلب عليها أمير الحويزة فرج الله خان في سنة ١١٠٩هـ فطرده الأتراك في سنة ١١١١هـ وبقيت في قبضتهم إلى أن تغلب عليها كريم خان الزندي في سنة ١١٩٠هـ ثم عادت للأتراك في سنة ١١٩٣هـ وبقيت تحت حکمهم حتى قامت الحرب العالمية الأولى فأستولى البريطانيون عليها في سنة ١٣٣٣هـ وبقي العراق في قبضة العثمانيين ٩١ سنة تقريباً (٩٤٨هـ - ١٠٣٢هـ) ثم عاد للصفويين ثم للأتراك .

الدولة الصفویة الثانية

(الدولة الفارسية السابعة في العراق)

كانت الدولة العثمانية قد وجهت إلى العراق الوزير يوسف باشا في سنة ١٠٢٥هـ، وكان هذا الوزير ضعيف الرأي فحدثت بينه وبين رئيس شرطة بغداد بكر آغا فتنة في سنة ١٠٢٨هـ، في عهد السلطان عثمان الثاني . وكان بكر آغا قد جلب الأهلين إليه وكثرت اتباعه واستولى على جميع شؤون الحكومة العراقية

من إدارية وعسكرية حتى لم يبق للوزير غير الأسم وألت تلك الفتنة إلى الحروب في نفس بغداد فقتل يوسف باشا واستولى بكر آغا على الولاية وكتب إلى السلطان يطلب تثبيته فيها فوجهت الأبلة إلى غيره فانتقض على الدولة وأعلن استقلاله في العراق فما كان من السلطان إلا أن أرسل الجيوش إلى قتاله فلما حوصلت بغداد وضاق الحال ببكر آغا استجده بالشاه عباس الأول الذي تولى عرش ايران سنة ٩٩٥هـ الموافقة لسنة ١٥٨٦م، ووعله بالدخول تحت سيادته على أن يكون الحكم له والخطبة والسلكة باسم الشاه فوافق على ذلك الشاه وأنجده وفي أثناء ذلك أصلح بكر آغا مع القائد العثماني حافظ أحمد باشا وجهت إليه الأيدلية ورفع الحصار عن بغداد ورجعت عساكر السلطان غير أن الجيش الفارسي جاء لنجدته بكر آغا كان قد اقترب من بغداد بعد أن أبرم آغا معااهدة الصلح مع القائد العثماني فكتب بكر آغا إلى قوات الفرس يطلب منه الرجوع ويخبرهم بما تم من أمر الصلح فأبوا عليه ذلك وأصرروا على دخول بغداد حسب أمر الشاه وبعد مخابرات حاولت الجيوش الفارسية دخول بغداد فمنعها بكر آغا فحدثت بين الطرفين عدة معارك انتصر في آخرها بكر آغا وظل يطارد الفرس حتى أخرجهم من ديار العراق. فلما علم الشاه بذلك أستطاع غصباً ورثف بنفسه على بغداد في سنة ١٠٣٢هـ، وهو يقود جيشاً كبيراً حتى اقترب منها وكتب إلى بكر آغا يطلب منه تسليم المدينة فأبى بكر آغا عملاً بمعاهدة الصلح التي من شروطها أن لا يدع الفرس يدخلون بغداد وعندما حمل الشاه على المدينة وحاصرها حصاراً شديداً وضيق عليها من كل الجهات ودام الحصار ثلاثة أشهر كان فيها بكر آغا مدافعاً دفاع الابطال حتى صاق به الحال وخارت قوى عساكره وأشتد القحط في المدينة. أما الشاه فإنه لما عجز عن فتح بغداد حرباً عمد إلى الحيلة والخداع وراسل سراً محمد آغا ابن بكر آغا وكان محافظاً على قلعة بغداد فوعده بالمناصب والأموال

حتى خدعاه ففتح له أبواب المدينة ليلاً فدخلتها جيوش الشاه على حين غفلة من بكر آغا والأهليين فأنهزم المدافعون وأختفى الناس في بيوتهم وأشتبك كل في نفسه مما أصبح الصباح إلا والشاه قد دخل بغداد بمن معه وذلك في ٩ شوال سنة ١٤٣٢هـ، الموافقة سنة ١٦٢٢م، وعندما دخل الشاه عباس الأول بغداد قتل أكثر رجال الحكومة التركية من عسكريين وإداريين حتى رجال الدين منهم القاضي نوري أفندي وخطيب الجامع الكبير محمد أفندي وغيرهما وفتوك بالسنة فتكاً ذريعاً وصادر أموال المثيرين منهم وأرتكبت جنوده أنواع المنكرات من قتل وسلب ونهب وتخريب. أما بكر آغا فإن الشاه قتله أشنع قتلة ثم قتل أخيه عمر آغا أيضاً وفعل هذا الشاه أفعالاً لا تختلف مع ما كان عليه من الحكمة وحسن السيرة وحب التقدم والعملان. وبعد أن هدأت بغداد أرسل الشاه وزيره قاسم خان بجيش كبير لفتح الموصل فأفتح هذا القائد في طريقه كركوك ثم توجه إلى الموصل وعليها إذ ذاك والي تركي أسمه حسين باشا فدافع عنها أياماً ثم عجز واضطر إلى تسليمها فدخل الفرس وأضطهدوا أهلها وفتوكوا بهم كما فتكوا بأهل بغداد وكان الشاه يومئذ مقيناً في بغداد وقد تم أمره في العراق إلا البصرة بقيت لمدة شهرين بعد فتح بغداد ثم ذهب إلى كربلاء ثم النجف ومنها عاد إلى بغداد وجعل لحمايتها خمسة الآف جندي فارسي بقيادة صفي قلي خان وولى الحكم فيها لرجل من خاصته اسمه صاري خان وكتب إلى رؤساء القبائل العربية بلزم السكينة والطاعة ثم عاد إلى مقره. فلما كانت سنة ١٤٣٦هـ، أمر الشاه قائده صفي قلي خان بالزحف على البصرة فحمل عليها من بغداد فحاصرها حصاراً شديداً وكانت حينذاك في قبضة أمرائها المستقلين^(١). وبينما صفي قلي خان يهاجم البصرة إذ فاجئه وفات الشاه

(١) استقل هؤلاء الأمراء في سنة ١٤٠٥هـ وأولهم (أفراسباب) وآخرهم حسين باشا ثم أرسل السلطان ثم أرسل السلطان محمد الرابع ١٤٧٨هـ له جيشاً وطرد منه الأمراء ثم تغلب

عباس الأول الصفوي فترك الحصار وعاد إلى مقره. وبقيت المدن العراقية في قبضة الصفویین عدا (البصرة) سنة عشر سنة تقريباً (١٠٣٢هـ - ١٠٤٨هـ) ثم أخرجهم منها السلطان مراد خان الرابع العثماني في سنة ١٠٤٨هـ، الموافق لسنة ١٦٣٨م، بعد حروب استمرت أعواماً خسر فيها الغریقان (الاتراك والفرس) خسائر عظيمة وعادت للعثمانيین في عهد الشاه صفوی الدين خان الثاني المدعو سام میرزا حفید الشاه عباس الأول.

الدولة الزندية في العراق

الدولة الفارسية الثامنة في العراق

كانت البصرة تحت الاحتلال العثماني منذ أن أرسل السلطان محمد الرابع وزيره قره مصطفى باشا بجيش كبير سنة (١٠٧٨م) ثم تغلب عليها أمير الحوزة مفرج الله خان ابن مطلب في سنة (١١٠٩م) فطرده الأتراك في سنة (١١١١م) وظللت في قبضة العثمانيین إلى سنة (١١٩٠م) عندما كانت الدولة العثمانیة قد أهملت شؤون البصرة حيث قامت بها الفتن بين ذوي المطامع في حين كان كریم خان الزندي قد تغلب على مملكة ایران فأعلن الحرب على العثمانيین سنة (١١٨٨م) فحاصر البصرة سنة (١١٨٩م) ومعه عشيرةبني کعب العربیة حتى اضطررت البصرة إلى التسلیم سنة (١١٩٠م) في عهد السلطان عبد الحمید الأول. وأسر الفرس والي البصرة سلیمان بیک وجماعة من الاشراف والوجوه والتجار وأرسلهم صادق خان شفیق کریم خان الزندي مخورین إلى شیراز عاصمة کریم خان ولما استتب أمر صادق خان بالبصرة اراد الاستیلاء على منطقه المنقاك (الناصریة) فأرسل أخاه محمد علي خان سنة (١١٩٢هـ) بجیش كبير لغزو

عليها أمیر الحوزة فرج الله خان سنة ١١٠٩هـ فطرده العثمانيون سنة ١١١١هـ.

المنتفك فاستعد أهل الناصرية لقتالهم فألتقي الفرس قرب الفرات واشتبكوا معهم في القتال مما أدى إلى انهزام الفرس ولحقتهم فرسان العرب فغرقوا في نهر الفرات وغنم العرب أموالهم وخيولهم ولما جاءت سنة (١١٩٣هـ) جهز صادق خان مرة أخرى جيشاً فارسياً للاستيلاء على الناصرية فألتقي الجيشان العربي والفارسي في منطقة (حلانة) وعلى المتنفكيين في القتال الأمير ثامر ابن سعدون وثؤيني ابن عبد الله وعندما رأت العشائر العربية كثرة أعداد الفرس طلبوا الصلح إلا أن الفرس شرطوا على العرب شروطاً كبيرة مما أبتها النفوس العربية فاختاروا الموت على الحياة فحدثت الحرب الدموية ثانية فانتهت المعركة بتمزيق الجيش الفارسي وقتل قادتهم محمد علي خان وأخيه مهدي خان فأنهزموا وغنم العرب سلاحهم وخيولهم. وكان ذلك سنة (١١٩٣هـ). فدخلها المتنفكون وبها سقط الحكم الفارسي من البصرة بعد أن دام نحو ثلاثة سنوات وبقيت المدن العراقية كلها خاضعة للعثمانيين إلى أن قامت الحرب العالمية الأولى فسقطت البصرة مفتح العراق سنة (١٣٣٣هـ) وسقطت بعدها بغداد عاصمة العراق سنة (١٣٣٥هـ - ١٩١٧م) وقامت بعد الحكم العثماني حكومة الاحتلال البريطاني ثم قامت الحكومة العراقية بعد عدة أحداث ومعارك بينهم وبين الانكليز إلى أن تشكلت الحكومة العراقية بين عامي (١٩٢٠م - ١٩٢١م).

بعد نجاح ثورة العشرين شكلت الحكومة البريطانية لجنة لصياغة تشكيل الحكومة المؤقتة بعد أن وجه المندوب السامي كتاباً رسمياً إلى عبد الرحمن الكيلاني يكلفه بتشكيل الحكومة العراقية بصفته الممثل السياسي للحكومة البريطانية في العراق وتاريخ ٢٥ تشرين الأول عام ١٩٢٠ وتشكلت الوزارة المؤقتة بموافقة المندوب السامي ومن الذوات التالية أسماؤهم:

طالب النقيب

١- وزير الداخلية

ساسون حسقيل (يهودي)	٢- وزير المالية
جعفر العسكري	٣- وزير الدفاع
مصطفى الالوسي	٤- وزير العدل
محمد علي فاضل	٥- وزير الوقف
عزت الكركوكلي	٦- وزير المفاوضة
عبد اللطيف المنديل	٧- وزير التجارة

أما الوزراء بلا مناصب عينهم المندوب السامي السير بيرسي كوكس وهم:

- ١- عبد الجبار الخياط / بغداد
- ٢- عبد المجيد الشاوي / بغداد
- ٣- فخر الدين آل جميل / بغداد
- ٤- عبد الرحمن الحيدري / بغداد
- ٥- عبد الغني كبة / بغداد
- ٦- الشيخ ضاري السعدون / الناصرية
- ٧- محمد الصبيهود / الكوت
- ٨- عجيل السمرمد / الصويرة
- ٩- احمد الصايغ / البصرة
- ١٠- سالم الخيون / هور الحمار
- ١١- داود اليوسفاني / الموصل
- ١٢- الحاج نجم البدراوي / العمارية

وأصدر المندوب السامي بياناً تضمن أن حكومة جلالة ملك بريطانيا أذنت بتشكيل مجلس نيابي لسن قانون أساسى وعلى الحكومة المؤقتة تقع مسؤولية إدارة

الشؤون العامة ماعدا الأمور الخارجية والحركات الحربية والأمور العسكرية العمومية وتم تعين مندوبيين مستشارين لكل وزارة ولكل دائرة أما الأولوية والأقضية والنواعي يدير شؤونها حكام سياسيون من الضباط الانكليز وهكذا عم الغصب في الاوساط الشعبية لما وجدوه من حكم بريطاني مباشر في جميع شؤون البلاد أما خزائن العراق فإن حكومة الاحتلال قامت بسحب موجود الخزائن وقامتها ايراداً لحكومة الهند كما سحبت خزائن الاوقاف.

وفي ٢٢ حزيران ١٩٢١ أعلن وزير الدفاع دعوة المواطنين للانخراط في الجيش العراقي الجديد. وبعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ على أثر ثورة العشرين وتضحيات رجالها لم يتوقف رجال الدين من مؤازرة الحركات الوطنية في ظل الحكم الملكي تحت الانتداب البريطاني حيث أضطرب الوضع في العراق بعد وفاة الملك فيصل الاول عام ١٩٣٣ وحدث تمرد لبعض العشائر مما طالب رجال الدين من الملك غازي إصلاح الوضع وتشكيل حكومة جديدة وقد استجاب الملك لطلباتهم فألفت وزارة ياسين الهاشمي في ١٧ آذار ١٩٣٥ وكما يلي:

١- رئيس الوزراء	ياسين الهاشمي
٢- وزير الخارجية	نوري السعيد
٣- وزير الدفاع	جعفر العسكري
٤- وزير العدلية	محمد زكي البصري
٥- وزير الاقتصاد والمواصلات	محمد أمين زكي
٦- وزير المعارف	محمد رضا الشبيبي
٧- وزير المالية	رؤوف البحرياني

وعلى أثر تشكیل الوزارة الهاشمية هذه فقد انشقت القوى الوطنية والقبلية إلى جهتين الجبهة الأولى، الجبهة المعارضة للحكومة، والجبهة الثانية المؤيدة للحكومة وبدأ الصراع الحزبي والقبلی بیث القلق والاضطراب فی البلاد.

مدة حکم الفرس في العراق

اسم الدولة الفارسية في العراق	مدة الحكم
الدولة العيلامية في جنوبی العراق (٢٢٩٥ ق.م - ٢٢٨٧ ق.م)	٨
الدولة الکیانیة في العراق (٥٣٨ ق.م - ٣٣١ ق.م)	٢٠٧
الدولة البرتیة في العراق (٦٢٦ ق.م - ٢٢٦ ق.م)	٣٥٢
الدولة الساسانیة في العراق (٢٢٦ م - ٦٣٧ م)	٤١١
الدولة البویهیة في العراق (٩٤٥ م - ١٠٥٥ م)	١١٠
الدولة الصفویة الاولی في العراق (١٥٣٥ م - ١٥٠٢ م)	٣٣
الدولة الصفویة الثانية (١٦٣٨ م - ١٦٢٠ م)	١٧
الدولة الزنیدیة في البصرة وال伊拉克 کله (١٧٦٨ م - ١٧٧١ م)	٣٠
المجموع الکلی لحكم العراق	١١٤١

**مدة حكم غير الفرس في العراق وهم الذين ملکوا في العراق من غير
الفرس كالغول والاكراد واليونان والاتراك**

اسم الدولة	مدة الحكم
السومريون المغول (٢٤١٦-٧٠٠٠ ق.م)	٤٥٨٤
الدولة الكوشية الكردية مع اهل البلاد (١٧١٤-١١٥٠ ق.م)	٥٦٤
الاشوريون --- أو العرب (٧٢٩-٦١١ ق.م)	١١٨
الدولة اليونانية/ الاسكندر والسلوقيين (٣٣١-٢٦٢ ق.م)	٢٠٥
المغول التتر والتركمان (١٢٥٨-١٥٠٢ ق.م)	٢٢٤
الدولة العثمانية الاولى (١٥٣٥-١٦٢٠ م)	٨٥
الدولة العثمانية الثانية (١٦٣٨-١٩١٧ م)	٢٨٠
المجموع	٦٠٦٠

مدة حكم العرب وغيرهم في العراق

اسم الدولة	مدة الحكم
الدولة البابلية الاولى السامية (٢٤٦٠-٢٤١٨ ق.م)	٤٤٢
أهل البلاد/ الكلدان أو البابليون (٢٠١٨-١٧١٤ ق.م)	٣٦٨
أهل البلاد الكلدان (١١٥٠-٧٢٩ ق.م)	٤٢١
الدولة البابلية الثانية عراق سامية (٦١١-٥٣٨ ق.م)	٧٣
العرب المسلمين/ الخلفاء الراشدون وابن الزبير والامويون (٦٣٧-٧٥٠ م)	١١٤
الخلفاء العباسيون - الدورة الاولى (٧٥٠-٩٤٥ م)	١٩٥
الخلفاء العباسيون - الدورة الثانية (١١٥٥-١٢٥٨ م)	١٠٣
المجموع	١٧١٦

مدة الدول التي حكمت العراق

منذ سنة ٧٠٠٠ ق.م إلى سنة ١٩١٧ كمما يلي:

اسم الدولة	مدة الحكم
مجموع مدة حكم الفرس	١١٤١
العرب قبل الإسلام وبعده	١٧١٦
المغول والتركمان واليونان والاتراك	٦٠٦٠
المجموع	٨٩١٧

ثورة البابليين الأولى ضد الفرس

بعد ان مات كورش من أثر جراحه تولى عرش الدولة الكيانية بعد كورش ابنه الأكبر (قمبیز)^(١)، (٥٢٩-٥٢١ق.م)، وكان سلوكه كسلوك أبيه مع البابليين ومن أجل ذلك أحبوه كما أحبوا أباهم قبله واحترموه ولم تحدث في أيامه بالعراق ما يكدر جو السياسة او ما يخل بنظام البلاد وإدارتها. فلما مات قمبیز حين عودته من مصر قاصداً بلاد (مادي التي أجلس سريرها (برديا)^(٢)، اضطربت شؤون الدولة الفارسية وطمع بها أمرائها وكثرت فيها الفتن الداخلية فأغتنت البابليون فرصة ذلك الانفلات فثاروا على الفرس الذين في بلادهم فقتلوا هم وأعلنوا الاستقلال وملكوا عليهم أحد أعقاب الملك (بنيوتاہید) المدعو (ندین توپیل) وأجلسوه

(١) ويطلق عليه أيضاً اسم قامیز وكمبیز وقناوسوس وكمبوزیا ويسمیه اليونان کمبوس وسماه بعضهم کیکاوس.

(٢) وسماه بعضهم غوماتو وبعضهم غاماليس وآخرون سمردين ويروى انه كان كاهناً فأغتصب الملك في ميديا وقتل هو أحد الحكام الفرس .

على سرير بابل فلقب هذا الملك نفسه بنوکد نصر الثالث وأعلن الاستقلال التام واستعد للدفاع عن بلاده غير ان ذلك الاستقلال التام لم يدم غير سنتين تقريباً (٥٢١-٥١٩ق.م) لأن الفرس أجمعوا كلمتهم على دارا الأول (٤٥٩-٤٨٥ق.م) فقمع الفتن الداخلية وقضى على الأمراء الطامعين بالملك واستتب أمره في البلاد ثم زحف على بلاد بابل بجيشه الفارسي وقد حمل (دارا الأول) على بابل فخر فخر لملاقاة ملكها (ندين توبيل) بجيشه العراقي والتقي المكان بالقرب من دجلة في الأراضي الآشورية فأنكسر الجيش العراقي فاضطر إلى الانسحاب فعبر دجلة ونزل على ساحل الفرات فلحقه دارا وهناك حدثت حرب شديدة أخذل وتراجع البابليون وانهزموا إلى عاصمتهم (بابل) وتحصنا فيها . أما الملك الفارسي دارا فإنه استمر بالمسير والتقدم بعد هذا النصر حتى ألقى الحصار على مدينة بابل فدافع ملكها ومن معه الدفاع المستميت أياماً حتى عجزوا عن مقاومة الفرس لكثره عددهم فسقطت عاصمتهم سنة ٥١٩ق.م. ودخلها الفرس ظافرين منتصرين بعد أن قتل ملكها (ندين توبيل) الملقب (بنوکد الثالث) الذي لم يملك غير سنتين تقريباً قضاهما في إعداد المعدات الحربية دفاعاً عن حقه وحفظاً لاستقلال بلاده وعندما سقطت بابل سلمت جميع المدن العراقية لدارا وخضع لحكمه الحضر والبدو له وبعد أن نظم شؤون البلاد ولـى عليها حاكماً عاماً أحد قواده المدعو (زو بيروس) (زبورا) وعاد إلى مقره ورجعت الأمور كما كانت.

وفي عهد كورش واشتغل العراقيون بالزراعة والتجارة وزادت ثروة بلادهم وعاشوا في بحبوحة الأمن والاستقرار تحت راية (دارا الأول) المشهور بالعدل وحب العمران .

ثورة البابليين الثانية على الفرس

مات دارا الأول وتولى عرش الفرس ابنه سرخس الأول (٤٨٥ق.م-٤٦٥ق.م) فخضع لسلطانه البابليون أول الأمر ثم ثاروا عليه سنة (٤٨١ق.م) وقتلو الحاكم الفارسي (زو بيرس) الذي لاه دارا وأعلنوا الاستقلال غير ان التاريخ لم يصلنا بسبب ثورتهم هذه ولا اسم الملك الذي أجلسوه على عرش مملكتهم أما الفرس فقاموا بإعداد جيشاً كبيراً بقيادة (مغابير) ابن زوبيروس المقتول في بابل فحمل عليهم هذا القائد وبعد عدة معارك ضاربة انتصر الفرس واستولوا على عاصمتهم مدينة بابل وقتل بأهلها فتكاً ذريعاً ونهب هيكل الآلهة وأمر بهدمه وقتل رئيس كهنته وحمل خزائنه وتماثيله الى خزائن الملك سرخس وأسر عدداً كبيراً من ذوي الوجاهة والثروة والشرف وأستعمل منتهى العنف والشدة واضطهد أهل البلاد فخضعوا للقوة وضلوا خاضعين لعد تلك النكبة ولم تبدي منهم أي حركة او ثورة في عهد الملك سرخس الأول^(١) وعهد خلفائه ارشد الأول^(٢) (٤٢٤-٤٢٣ق.م). وسرخس الثاني (٤٢٣-٤٢٤ق.م) ودارا الثاني (٤٢٣-٤٠٥ق.م) واردشير الثاني الملقب (منه مون) (٤٠٥-٣٥٨ق.م) الذي قاتله أخوه كيخرسوا على الملك بمساعدة اليونان ففشلوا وعادوا إلى بلادهم وسميت رجعتهم رجعة الأشني عشر ألف^(٣). واردشير الثالث (٣٣٨-٣٣١ق.م) ودارا الثالث (٣٣١-٣٣٨ق.م) الذي سماه بعضهم (قودومان) ولم تحرکهم الاضطرابات الداخلية ولا ضعف الدولة الفارسية خصوصاً في عهد الملك الأخير دارا الثالث

(١) سرخس الأول يقال قتله احد قواده المدعو أذنا بانوس على أثر انكساره في حرب اليونان.

(٢) اردى يسميه بعضهم (أرتجزريس) وبعضهم يسميه ارتختشنا و (أرتختشيارش) وعدوه من حكماء الفرس وعلمائهم وسماه بعضهم أرذشير وكان يلقب (دارازست).

(٣) على ان هذه الدولة الكيانية كثيراً ما كانت تعلن الحرب على اليونان طمعاً في بلادهم ولقد قامت بين الدولتين عدة حروب اشتهرت في التاريخ القديم.

الذی تبوأ عرّش المملکة فی وقت کانت فیھا الدوّلۃ الفارسیة ضعیفة جدًا بسبب
الاضطرابات والفنن فیھا.

لم یخلص العرّاقیون من الاستعمار الفارسی حتی حمل الاسکندر المقدونی
عی مملکة الفرس فی عهد (دارا الثالث) الذی جلس عی سریر الملك فی الوقت
الذی کانت فیھا الدوّلۃ الفارسیة فی اضطراب مستمر فزادها هذا الملك ضعفًا
واضراباً لعدم کفاءته وقلة تجاربہ وانقرضت تلك الدول العظمی عی ید بطل
اليونان (الاسکندر) بعد ثلث وقائع مشهورۃ کانت الأولى وقعة (الغرانیف) التي
حدثت سنة ٣٣٤ق.م، والثانية وقعة (اسوس) التي جرت سنة ٣٣٣ق.م، والثالثة
ووقة اربیلا (اربیل حالیاً) التي وقعت ٣٣١ق.م، وهي التي قبضت عی تلك الدول
وقرضتها من العرّاق بعد ان فتح الاسکندر جميع ما كان من البلاد والمستعمرات
الذی کانت تحت الحكم الفارسی عدا بلاد فارس التي استولی علیها بعد فتح
العرّاق. ومحی الدوّلۃ الفارسیة من عالم الوجود وبعد ان انقرضت الدوّلۃ الکیانیة
الفارسیة العظیمة المجد المترامیة الأطراف عی ید الاسکندر وتم الأمر فی العرّاق
لليونان بعد وقعة اربیلا ثم دانت لهم بلاد فارس بعد قتل دارا الثالث وبهذا أصبح
العرّاق تحت حکم الاسکندر ثم انتقل إلى خلفائه السلوقيين وكانت مدة حکم اليونان
في العرّاق (٢٠٥) سنوات سنة (٣٣١-٢٦١ق.م) وذلك منذ ان فتحه الاسکندر
المقدونی إلى انقضاض الدوّلۃ السلوقیة اليونانیة عی ید البرتیین الفرس واتماماً لما
سبق كانت بلاد العرّاق (مملکة بابل) في عهد الکیانیة مربوطة بأتواة تدفعها للدوّلۃ
الفارسیة كغيرها من الولايات وكان لها حاکم عام مطلق يدير دفة السياسة والإدارة
والحرب معًا وكان بكل مدينة مجلس قضائي وفق شریعة البلاد لأن الفرس أبقووا
قوانين البلاد كما كانت قبل الاحتلال وكان الحاکم الذي يتولی أحد الأقالیم یسمی
(سانتراب) وفي روایة إنها كانت قد جعلت في كل ولاية ومدينة هیئة عدلة مؤلفة

من جماعة أكثرهم من كهنة الفرس أما الدين الرسمي للدولة الفارسية فهو دين (زردشت) او يطلق عليه (زورواستر) او زرادشت الذي ظهر في الفرس بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد وأدعى النبوة وأنه مرسى من الله جاء من عنده بكتاب سماوي وقد جاء زرادشت بقوانين دينية ونظمات سياسية ومدنية ووضع لقومه كتاباً سمي (الزاندافستا) ضمنه جميع تعاليم وإرشادات الدينية وعلى توالى الأعوام أصبحت شريعته رسمية في بلاد فارس وترك الفرس دياناتهم القديمة التي كانوا عليها منذ العصور الواحدة في القدم وهي عبادة القوى الطبيعية المختلفة وخاصة الشمس، كما كانت العرب تعبد الأصنام والأحجار إلا أن هذا الدين لم ينتشر في العراق أيام الفرس لأنهم لم يجبروا أحد على اعتنائه ولذا لم يعتنق أهل العراق هذا الدين وظل منحصراً في الجالية الفارسية حتى جاءت الدولة اليونانية ثم الساسانية فكثر أتباع هذا الدين من الفرس لتوالي الحكم الفارسي على البلاد ولما جاء العرب المسلمين قرررتها النصرانية قبل التدريج كما فرضوا البقية الباقية من ديانة البابليين الوثنية التي قرررتها النصرانية قبل الفتح الإسلامي العظيم.

فيروز شابور (الأنبار)

جاءت كلمة الأنبار من أنبار الطعام وأحدوها (نبر) مثل سدر ومعنى الأنبار جميع الطعام من التمر والشعير^(١)، ونبر الشيء رفعه ومنه المنبر بكسر الميم^(٢)، والمنبر هو مرقاة أو مكان جلوس الخطيب وقد سمي منبراً لأرتفاعه وعلوه^(٣).

(١) الرازى، محمد ابن أبي بكر ابن عبد القادر ، ومختار الصحاح (بيروت) ، ص ٦٤٣.

(٢) الفيروز ابadi، مجد الدين محمد ابن يعقوب - القاموس المحيط، القاهرة، ج ٢، ص ١٣٧.

(٣) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم - لسان العرب (بيروت)، ١٩٧٥ هـ،

ص ١٨٩.

وذكر أن موقع الانبار سمي أنباراً لأن فيه تخزن أنابير الطعام وكانت تسمى أيضاً (الأهراء)، وان كسرى ملك فارس كان يرزق قواته منها^(١). وإن الانبار سميّت أنباراً لأن فيها تخزن غلال الطعام والانبار من النبر والنبر هو القراد (الجراد) وهو حشرة أصغر من القراد لسعتها مؤذية تجمع على (أنبار)^(٢). والانبار إهراء الطعام وأحدّها نبر ، ويجمع على أنابير وسمى الهرى نبراً لأن الطعام إذا صب من موضعه انبر أي أرتفع، ولم يرد في القرآن الكريم ذكر كلمة نبر، أو أنبار أو منبر، وإنما وردت ألفاظ عديدة تقترب من معنى الكلمة منبر مثل الكلمة (العرش) في قوله تعالى {لَيْ وَجَدْتُ امْرَأَةَ تَلْكِهُ وَأُوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَكَاهَ عَرْشٌ عَظِيمٌ}^(٣) . والتي تعني كرسياً عظيماً^(٤).

وكذلك مثل الكلمة (المقام) في قوله تعالى {وَرَبِيعٍ وَمَاءِ كَرِيمٍ}^(٥) ، والتي تعني هنا المنابر على حد تفسير الطبرى، كما وردت لفظة (كرسي) في قوله تعالى {اللَّهُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ يُعْلَمُ مَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا يُؤْمَنُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَاذِي كِشْفٍ عِنْدَهُ إِلَّا يَأْذِنُهُ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِ وَمَا خَفْفَهُ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا مَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَقُوْدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ أَعْلَى الْعَظِيمِينَ}^(٦) .

(١) الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير (تاریخ الرسل والملوک)، تحقیق: محمد أبو الفضل إبراهیم، دار المعرفة، (مصر - ١٩٦٠م)، ج ١، ص ٦١١.

(٢) یاقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر.

(٣) سورة النمل، الآية: ٢٣.

(٤) الطبرى، تفسیر الطبرى، (مصر - ١٩٦٠م)، ص ٨٤.

(٥) سورة الدخان ، الآية ٢٦.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

ويذكر الاستاذ قیس حسین رشید فی كتابه (فیروز شاپور) فی صفحة ٢٥ أن هناك من يرى أن جميع هذه الألفاظ القرآنية لا تعنی المنبر المعروف فی العمارة الاسلامية^(١). تلك الكلمة التي حاول البعض ارجاعها إلى أصول جبشية في حين هي مشتقة من الجذر (نبر)^(٢).

أما فی الحديث الشريف فقد وردت كلمة النبر وهي تعنی همز الحرف. قال رجل للنبي (ص) يابنی الله قال: لا تبر باسمی "أی تهمز وفي رواية قال رسول الله (ص) إنا معاشر قريش لا ننبر" ، والنبر همز الحرف كما ورد فی لسان العرب لأبن منظور وتکاد تجمع الأراء بأن الانبار قد سمیت أنباراً لأنه كان يجمع بها أنبار الحنطة والشعير وأنها تعنی بيت التاجر الذي يجمع فيه المتاع والغلال وأکdas البر وأحدها نبر وجمعها أنبار. ونبر الشيء نبراً : رفعه ويقال نبر فی قرائته أو غناءه أی رفع صوته والنبر فی النطق ابراز أحد مقاطع الكلمة وأنبر الشيء أرتفع ويقال أنبر الجرح أی تورم^(٣). وفي رواية مفادها ان الملوك الساسانيون^(٤)، المتأخرین قد اختاروا هذه المدينة الحصينة لإقامة دور الصنعة، والانبار لأنها تتوسط أخصب أقالیم الدولة كما إنا ترتبط بعاصمتهم طیسون^(٥)،

^(١) الف الدين، أمل متاب، المنابر العراقية حتى نهاية العصر العباسی، (بغداد ٢٠٠٨م)، ص ١١.

^(٢) الفیروز ایادی، القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٣٧.

^(٣) مصطفی إبراهیم وآخرون، المعجم الوسيط المکتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزیع، (اسطنبول) ، ج ٢ ص ٨٩٧.

^(٤) ينحدر الساسانيون من مدينة اسطخر فی إقليم فارس وقد عرروا بالساسانيین نسبة إلى جدهم الاعلى (ساسان) کاھن بيت النار، فی اسطخر.

^(٥) طیسون مدينة على بعد ٢٠ میل جنوب العراق على الضفة اليسرى من نهر دجلة التي اصبحت مركزاً للحكم الساساني غزاها الرومان فأحرقوها سنة ١٦٢هـ. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٥.

بواسطة قناعة مائیة صالحہ للملاحة وإن کثرة هذه الأنبار هي التي جعلت تسمیتها بهذا الاسم.

إذ أن کلمة الأنبار تعنی الأهراء وهي جمع نیر المشتقة كما يرى البعض من اللغة الفارسية القديمة (هم بارة)، وهي في اللغة الفارسية الحديثة (أنبر)^(١). ونحن لا نتفق مع هذا الرأي ونرجح أصلالة عربية الكلمة وقد تعددت الأراء التي تناولت تسمیة موقع الأنبار شأنها في ذلك شأن أغلب تسمیات المدن الأخرى فقد ذکر الطبری أن نزول العرب أرض العراق وثباتهم فيها وإتخاذهم الحیرة والأنبار منزلاً لأن ختصر (نبوخذننصر)^(٢). أمر أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ووطأ بلادهم فقتل رجالهم، واستباح أموالهم فخرجت طوائف منهم مسالمين فأنزلهم بختصر أرض السواد على شاطئ الفرات فأبتووا موضع عسکرهم فسموه (الأنبار)، كما أنه أتخد الحیراً على النجف وحصن من كان عنده وحرسهم ثم خلا عن أهل الحیرة فأتخذوها منزلاً فلما مات بختصر انضموا إلى أهل الأنبار وبقي ذلك الحیر خراباً^(٣).

وذكر أن موقع مدينة الأنبار قد أتخده بختصر (نبوخذننصر) مكاناً لحبس أسرى العرب الذين حاربهم ولهذا سمیت بهذا الاسم^(٤). واختلف التقليدي مع الطبری وياقوت الحموي في قومية الأسرى وأن كان قد اتفق معهم في أن موقع

^(١) فرنسيس، بشیر وعواد، کورکیس، نبذة تاریخیة فی أصول اسماء الامکنة العرایقیة . مجلد سومر (بغداد ١٩٥٢)، ج ٨، ص ٢٥٢.

^(٢) تذكر المصادر الملك البابلی نبوخذننصر بصیغة (بختصر) واعطیت له تفسیر بأنه يعني أین الصن.

^(٣) تاریخ الرسل والملوک، ج ١، ص ٥٥٨.

^(٤) الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٥٧.

مدينة الانبار كانت معسراً للأسري فقد أورد بأن المدين كانت معسراً لجمع الاسرى اليهود^(١).

ويورد الاستاذ جواد علي نصاً وضح فيه أن برخيا النبي لما قدم من نجران وأخبر بختصر بما أوحى الله إليه وقص عليه ما أمر به من غزو العرب الذين لا أخلاق لبيوتهم ولا أبواب وأن يطه بلادهم بالجند فقتل مقاتليهم ويستبيح أموالهم وأعلمهم كفرهم به وأتخاذهم الهة من دون الله وتذكيتهم الرسل والأنبياء، وبذلك وثب بختصر على من كان في بلاده من تجار العرب وكان يقدموه عليه بالتجارات ويشترون من أراضيه التمر والثياب وغيرها فجمع من ظفر به منهم فبني لهم حيراً على النجف وحصنه ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرساً ونادى الناس بالغزو فتأهلاً لذلك وأنشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه طوائف منهم مسالمين فأستشار بختصر فيهم برخيا فقال:

إن خروجهم إليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع مهم عما كانوا عليه فأقل منهم وأحسن إليهم فأنزلهم بختصر السواد على شاطئ الفرات فابتزوا موضع عسكرهم به فسموه الانبار^(٢). وقيل ان بختصر دخل على العرب وحارب

(١) كانت هناك حملتان لتبخذ نصر على الملك اليهودية الأولى عندما قام ملك يهودا المدعو (يهوياقيم) بالتحالف مع مصر ضد البابليين إذ أرسل تبخذنصر عام ٥٩٧ ق.م. قواته لمحاصرة أورشليم وقد مات يهوياقيم أثناء الحصار الذي أنهى بأخذ ابنة يهوياقيم أسرىً إلى بابل مع النبلاء والحرفيين والقوات والحملة الثانية كانت عام ٥٨٦ ق.م. عندما انضمت أورشليم إلى القوات المصرية ضد البابليين مرة أخرى وبعد انسحاب المصريين من فلسطين تحت ضربات الجيش البابلي حوصلت أورشليم واستسلمت من المجاعة وفُقئت عيناً (صدقها) آخر ملوك يهودا وأخذ أسرىً إلى بابل مع قسم كبير من السكان. (ساكز وهاري، عظمة بابل،

ترجمة عامر سليمان، الموصل ١٩٧٩، ص ١٧١.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٣، ص ١٦٠.

عدنان فأجتمع أكثر العرب ضده فقتل فيهم وأثخن ثم رجع إلى بابل^(١). بما جمع من سبابا لهم فألقاهم بالأنبار فقتل أنبار العرب وبذلك سميت الانبار وخالفتهم بعد ذلك النبط^(٢). ولم نجد ما يؤيد ذلك في النصوص السماوية التي ذكرت أعمال الملك نبوخذنصر (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م.)، وأورد ياقوت الحموي رواية مفادها ان الانبار هي حد بابل ويقال لها (الأهراء)، فلما دخل العرب إلى المدينة عربوا المفردة فقالوا لها الانبار.

ويعتقد الاستاذان طه باقر وفؤاد صفر أن المكان سمي بالأنبار في القرن السادس الميلادي لأن قلعته أصبحت مخزنًا كبيرًا للساسانيين وان كلمة الانبار تعني ما تعنيه المفردة العامية (عنبار) ومعناها المخزن أو مكان خزن الحبوب. وعلى الأرجح أ، العرب هم من أطلقوا كلمة الانبار على المكان الذي كان يعرف من قبل الساسانيين (فيروز شاپور) وأصبح هو الاسم الرسمي له ومنذ ذلك الحين (القرن السادس الميلادي) بدأت تختفي كل التسميات القديمة للمدينة واصبحت تعرف بأسمها الجديد (الأنبار)^(٣).

بينما ذكر المؤلف صاحب هذا الكتاب (قاموس المصطلحات العشائرية والنسبة للقبائل العربية) (فيروز شاه) أو الانبار بنص كتابه المذكور ، الانبار مدينة عراقية قديمة تقع أطلالها اليوم على ضفة نهر الفرات اليسرى وعلى بعد حوالي ٦ كم إلى الجنوب من صدر جدول الصقلاوية الحالي حوالي (٤٨كم) إلى

(١) تقع أطلال مدينة بابل على نحو ٩٠ كم جنوب بغداد على ضفاف نهر الفرات الذي يشطرها إلى نصفين وقد سماها البابليون القدماء (باب-أيلي) أي باب الإله وكتبوا اسمها على هذا بالعلامات.

(٢) العزاوي، عباس، عشائر العراق، بيروت ، ج ١، ص ٣٧.

(٣) هناك مدينة ثانية تعرف بالأنبار تقع قرب بلخ وتعتبر قصبة جورجان أرضها جبلية يكثر فيها الماء وبساتين الكروم ومبانيها من الطين (البغدادي) مراصد الاطلاع، ج ١، ص ١٢٠.

الشمال من مدينة الفلوحة، بناها سابور الثاني الساساني (٣١٠-٣٨١ م) وقيل سابور الأول^(١)، (٢٤١-٢٧٢ م) وكانت تدعى الانبار (فiroz shah)^(٢)، وجاء في (نزة القلوب) لحمد الله المتوفي سنة (٧٤٠ هـ / ١٣٤٠ م) أن مؤسس الانبار سابقاً هو الملك (مهراب قايانيان) وكانت معتقلة لأسرى اليهود الذين سباهم بختنصر لذلك سميت الانبار ثم جدد بناءها سابور الثاني وقد أطلق عليه اسم (ميان مرقلان) اسم (بيريسايراس)^(٣). وذلك عند وصفه حملة جوليان (٣٦٣ م) كما أنه وصف سورها المزدوج المنبع ، وقد كان للانبار مكانتها في زمان العرب إذ أتخذها الخليفة العباسى الأول أبو عبد الله السفاح (١٣٢ هـ / ٧٥٠ م). عاصمة مملكته بعد القضاء التام على الدولة الاموية و هروب ملكها مروان ابن محمد حفيظ مروان ابن الحكم شيخ بنى أمية الملقب بـ (مروان الحمار)^(٤). بعد أن خسر المعركة في وقعة الزاب و هروبه إلى مصر و مقتله في قرية مصرية اسمها (بوصير) عام ١٣٢ هـ، وبعد أن استقر السفاح في الانبار شيد لزوجته هند وهي بنت يعقوب المخزومي قصراً و اشتهرت باسم أم سلمة وكانت قبل ذلك زوجة لعبد العزيز ابن الوليد ابن عبد الملك ابن مروان وبعد وفاته تزوجت بأخيه هشام بن عبد الملك وكانت جميلة و غنية جداً و تعتبر أول زوجة لخليفة عباسى وأنجبت له ولديه محمد وريطة. وقد ذكر (ياقوت)^(٥). إن ابا جعفر المنصور (١٣٦ هـ / ٧٥٤ م) هو أخو السفاح سكن القصر أيضاً رحراً من الزمن بعد وفاة السفاح ثم

^(١) مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص ٨٤٠.

^(٢) فiroz shah: اسم فارسي قديم اطلق على الانبار قبل الإسلام.

^(٣) بيريسايراس: اسم الانبار الجديد الذي اطلقه القائد ميان مرقلان.

^(٤) مروان الحمار هو لقب آخر الخلفاء الامويين مروان ابن محمد الذي قتل في مصر عام ١٣٢ هـ ، وبها أنهت بنى أمية.

^(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، م ١، ص ٤٠.

انتقل منه إلى العاصمة الجديدة بغداد (٤٥ هـ)، وقد قام اليهود المتواجدين بكثرة في مناطق الانبار بتسمية الرمادي بـ (فومبديثة) حيث كان تجمع اليهود من السبي البابلي وأسسوا فيها إحدى كبريات المدارس التلمودية (التوراة) ولفظة (فومبديثة) تعني باليهودية فهم البداء، والبداء ذكرها الياقوت في معجم البلدان ووصفها بكونها هي الجبة^(١)، وطوسجان من العراق سواد الكوفة وقد ذكر (بنيامين التطيلي) الذي زار العراق في القرن الثاني عشر الميلادي أن الانبار هي فومبديثة^(٢). وإنه يقيم فيها نحو ألفي يهودي بينهم العلماء والفقهاء وبعد الفتوحات الإسلامية أصبحت الانبار مركزاً لجمع الجيوش العربية والإسلامية لنشر مبادئ الدين الحنيف في أرجاء المعمورة بعد أن كانت تجمعاً ومسكناً وتجارة للفرس واليهود.

العصور التاريخية في العراق القديم

الواردة في الدراسة

١	العصر الحجري القديم	٢٠٠٠٠٠ ق.م.
٢	العصر الحجري الوسيط	(انتهى بحدود ١٠٠٠٠٠ ق.م.)
٣	العصر الحجري الحديث	٥٠٠٠ - ٨٠٠٠ ق.م.
٤	العصر الحجري المعدني	٥٠٠٠ - ٢٩٠٠ ق.م.
٥	عصور فجر السلالات	٢٩٠٠ - ٢٣٧٠ ق.م.
٦	العصر الأكدي	٢٣٥٠ - ٢١٨٠ ق.م.

(١) الجبة: لا يزال هذا الاسم موجوداً لحد الان في الانبار.

(٢) فومبديثة: كلمة يهودية اطلقت على الانبار كتسمية جديدة لها مدلولها الديني في التوراة.

٧	سلالة أور الثالثة	٢١١١-٢٠٠٣ ق.م
٨	العصور البابلية	القديم ٢٠٠٣-١٥٩٥ ق.م الوسطى ١٥٩٥-١٤٦٢ ق.م الحديث ١٤٦٢-٥٣٩ ق.م
٩	العصور الآشورية	القديم ١٤٦٥-١٨١٣ ق.م الوسطى ١٣٦٥-٩١١ ق.م ال الحديث ٩١١-٦١٢ ق.م
١٠	العصر الأخميني	٥٣٩-٣٣١ ق.م
١١	عصر الاسكندر المقدون	٣٣١-٣٢٣ ق.م
١٢	العصر السلوقي	٣١١-١٣٩ ق.م
١٣	العصر الفرثي	١٣٩-٢٢٧ ق.م
١٤	العصر الساساني	٢٢٧-٦٣٧ م

ملوك العصر الساساني ٦٣٧-٢٢٧ م

الاسم	سنة الحكم	ت
أردشير الأول (انتصر على الملك الفرثي ارطباخ الخامس)	٢٤١-٢٢٧ م	١
شابور الأول (سابور الجندي)	٢٧٢-٢٤١ م	٢
هرمز الأول	٢٧٣-٢٧٢ م	٣
بهرام الأول	٢٧٦-٢٧٣ م	٤

م ۲۹۳-۲۷۶	بهرام الثاني	۵
م ۲۹۳-۲۹۳	بهرام الثالث	۶
م ۳۰۲-۲۹۳	نرسای	۷
م ۳۱۰-۳۰۲	هرمز الثاني	۸
م ۳۱۰-۳۱۰	ادر ترسی	۹
م ۳۷۹-۳۱۰	شابور الثاني (سابور ذو الاكتاف)	۱۰
م ۳۸۳-۳۷۹	اردشیر الثاني	۱۱
م ۳۸۸-۳۸۳	شابور الثالث	۱۲
م ۳۹۹-۳۸۸	بهرام الرابع	۱۳
م ۴۲۰-۳۹۹	يزدجر الاول	۱۴
م ۴۲۰-۴۲۰	كسری	۱۵
م ۴۳۸-۴۲۰	بهرام الخامس	۱۶
م ۴۵۷-۴۳۸	يزدجر الثاني	۱۷
م ۴۵۹-۴۵۷	هرمز الثالث	۱۸
م ۴۸۴-۴۵۹	فیروز الاول	۱۹
م ۴۸۸-۴۸۴	بلس	۲۰
م ۴۹۶-۴۸۸	قباذ الاول	۲۱
م ۴۹۸-۴۹۶	جاماسب	۲۲
م ۵۳۱-۴۹۸	قباذ الاول (للمرة الثانية)	۲۳

٥٧٩-٥٣١	کسری الاول آتو شروان	٢٤
٥٩٠-٥٧٩	هرمز الرابع	٢٥
٦٢٨-٥٩٠	کسری الثاني	٢٦
٦٢٨-٥٩٠	بهرام السادس	٢٧
٦٢٨-٥٩٠	بستان	٢٨
٦٢٨-٥٩٠	قباذ الثاني	٢٩
٦٣٠-٦٢٨	اردشير الثالث	٣٠
٦٣٠-٦٢٨	براز	٣١
٦٣٠-٦٣٠	کسری الثالث	٣٢
٦٣٠-٦٣٠	بوفانشیر	٣٣
٦٣٢-٦٣٠	بوران	٣٤
٦٣٢-٦٣٢	جوشنسبند	٣٥
٦٣٢-٦٣٢	ازارمیدوخ	٣٦
٦٣٢-٦٣٢	هرمز الخامس	٣٧
٦٣٢-٦٣٢	کسری الرابع	٣٨
٦٣٢-٦٣٢	فیروز الثاني	٣٩
٦٣٢-٦٣٢	کسری الخامس	٤٠
٦٣٧-٦٣٢	یزدجر الثالث (فی العراق)	٤١
٦٥١-٦٣٢	(فی ایران)	

خلاصة الاستنتاجات لمدينة فيروز شابور (الأنبار

من خلال الدراسة والاطلاع على تاريخ الأنبار قديماً ظهر مايلي:

١- الأنبار مأخوذة من مفردة (نبر) بسبب ما كان يجمع فيها من أنابير الطعام في مخازن لجمع الحبوب الحنطة والشعير.

٢- يذكر المؤرخون أن الملك البابلي الكلداني نبوخذنصر (٥٦٢-٦٠٥ ق.م) جعل المنطقة مكاناً لتجمع العرب لمقاتلتهم وقد انتصر عليهم وبعد ذلك اختارها لإقامة دور صناعة لأنابير الطعام لقواته لمكانة المدينة الاقتصادية والعسكرية لكونها كانت أخصب الأقاليم.

٣- كانت منطقة الأنبار شهدت استيطان الإنسان العراقي منذ العصر الحجري القديم (٢٠٠٠٠ ق.م) بدليل الشواهد المادية في النصوص المسماوية يعود لعصر أور الثالثة (٢١١١-٣٠٠٣ ق.م) وعرفت الأنبار قديماً باسم (رابيقوم) قرب الفلوحة وهي نفس اطلال مدينة الأنبار.

٤- عرف موقع مدينة الأنبار في العصر البابل الحديث (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) باسم (مشيك) أو (مسكين) ثم أورد الفريثيون (١٣٩-٢٢٧ ق.م) أسماءً أخرى (بسيخانا) أما في العصر الساساني (٢٢٧-٦٣٧ م) فقد ذاع اسم (فيروز شابور) على المدينة وهناك من يرى أن الملك الساساني سابور الأول (٢٤١-٢٧٢ م) هو الذي أمر ببناء مدينة له في الأنبار وسماها بالفارسية (سابور المنتصر).

٥- وقد عرفت أيضاً باسم مدينة (فوم بديشا) أو (فومبديثه) كما سماها الدكتور أحمد سوسة في كتابه العرب واليهود في التاريخ عند اليهود إذ كان يقيم فيها أعداد كبيرة منهم وقد ساهمت في كتابة التلمود البابلي.

٦- وعرفت أيضاً باسم (برسابوراس) عند الرومان الذين هاجموا الانبار قيادة الامبراطور جوليان سنة (٣٦٣).

٧- تقبلت الانبار الديانة المسيحية وشهدت أرضها بناء العديد من الأديرة والكنائس منذ أوائل القرن الثالث الميلادي وكونت مع مدينة الحيرة مهداً ملائماً للنشوء والانتشار بعد اعتناق ملوك المناذرة للديانة المسيحية ووردت تسميات لمدينة الانبار مثل (ابارون) و (اباريون) مع دخول القرن السادس الميلادي عرفها التاريخ باسم الانبار.

٨- كانت الانبار هي المدينة الحدوية بين بلاد بابل وبلاد آشور وكان يرد أسمها ضمن حملات ملوك الدولتين وتحملت المدينة من التخريب والتدمير من جراء الصراعات التي حدثت بعد انتهاء الحكم الوطني بسقوط بابل سنة ٥٣٩ق.م وبدأ عصور الاحتلالات الاجنبية وهي الاخميني (٥٣٩ق.م-٣٣١ق.م) والسلوفي (٣٩-٣١١ق.م) والفرثي (١٣٩ق.م- ٢٢٧م) والساساني (٢٢٧-٦٣٧م).

٩- من الانبار تم فتح أول قناة ملاحية بين نهر الفرات ونهر دجلة والتي عرفت باسم (حدائق) ثم نهر عيسى ثم الكرمة ثم الصقلاوية وكان لهذه القناة دور كبير في نقل البضائع الواردة من المدن السورية وبلاد الاناضول إلى العراق ومدن الخليج العربي والجزيرة العربية فضلاً عن وظيفتها في رى المناطق الزراعية الواقعة بين الفرات غرباً ودجلة شرقاً.

١٠- الانبار شهد اختراع الخط والحرف العربي فكان لأهلها الدور الريادي في تطوير الحرف النبطي المنظور أصلاً من الخط الأرامي.

اسماء مدينة الانبار عبر العصور التاريخية

الواردة في الدراسة

الفترة التاريخية	التسمية	ت
رابيقو رابيقوم العصور الآشورية (١٨١٣ - ٦١٢ ق.م)	ربقي	١
العصر البابلي الحديث (٦٢٦ - ٥٣٩ ق.م)	مشيك مسكين	٢
العصر الفرثي (٢٢٦ - ١٣٩ ق.م)	بسيخانا	٣
العصر الساساني (٢٢٧ - ٦٣٧ ق.م)	برزج سابور بیروز سابور فیروز سابور فیروز شابور	٤
عصر ما قبل الإسلام (نهاية القرن السادس الميلادي)	الانبار	٥

اسماء مدينة الانبار عند القوام

والدول الواردة في الدراسة

النمبر	ال القوم أو الدوله	الاسميه
١	عند اليهود	فوم بديثا فوم بديثا
٢	عند الرومان	بريسا بوراس
٣	عند العرب في العصر الساساني	ابارون اباريون
٤	عند العرب في نهاية القرن السادس الميلادي	الأبار

معارک العرب المسلمين فی عهد الخلفاء الراشدين

بدئاً من حروب الردة

ظهر الإسلام كرسالة سماويه حملها عرب الجزيرة العربية إلى الإنسانية جماء، وكان القرآن المنزل من الله سبحانه وتعالى يحوي الإيمان كله ولكنه لم يقرر شكل نظام الحكم لتكون عليه الحكومة الإسلامية ولم ينص على كيفية تنظيم سلطاتها وإنما قرر الأسس الثابتة التي يجب إن يقوم عليها نظام الحكم تحقيقاً للعدالة والسبب في ذلك إن مصالح الناس تختلف اختلاف البيئات والأزمان والأحوال فرب قانون يحقق مصلحة في زمن ما يثير المفاسد في زمن آخر أو لأمة أخرى فلو شرع الله في القرآن أحكاماً مفصلة محددة لأوقع المسلمين في الحرج لاسيما إذا وجدوا إن مصلحتهم تتناقض مع تعاليمه لهذا كان من حكمة الله إن شرع في القرآن الأحكام الأساسية والمبادئ العامة التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان وترك الفروع والتفاصيل تتصرف فيها كل أمة وفق ما تراه بما يحقق مصلحتها على إن لا تشذ هذه الفروع عن الأحكام الأساسية التي قررها القرآن ونقلها وإيصالها بعد الإيمان المطلق با الله ورسوله إلى أبعد نقطه في الأرض عن طريقتين هما طريق الحوار والإقناع على الإيمان با الله ورسوله ونبذ عبادة الأوثان والأصنام والشمس والقمر والنار والأحجار والطريق الآخر هو السيف والحوار الممزوج بالقوة والشدة والسيف عند الضرورة بعد أن تنتهي القوة والعقيدة الثابتة لإرهاب العدو وصدق الله في قوله تعالى {وَأَعْدَوْا لَهُمْ مَا اسْتَطَعُتُمْ إِنْ قُوَّةٌ وَمِنْ مَرْتَابِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَذَّوْ اللَّهُ وَعَذَّوْ كُنْ} الأنفال. فعندما ظهر الدين الإسلامي الجديد في أرجاء الجزيرة العربية قام بنشر الدعوة نبينا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ورسالة هذا الدين الحنيف الإيمان با الله ورسوله حاملاً المودة والرحمة والتسامح وكل المثل

العليا وسيلة وغاية إلى الحكمة والموعظة الحسنة إلا أن الإسلام لم يغفل قط ذلك الوجه الآخر للسلام وهو الحرب ولكنها ليست الحرب من أجل الحرب بل الحرب ضد كل معتدي أثيم وضد العداون وأجاز القتال وال الحرب من أجل الدفاع عن النفس والعرض المال. ومن أجل إعلاء كلمة الله عز وجل ففي سبيل ذلك بدأت الغزوات والحروب في بدأ الدعوة وفي الفتوحات العربية الإسلامية لنشر وترسيخ الإسلام وكان للسيف دائماً مكان الشرف والعز وحروب التحرير والفتحات وصلت إلى معاقل الفرس والرومان في الشرق والغرب.

ونال العرب والمسلمين ما يستحقونه من التقدير بفضل دينهم وإيمانهم المطلق وقدراتهم العسكرية المتميزة آنذاك وبسبب الإيمان والعقيدة التي ملأت قلوبهم منذ بداية سيرتهم وحتى نهايتها وصاحتهم من معركة بدر في الحجاز حتى معركة القادسية الحاسمة حيث كانت الدعامة والركيزة الأساسية لتحقيق النصر على الأعداء في جميع الفتوحات الإسلامية وإتماماً للفائدة التاريخية المستتبطة من خلال المعارك علينا معرفة معارك العرب ضد الإمبراطورية الفارسية القديمة في عهد الخلفاء الراشدين ومنها معركة القادسية بدءاً من انتهاء حروب الردة الطاحنة وإخماد التمرد الذي قاده أبو مسليمة الكاذب^(١). حيث وجه الخليفة (أبو بكر) همه الكبير لإشغال العرب المسلمين بالحروب الخارجية لتوحيد القبائل العربية بعد

^١ مسليمة بن حبيب الملقب بالكاذب ولد في اليمامة في وسط الجزيرة العربية ونذكر بعض المصادر (تاريخ الخلفاء للسيوطى نشير إلى انه ولد قبل عام الفيل بوقت طويل وعاش في كنف الكنيسة مدة طويلة وكان يطع صليباً من الفضة في عنقه ويردد الآية التي وردت في الإنجيل (إذا أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل أملك وأعطي الفقراء فيكون لك كنز في السماء) وكان مسليمة يحسن اللغة اللاتينية لكونه سكن القدس سنتين وله من الأولاد من زوجته الأولى (هاجر) التمييمية ثلاثة هم: حبيب وشريهيل وثمامه وقتل بعد الردة من قبل وحشى بن حرب في معركة اليمامة وقد تعدى من العمر مئة عام حسبما ورد في كتاب السيوطى.

تفککها أثناء حروب الردة التي راح ضحيتهاآلاف المقاتلين من كلا الطرفين ونشر الدعوة الإسلامية من جهة ولأنها كانت من جهة أخرى حب العرب للغزو والقتال، حتى قرر الخليفة بعد استشارة مستشاريه من كبار الصحابة على تهيئة القبائل المنتشرة في أرجاء الجزيرة لتشكيل الجيوش الجراره للخلاص من الاستعمار الفارسي والروماني لنشر الدين الإسلامي في كافة ربوع المناطق العربية المحتلة وكان يجاور العرب دولتان عظيمتان وكبيرتان استعمرت واحتلت الجزيرة العربية وما يجاورها لمئات السنين هما دولة الفرس المجوسية ودولة الروم المسيحية وكان لهاتين الدولتين من الملك والنفوذ والثروة مما يصعب مجابهتها قبل الإسلام لتفرق القبائل العربية وانضمام بعض العشائر العربية إلى الروم وإلى الفرس وبقيت بعض العشائر العربية المعروفة حتى بعد الإسلام يحاربون أبناء عمومتهم مع الأجنبي وهذا ما يقره المؤرخون العرب والأجانب. ولكن بعد الإسلام تهيأت القوة والظروف الجهادية والروح المعنوية للتخلص من الاستعمار والاضطهاد فبدأت معارك العرب ضد أعدائهم الفرس والروم في عهد الخلفاء الراشدين وخاصة معارك العرب في القادسية الحاسمة وفي معركة البويب عندما علم بلاط كسرى بوصول نجدات جديدة إلى القائد المثنى فنسي الفرس خلافاتهم، وأنفق رستم والفيروزان وتناسوا تقاسم السلطات والحكم بينهما وجهزوا جيشاً كبيراً سلماً قيادته إلى مهران الهمذاني وأمراءه بأن يسرع إلى قتال العرب، ولما وصلت أخبار مهران إلى المثنى ترك مرج السباح وتقىد إلى البويب حيث وصلها الجيش الفارسي وعسكر في الضفة الثانية من نهر الفرات وكانت النجدات تصل إلى المثنى تباعاً من المدينة المنورة وقد بعث مهران إلى المثنى يقول (أما أن تعبروا إلينا أو نعبر إليكم)، فأجابه المثنى بأن (أعبروا أنتم). عبر الفرس ونظموا صفوفهم ثم أشتبك الطرفان بقتال دامي استمر ساعات طويلة ولما رأى

القائد الإسلامی المثنی أن النصر مشکوك فيه قرر الهجوم بنفسه على قائد الفرس وقتله لأضعاف معنويات قطعاته فدعى إليه (أنس بن هلال النمری) و (ابن مردي الفهر التغلبی) وهم من النصاری فحمل الثلاثة على مهران قائد الفرس، فلما رأى الفرس الخطر المحدق بقادتهم تجمعوا حوله لحمايته فاختلت صفوف الفرس فأستغلها العرب وشددوا الحملة عليهم ودفعوهم إلى النهر فأزداد الخرق بين صفوف الفرس فلم يستطعوا الثبات فولوا هاربين وفرسان العرب يتعقبونهم وحينما أراد الفرس عبور النهر سبّهم المثنی إلى الجسر وقطع عليهم طريق رجعهم وحصراهم بين نارين والمقاتلين العرب يمضون بهم قتلاً حتى تمكن غلام نصراني من التغلب عليه فقتل مهران واستولى على فرسه واقتادها صاحباً (أنا الغلام التغلبی أنا قتلت المرزبان) ويفدر بعض المؤرخین ان أكثر من ثلثي الجيش الفارسي قد أيد في هذه المعركة ولم ينج منه إلا عدد قليل وقد قتل في المعركة مسعود شفیق المثنی وأنس بن هلال النمری النصراني فضمهما المثنی إلى صدره وبكاهما ولم يفرق اختلاف دینهما من جبه ووجده عليهما وبدأت معركة القادسية.

بعد انتهاء معركة البویب تقدمت طلائع جیش المثنی فاختلت ساباط وقریة بغداد وتکریت وأخذت تهدد المدائن، فأنتبه الفرس إلى هذا الخطر المحدق بهم فتشاوروا بالأمر فظهر لهم بأن لاطاقة لهم بصد جیوش المثنی ما لم تتوحد كلمتهم ویوقفوا بين قادیهم رستم والفیروزان اللذین کانا یتنازعان السلطان بعد أن خلی العرش بوفاة بوران. فنجد بعض ذوي النفوذ بالتوافق بینهما بعد أن صور لهما الخطر العربي الذي یهدد تدمیر هذا العرش الذي یتنازعان عليه. وهذا احدث كلمتهم ووافقو على تنصیب ((بیزدجرد)) بن شهریار على عرش اجداده، وأخذوا یستعدون لصد الزحف العربي، فجمعوا جیشاً کیراً أخذ یتحشد في المدائن.

فلما وصلت أنباء هذا الحشد إلى القائد العربي المثنى أدرك إنه غير قادر بقوته القليلة على صد تعرض هذا الجيش الكبير، لذلك قرر الانسحاب من المراكز التي أحتلها إلى ((ذي قار)) وكتب إلى الخليفة يطلب إليه المدد لإيقاف الزحف الفارسي المنتظر، ومن ثم مواصلة الزحف لتطهير أرض العراق من العدو.

نزل المثنى ((ذي قار)) ولم يفكر الفرس بتعقبه لأن رستم قائدتهم الأعلى كان متشائماً ومعنوياً خائراً، لا يجد الاشتباك بقتال مع العرب بالوقت الحاضر وكان يفضل الدفاع وانتظار تقدم العرب نحو المدائن وصدتهم عنها.

جيش سعد بن أبي وقاص

وصلت أنباء تحشد الفرس واتحاد كلمتهم إلى عمر بن الخطاب فدرس الموقف العام في جبهة العراق وسوريا. فوجد أن قواته في العراق غير قادرة على مواصلة التقدم والدفاع في محلاتها الحالية ما لم تعزز بجيش كبير قادر على تحرير العراق. ولما كان الموقف في سوريا يساعد على إرسال مثل هذا الجيش بعد أن تم تدمير الجيش الرومي في معركة اليرموك الفاصلة قرر الخليفة استنفار القبائل العربية وارسال البعثات لحثها على الجهاد والتجمع في المدينة.

وبعد فترة وجيزة تجمع جيش قوامه ٤آلاف محارب انتدب لقيادته ((سعد بن أبي وقاص)) وطلب إليه اكمال تجهيز هذا الجيش وتسلیمه وانجاز الاستعدادات لحركته.

والقائد المنتخب هو سعد بن مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الذهري.

نشأ في مكة وكانت صناعته بري السهام وصناعة القسي. وهو من أوائل المسلمين فقد أسلم وعمره سبعة عشر عاماً. اشترك في جميع الحروب التي دارت بين المسلمين وقريش، وكان من أمراء رماة السهام في الجيش الإسلامي،

حتی إنہ کان فی معرکة ((أحد)) بجنب الرسول الکریم (ص) یرمی والرسول یناوله النبل ویقول له ((ارم فذاک أبي وأمی)). و هو أحد العشرة المبشرة بالجنة الذين توفی الرسول و هو عنهم راض.

و كان سعد قائداً ممتازاً، ذا خبرة و مقدرة و دراية بفنون القتال، إدارياً حازماً راجح العقل، بعيد النظر، سريع القرار، قوي الإرادة، شجاعاً. ولقد وصفه عمرو ابن معدی كرب قائلًا:

((إنه متواضع في خياله، عربي في غرته، اسد في ثاموره، يعدل في القضية، ويقسم بالسوية، ويبعد في السرية، يعطى علينا عطف الام البرة، وينقل علينا حقنا نقل الذرة)).

ولما حان وقت الحركة دعا عمر سعداً و زوده بنصائحه التالية:

((أني ولیتاك حرب العراق، فاحفظ وصيتي، فإنك تقدم على أمر شديد كريه، لا يخلص منه إلا الحق، فعود نفسك ومن معك الخير، واستفتح به، وأعلم ان لم لمل عادة عتاداً، فعتاد الخير الصبر، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك تجتمع لك خشية الله، وأعلم ان خشية الله تجتمع في أمرین: في طاعته واجتناب معصيته، وإنما اطاعة من اطاعه ببعض الدنيا وحب الآخرة، وعصيان من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء، منها السر ومنها العلانية، فاما العلانية فأن تكون حامدة ذامة في الحق سواء، أما السر فيعرف بظهور الحکمة من قلبه ولسانه، وبمحبة الناس، فلا تزهد التحبيب، فأن البنين قد سالوا محبتهم ، وان الله إذا أحب حبيه إلى خلقه، فأعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، وأعلم ان مالك عند الله مثل ما للناس عندك)).^(١).

^(١) الطبری ، ج ٣، ص ٤٨٣.

انطلق سعد بجيشه من المدينة وكان يضم بعض ابطال العرب مثل عمرو بن معدى كرب الزبيدي، وطلحة بن خويلد الاسدي، والاشعث بن قيس الكندي، وغيرهم من الزعماء كل على رأس قبيلته. وبعد مسيرة الجيش أخذت القوات تقبل تترى على المدينة تلبية لنداء عمر فيبعثها في أثر سعد لتتضم اليه، كما انضمت اليه بعض القبائل العربية التي كان يمر بمنازلها. ولم يكد يقترب من ((زرود)) حتى بلغت قواته عشرين الف مقاتل. وقد أرسل عمر رسالة إلى أبي عبيدة بن الجراح القائد العام في سوريا يطلب فيها اليه إرسال قوة لتلتتحق بقوة سعد في العراق.

افرز أبو عبيدة قوة مقدارها ستة الاف محارب بقيادة ((هاشم بن عتبة بن أبي وقاص)), ابن أخي سعد وأمرها بالمسير نحو العراق.

أما قوة المثنى التي انسحبت إلى ذي قار فكانت ثلاثة الاف محارب انضم إليها ما يقارب الخمسة آلاف من القبائل المجاورة.

وحين بلغ سعد حدود العراق، أكتمل تحشد هذه القوات كلها عدا القوة المرسلة من الشام. وقبل حركة سعد من زرود أرسل قوة من ٥٠٠ فارس بقيادة ((المغيرة ابن شعبة)) إلى جوار الابلة تلتتحق هناك بالقوة التي سبق أن افرزها المثنى في ((الغضى)) بقيادة جرير بن عبد الله العجلي لستر جناحه اليمين خشية تقدم الفرس من ذلك الاتجاه.

وصول سعد إلى شراف

لبث المثنى في ذي قار ينتظر وصول سعد وقد وضع حاميات قوية في عدة مواضع حولها وهي ((الجل)) و ((الراف)) و ((الغضى)).

ولما وصل سعد إلى ((راف)) توفي المثنى متأثراً من الجرح القديم الذي أصيب به في معركة الجسر. وقد استخلف قبل وفاته على قيادة الجيش

((بشير بن الخصاصیة)). وقد کان أخوه المعنی فی منطقة بکر بن وائل يحثّهم علی الولاء للقوات العربية، فلما عاد إلی ذی قار وعلم بوفاة أخيه استصحب ارمنته ((سلمی)), وذهب إلی شراف حيث قابل سعداً وشرح له الموقف فی العراق وحثّه عن القبائل الموالية وغير الموالية. زانقسام الفرس وأنباء تحذشهم، وبلغه بوصیة المثنی التي ورد بها إلا يقاتل الفرس إذا اجتمع أمرهم والا يقتتحم عليهم عقر دارهم وان يقاتلهم علی حدود أرضهم. تزوج سعد ((سلمی)), زوجة المثنی ، وکان مثل هذا الزواج من بعض عادات العرب تکریماً لذكری الزعیم الراحل وإکراماً لأرمنته حتى تظل فی مثل عزها وکرامتها اللتين کانتا تحياهم فی حیاة زوجها الأول.

موقف الطرفین

موقف الجيش العربي

کان عمر علی علم بحركات جیش سعد وتنقلاته بواسطة الرسائل التي كان يرسلها اليه سعد من حين لآخر، وعندما أخبره بوصوله إلی شراف أصدر اليه أمره بالتقدم إلی القادسیة وقبول المعرکة فیها. وجاء فی هذا المر مایلی: ((إذا جاءك كتابي هذا فعشر الناس، وعرف عليهم وأمر على أجنادهم، وعبئهم، وأمر رؤساء المسلمين فیشهدوا، وقدرهم وهم شهود، ثم وجههم إلی أصحابهم، وواعدهم بالقادسیة واضم اليك المغیرة بن شعبة فی خيله، واكتب إلی بالذی یستقر علیه أمرهم))^(۱).

استعدی سعد قادته وشاورهم بالأمر وقسم قطعاته إلی حضائر تتألف كل حضیرة من عشرة رجال وكانت الحضائر تعرف بذلك الوقت ((بالعرافات)).

^(۱) الطبری ، ج ۳، ص ۴۸۸ ، طبعة دار المعرفة، سنة ۱۹۶۲.

و جعل علی کل عرافة عریفاً. ثم نظم منهم کتاب عین لکل منها قائداً ثم قسمهم إلى طلیعة و میمنة و میسرة و قلب و ساقه و أمر علی کل منها أمیراً^(۱)، واستعدی المغیرة و قوته من الآبلة.

وقد عین کل من: خالد بن عرفطة، نائباً للقائد العام، و زهرة بن عبد الله بن الحویة، قائداً للمقدمة، و شرحبیل بن السمط، قائداً للمیسرة، و عبد الله بن المعتم، قائداً للمیمنة، و عاصم بن عمر التمیمی، قائداً للساقه، و سواد بن مالک التمیمی، قائداً للطلائع، و سلمان بن ربیعة الباھلی، قائداً لل مجردة، و حماد بن مالک الاسدی، قائداً لل المشاة، و عبد الله بن ذی السھمین، قائداً للخیاله.

کما عین: زیاد بن أبی سفیان، کاتباً أول للجیش، و عبد الرحمن بن ربیعة، للقضاء وتوزیع الفيء علی الجند، و سلمان الفارسی، رائداً وداعیة، مهمته جمع المعلومات و بیث الاراجیف فی صفوف الفرس و منصبه يقابل الیوم منصب رئيس شعبة استخبارات الجیش.

و قبل حركة الجیش بعث الخليفة إلى سعد رسالة أخرى ورد فيها: ((إذا بلغت القادسیة ، والقادسیة باب فارس فی الجahلیة، وهي أجمع تلك الأبواب لمانهم، وهو منزل رغیب خصیب، حصین، دونه قناطر وأنهار ممتنعة، فتکون مسالحک (معسکراتك) علی انقبابها ویكون الناس بين المجر والمدر))^(۲).

تحرك سعد من شراف باتجاه العذیب وهي من مسالح الفرس الحصینة ذات بروج منيعة. وعندما وصلتها طلائعه توقفت حتى التحقق بها سعد فقام باستطلاع المنطقة لوضع خطة لاحتلالها إلا انه تبین أثناء استطلاع ان الفرس قد أخلوا المدينة فتقىدم العرب ودخلوها و عسکروا فيها. ومنها أخذ سعد يرسل المفارز

^(۱) الطبری ، ج ۳ ، ص ۴۸۸.

^(۲) الطبری ، ج ۳ ، ص ۴۹۱.

والسرایا لاستطلاع أماکن الفرس وبث الرعب فی نفوس أصحاب القرى المجاورة
وجمع المواشي والطعام لتمويل الجيش.

وفي العذیب جاءته من الخليفة وصایا حرکات جديدة جاء فیها:

((أما بعد، فإني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله افضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحروب، وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم. وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم الله. ولو لا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عدتنا ليس كعدهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، والا ننصر عليهم بفضلنا إن لم نغلبهم بقوتنا، وأعلموا ان عليكم في مسیركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحبوا منهم، ولا تعلموا بمعاصي الله، وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا ان عدونا شر منا، فلن يسلط علينا وان أسانا، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم، كما سلط علىبني إسرائيل، لما عملوا بمساخط الله، كفار المجروس {فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانُوكُنَّا مَفْعُولاً}. واسألاوا الله العون على انفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل ذلك لنا ولکم، وترفق بالمسلمين في مسیرهم، ولا تجشمهم مسیراً يتعبهم، ترافق بهم، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لله ينقص قوتهم فإنهما سائرون إلى عدو مقيم، حامى الانفس الكراع ((الخيل))، وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة يكون لهم راحة، يحيون فيها أنفسهم، ويرمون أسلحتهم وامتعتهم، ونج منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه، ولا يرزأ احداً من أهله شيئاً فان لهم حرمة وذمة ابنتلیم بالوفاء بها، كما باتلوا بالصبر عليها، فما بروا لكم فقولوهم خيراً، ولا تتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح، وادا وطئت أرض العدو أرض العدو فأناك العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم، ول يكن عندك

من العرب أو من أهل الأرض من نطمئن إلى نصحه وصدقه، فان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدفك في بعضه، والغاش عين عليك، وليس عينا لك، ولكن منك عند دنوك من أرض العدو ان تكثر الطلائع وتثبت السرايا بينك وبينهم، فتقطع السرايا امدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم، وانق للطلائع أهل الرأي والباس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل، فإن لقوا عدواً، كان أول من تلقاءهم القوة من رأيك، وأجعل أمر السرايا أهل الجهاد، والصبر على الجلاد، لاتخض بها احدا بهوى، فتضيع من رأيك وأمرك اكثر مما حببته خاصتك، ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف عليها فيه غلبة أو ضياعة ونكاية، فاذا عانيت العدو، فاضضم اليك أقصاصيك وطلائعك، وسرائك، واجمع اليك مكيدتك وقوتك، ثم لا تعاجلهم المنازلة، ما لم يستدركه قتال، حتى تبصر عورة عدوك، ومقاتلة، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها بها، فتصنع بعديك كصنوعه بك، ثم اذك احراسك على عسكرك، وتيقظ من البيات جهتك، ولا تؤت بأيسر ليس له عقد إلا ضربت عنقه، لترهب عدو الله وعدوك. والله ولني أمرك، وولي النصر لكم على عدوكم والله المستعان)).

تحرك الجيش العربي من العذيب بعد أن ترك فيها النساء والأطفال الذين استصحبهم المقاتلون معهم من المدينة وترك سعد فيها حامية بقيادة ((غالب بن عبد الله الليثي)).

^(١) "تاريخ الأمة الإسلامية" محمد الخضري، ج ١، ص ٢٠٦.

العنیق فأرسل قوّة بقيادة ((زهرا بن الحویة)) عسکرت فی منطقة القنطرة لتمنّع دوریات الفرس من العبور والغارّة علی معسکراته فی القادسیة، ثم أخذ يرسل الدوریات باتجاه الحیرة وغيرها من القرى تجمع له المعلومات عن تحركات الجيش الفارسی، وبعث بالسرایا لتفوّق بالغارات إلی النجف والفراس(۱)، ومنازل القبائل المنتشرة فی السواد يستأقون منها الدواب والماشیة والغلال وألوان الطعام لجيشه.

موقف الجيش الفارسي

أما الفرس فقد أعلنوا النفیر، وشرعوا بجمع قواتهم ، كما سبق ذكره. ولما علموا بتقدیم سعد أخذوا يحرضون أهل المدن والقرى التي سبق ان أعلنت ولاءها للعرب فی زمان خالد والمنثی علی الانضمام اليهم.

ولما شعر ((يزدجرد)) بدنو الخطر عین ((رستم)) قائدأً عاماً للجیش وأمره بالتقدم لصد زحف العرب. الا ان ((رستم)) تردد وتلکأ، وبعد ضغط شدید من قبل الملك والقواد إلی ساباط. ولما علم سعد بوصول الجيش الفارسی اليها كتب إلی عمر يخبره بذلك، وانه ينتظر عدوه فی القادسیة وفقاً للخطبة المنتفق عليها . فكتب اليه عمر يشجعه وطلب اليه ارسال وفد إلی ((يزدجرد)) يدعوه إلی الإسلام.

انتخب سعد وفداً من أحد عشر شخصاً منهم النعمان بن مقرن وعاصم بن عمرو والمغيرة بن شعبة والمعنی بن حارثة وعمرو بن معدی كرب، وأمرهم أن يدعوا يزدجرد إلی الإسلام فان أبی فالجزیرة ، والا فالحرب. استقبل ((يزدجرد)) الوفد فی قصره بالمدائن ووجه اليهم السؤال التالي: ((ما الذي أقدمكم هذه البلاد؟ أتراءكم اجترأتم علينا لما تشغلنا بأنفسنا)). فشرح له النعمان المهمة

(۱) الفراس: جمع فرضة، وهي هنا ثغور خاصة من الناحية الأخرى.

التي جاءوا من أجلها. ودعاه إلى اعتناق الإسلام، ثم قال له: ((فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فالمناجزة)). اغتاظ يزدجرد وتكلم بكلمات بذئبة بحق العر منافيًّا كل عرف وتقليد عسكري، فنهض المغيرة بن شعبة وتكلم بجرأة وحماسة، إلى أن قال: ((اختر: ان شئت الجزية، وان شئت السيف، أو سلم فتتجي نفسك)). اشتد غضب يزدجرد وفقد أعصابه واراد أن يأمر بقتل الوفد، الا أن أصحابه أشاروا عليه بأن ذلك مناف للقوانين الحربية و نتيجتها ستكون وبالاً عليهم وعلى أسراهם لدى العرب. فأمر أحد مراقبيه أن يجلب حمل من التراب وقال: احملوا على اشرف هؤلاء: ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن. ثم التفت إلى الوفد وقال: ((ارجعوا إلى صاحبكم فاعلموه اني مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويُدفنكم معه في خندق القادسية، ثم أورد بلادكم حتى اشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم من سابور))^(١).

قام عاصم بن عمرو فحمل التراب على كتفه وهو يقول: ((انا اشرفهم، انا سيد هؤلاء)), مع العلم انه لم يكن اشرف القوم بل اراد أن ينchez اشرف العرب من الذل الذي أراده لهم يزدجرد. ولم يدر هذا الكسرى ما يخبي له القدر وكيف سيزول ملكه على أيدي هؤلاء الابطال ويصبح شريداً طريداً. أصدر يزدجرد أمره إلى رستم بالحركة من ساباط إلى القادسية، فتقدم هذا بتشكيل المعركة. فكان الجالينوس في المقدمة ومعه ٤٠ ألف مقاتل ورستم في القلب. والهرمزان على الميمنة. ومهران بن بهرام على الميسرقو، وذو الحاجب بهمن جاذويه يقود

(١) وسابور هذا أحد ملوك الفرس اغاظه اغارة عرب البحرين على إقليم فارس فسار إليهم بجيشه لجب واجلامهم عنها وهاجم البحرين وفكك بأهلها ثم سار إلى هجر ففكك بعرب بكر بن وائل وتميم وعبد القيس ثم سار إلى اليمامة وقتل أهلها ومنها إلى منطقة عشائر بكر وتغلب وقتل عدداً كبيراً منهم.

المجردة. وأفرز ساقه تسير خلف الجيش تعدادها ٢٠ الف مقاتل بقيادة لبيرزان وبلغ تعداد هذا الجيش ١٠٠ الف مقاتل وبعض المصادر تقول ١٢٠ الف. وقبل مغادرة رستم ساباط كتب إلى أخيه البدوان يقول: ((اما بعد فرموا حصونكم واستعدوا وأعدوا فكأنكم بالعرب قد قارعوكم عن أرضكم وبنائكم، وقد كان منرأيي مدافعتهم ومطاؤلتهم حتى تقلب سعودهم نحوسا)).

وصل الجيش الفارسي إلى الحيرة وكان تقدمه بطيناً جداً حتى انه لم يبلغ القادسية الا بعد أربعة أشهر من بدء حركته من المدائن لم تقع خلالها اية معركة كبيرة عدا ما كات تقوم به دوريات الطرفين من مناوشات طفيفة. وكان غرض رستم من هذا التأخير تعجيز العرب وتقليل رغبتهم في القتال ظناً منه ان يهנוوا إذا لم يجدوا ارزاقنا تكفيهم أو أن يساموا طول المقام فيعودا إلى بلادهم.

ولما وصل الفرس القادسية كان يتقدمهم ثلاثة وثلاثون فيلاً بينها فيل سابور الابيض الذي كانت سائر الفيلة تألهه وتتبعه. فعسکروا أمام الجيش العربي وكان نهر العتيق يفصل بين الجيشين. بعث رستم إلى سعد يطلب إليه ارسال احد قادته للمفاوضات حول شروط الصلح والكف عن القتال. أرسل سعد المغيرة فخير هذا الفرس بين الإسلام أو الجزية أو القتال. ولما رأى رستم تعنته طلب ارسال شخص آخر، فذهب قائد ثان، فكان موقفه مشابهاً لموقف المغيرة ولم تفدهم وعود رستم بترغيب العرب بالمال والعدوة من حيث أتوا. ولما فشلت المفاوضات استعد الطرفان للمعركة. ان تردد القائد الفارسي وتخوفه وخور معنوياته وبيطء حركته افقدته الروح التعرضية والمبادرة. فسمح للعرب اكمال تحشدهم واستعداداتهم والتهيؤ لقبول المعركة في الأرض المنتخبة.

قوات الطرفين

الجيش العربي

كان الجيش العربي يتتألف من:

- 1- قوة المثنى بن الحارثة الشيباني وقد تسلم قيادتها بعد وفاته بشير بن الخصاچية وتعدادها ٨٠٠٠ مقاتل مؤلفة من ثمانية كتائب وهي: كتيبة المعنى وكتيبة جرير وكتيبة عصمه وكتيبة غالب وكتيبة عرفجه الاسدي وكتيبة هلال الربابي وكتيبة المثنى الجسمي وكتيبة شيت الحنظلي.
- 2- الجيش الذي جاء مع سعد من المدينة وكان يتتألف من سبعة فرق مجموعها عشرون ألف مقاتل وهي: فرقة الاشعث بن قيس، وفرقة خميسة البارقي، وفرقة شداد الحضرمي، وفرقة عمر بن معدي كرب، وفرقة يزيد الحارث، وفرقة بشير الهلالي، وفرقة شرحبيل الكندي.
- 3- القوة المرسلة من الشام بقيادة هاشم بن عتبة وتعدادها ستة الاف رجل وهي لاتزال في طريقها إلى القادسية وكانت طلائعها على وشك الوصول بقيادة الفقاع بن عمر التميمي وهي من ألف رجل.

الجيش الفارسي

وكان يتتألف من ١٠٠ ألف إلى ١٢٠ ألف مقاتل بقيادة رستم من ثلاثة فيالق: فيالق الجالينوس وفيالق الهرمزان وفيالق مهران.

وصف أرض المعركة

كانت أرض القادسية يحدها من الشرق خور من الفرات يسمى ترعة (الخضوض) أو (العينيق)، ويحيط بها من الغرب خندق سابور وهو 'ذ ذلك غدير حفر لحماية أرض السواد من عرب البدية وقد اقيم عليه عدد من المسالح لهذه

الغاية. وكان يحمي میمنة المسلمين مستقعاً كبيراً. أما ظهرهم فكانت تحميه الصحراً و خندق سابور. وقد وصفها سعد بأحد الكتب التي أرسلها إلى الخليفة كما يلي: ((إن القادسية بين الخندق والعتيق، وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين: أما أحدهما فعلى الطهرا، وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى ((الخوضوض)) يطلع بمن يسلكه بين الخورنقا والحيرة، وإن ما عن يسار القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياهم)).

المعركة: محرم سنة ١٤ هـ، أيار، مايو، ٦٣٧.

قرر سعد قبول المعركة بين نهر العتيق و خندق سبور لذلك لم يتحرك من محله وسيطر على القنطرة المنصوبة على العتيق بواسطة مفرزة زهرة بن الحوية التي سبق أن وضعها قربها. عندما وصل الفرس إلى العتيق بعث رستم إلى سعد يقول: ((أما أن تعبروا علينا وأما أن نعبر إليكم)). فأجابه سعد أن ((أعبر أنت)). فأراد العبور من القنطرة فنهاهم سعد قائلاً: ((لا ولا كرامة، هذا شيء قد غلبناكم عليه فلن نرده إليكم)). استفاد الفرس من ظلام الليل فردموا جزءاً من العتيق و وضعوا فيه القصب والرمل والبرادع ليعبروا عليه في الصباح.

وفي الصباح عبر الفرس إلى الجهة الثانية من العتيق على الردم الذي أقاموه ليلاً ونظموا أنفسهم بتشكيل المعركة: فقد الهرمزان الميمنة. وقاد البيرزان الميسرة. وقاد الجالينوس القلب. وجلس رستم على سريره وقد نصب له مظلة كبيرة. وعبأ في القلب ثمانية عشر فيلاً عليها الرجال في صناديق خشبية، وكل فيل يحمل عشرين رجلاً، وقسم باقي الفيلة على المجنبيين، فوضع في الميمنة ثمانية وفي الميسرة سبعة.

أما الجيش العربي فقد نظم صفوفه غربي الفنطرة على الغرار نفسه، ميمنة - ميسرة - قلب. وكان كل قسم معيناً بثلاثة صفوف^(١) :

في الصف الأول: الفرسان

في الصف الثاني: المشاة أصحاب الرماح والسيوف.

في الصف الثالث: الرماة حملة السهام والنبل.

وكان الفرسان يقفون في الأمام والى الجانبين لتمكين الرماة من مزاولة اعمالهم وللقيام بحماية الجانبين. وكانت هذه الصفوف تبدأ من أصل حائط قدس، وهو القصر الذي كان يشرف من فوقه سعد على الجندي وعلى المعركة لانه أصيب بدمامل كانت تعوق حركته وقد استتب عنه نائبه خالد بن عرفطة. ثم دعا القادة وطلب اليهم ان يحفزوا جنودهم على القتال ويسدوا من عزائمهم. بدأت المعركة مبارزة بالسيوف جرياً على العادة التي كانت متبعه في ذلك الوقت، وكان سعد بن ابي وقاص قد انفق مع قادة جيشه على اشارة البدء بالمعركة وهي أربع تكبيرات حيث قال: ((إذا سمعتم التكبير فشدوا شسوع نعالكم، فاذ كبرت الثانية فتهيئوا، فاذا كبرت الثالثة فشدوا النواجز على الاضراس واحملوا)). في التكبيره الثالثة بدأت المبارزة بالسيوف كما سبق ان ذكرنا ولما كبر الرابعة وهي علامة الهجوم العام كانت الصدمة الهائلة. فتقدم الفرسان إلى الفرسان ودارت رحى الحرب تطحن الرجال واستمرت المعركة أربعة أيام سميت بيوم أرمات، وأغوات، وأعماس، والقادسية.

١- يوم أرمات.

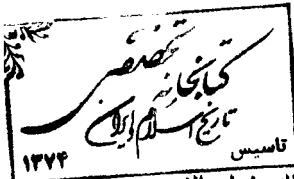
عندما أتتى الجيشان ابلي ابطال المسلمين بلاء فاقد حدود التصور. وقد كان هؤلاء الابطال يقدرون كبر جيش فارس وعزيمته لذك قرروا خوض

^(١) الطبرى ، ج ٣ ، ص ٥٥٩.

المعرکة بعزمیة أشد ویساله لا تعرف رحمة أو شفقة. ولما رأى الفرس شدة بأس العرب و معنیاتهم العالیة و اقدامهم، قرروا تحطیم هذا الاقدام و خفض هذه الروح المعنیة، فوجهوا ثلاثة عشر فیلاً على أشد العرب حماسة للقتال وهم بني بجنة الذين كان يقودهم جریر بن عبد الله، ففرت خیلهم انفاراً وبقي الرجال والفیلة تکاد تبیدهم. ولما رأى سعد ما حل بهم طلب من بني أسد التقدم لنجدتهم فتقدموا بقيادة طلیحة بن خویلد واستبسلوا بالقتال حتى تمکنوا من عزل الفیلة عن الفرس، الا ان الفیلة عادت فحملت عليهم، فأمر سعد قبیلة بني تمیم بقيادة عاصم بن عمرو انقاذ الموقف. أمر عاصم جنده ((أن يذبوا رکبان الفیلة عنهم بالنبل وليستبروا الفیلة وليقطعوا وضنها)). فعملت الكتبیة ما أمرهم به، فاستبروا الفیلة ورموها بالنبل فارتفع عواؤها والقت برکبانها فقتلوا وانقذت بجیلة واسد بعد أن فقدت اسد وحدها زهاء ٥٠٠ قتیل من خیرة رجالها. وانقضی نهار ذلك اليوم والقتال لا يزال حامی الوطیس. وبعد الغروب بقلیل رجع الجیشان کل إلى موقعيه يستعدان لمواصلة القتال في صباح اليوم الثاني. وقد سمیت هذه اللیلة بليلة (الهدأة). ومن طریف ما یذكر ان سلمی زوجة سعد كانت واقفة بجواره تشاهد المعرکة. ولما رأیت الفرس یفتكون بفتیان بني أسد، جزعت وصاحت: ((وامثیاه ! ولا مثی للخیل بعد اليوم)). ولا ننسی انها كانت زوجة المثنی قبل سعد . وقد أشار کلامها سعد فلطمها وقال: ((أین المثنی من هذه الكتبیة التي تدور عليها الرھی)). ولم تطأطئ اللطمة رأس العربیة الانوف بل قالت له: ((اغیرة وجینا)) فخجل سعد وقال: ((والله لا يعذرني اليوم أحد ان لم تعذرینی انت وترین ما بي)).

٢- يوم أغوات

في صبیحة اليوم الثاني تفقد العرب ساحة المعرکة، وكذلك فعل الفرس فنقلت مفارز الطرفین الصحیة القتلى والجرحی إلى الخلف. ولقد دفن العرب



قتلاهم فی واد قریب من العذیب ونقلوا الجرحی ل تقوم النساء بتمريضهم والعنایة بهم. و بينما كانوا من همکین فی دفن الشهداء، ظهرت طلائع کتيبة الخيالة التي أرسلها ابو عبیدة من الشام، وكانت هذه الكتيبة هي کتيبة القعقاع بن عمرو، وعدها ١٠٠٠ رجل كانت تسیر كمقدمة لفرقة هاشم بن عتبة. وقبل وصولها میدا المعرکة قسمها القعقاع إلى عشر سرایا كل منها مؤلفة من ١٠٠ فارس وأمرها أن تتقدم سریة بعد أخرى، وان تكون المسافة بينهم مدى البصر، وذلک لیوهم الفرس بأن النجدة الآتیة كثیرة العدد. وكان القعقاع أول الواصلین إلى المیدا، إذ وصله قبل استئناف القتال فسلم علی القوم وبشرهم بالمددا. وقد سبق للقعقاع أن قاتل فی العراق برفقة خالد بن الولید وسار معه إلى الشام، لذلک كان خبیراً بأسالیب قتال وتعبئة الفرس، وبعد استراحة قلیلة تقدم القعقاع الصفوف وطلب المبارزة فتقدم اليه ذو الحاجب بهمن جاذویه ، فصاحت القعقاع : بالشارات ابی عبید وسالیط واصحاب یوم الجسر، وكان هذان القائدان وصحابهما قد استشهدوا فی معرکة الجسر، فحمل علیه وأرداه قتیلاً. وكانت سرایا القعقاع تصل تتری تقوی معنیة العرب فزاد حماسهم وتقدموا بهجوم کاسح مزق صفوف الفرس شر ممزق. وقد ساعدتهم على النجاح عدم اشتراك الفیلة بالقتال، لأن الفرس كانوا من همکین باصلاح صنادیقها التي انكسرت في معرکة الأمس. ودارت المعرکة طوال نهار ذلك اليوم، واستمرت في اللیل حتى منتصفه، ويقال ان العرب استخدموا في هذا اليوم الابل بأن جلوها وبرقعوها ودفعوها تحمل على الفرس کأنها الفیلة فولت خیلهم نفراً من منظرها، وكان تأثیرها عليهم کتأثیر الفیلة على العرب في اليوم الأول. وفي منتصف اللیل عاد الغریقان إلى مواقعهما يستعدان لمعرکة اليوم الثالث. ولقد سمیت هذه اللیلة ((ليلة السوداء)). وفي اللیل سحب القعقاع رجاله إلى منطقه قریبة من القادسیة وطلب اليهم ان يتقدموا إلى میدان المعرکة في

الصباح سریة بعد أخرى على نحو ما فعلوا في الأمس، فان أدركهم هاشم بن عتبة فذاك، والا وجدوا الناس رجاء المدد، فتنتقوی معنوياتهم و يقدموا على القتال بحماس.

٣- يوم اعماس

في الصباح الباكر من هذا اليوم أخذ الطرفان يجمعان جرحاهم وقتلهم، وقد خسر المسلمون في المعركة الفي قتيل والفرس عشرة الاف. وحين طلعت الشمس وقف القتال في المؤخرة ينتظر قدم أصحابه. ولما وصلت السرية الأولى منهم كان على رأسها هاشم بن عتبة الذي وصل وجيشه قبيل طلوع الفجر، وقد فعل ما فعله القتال فقسم جنوده إلى سرايا وأمر أن تقدم السرايا الواحدة بعد الأخرى، وبمسافات كبيرة بينهما. فلما رأه الناس كبر وكبروا معه واندفع إلى القلب حتى بلغ النهر وهو يرمي العدو بالسهام، ثم عاد فكرر فعلته فلم يجرؤ أحد على مطاولته. أشرك الفرس في هذا اليوم الفيلة بعد أن تمكنا من اصلاح صناديقها وأخذوا حيطتهم لكل لا يصنع المسلمون بها مثلا صنعوا في اليوم الأول من المعركة فأحاطوها بفرسان يحمونها. الا أن الفيلة فقدت خواصها من جراء تعودها على خيل الفرس فلذلك لم تؤذ خيل العرب أيضا، فدارت المعركة حول الفيلة وهي حيرى لا تدرى من تضرب، وظل القتال سجالاً بين الفريقين، وفي هذه الأثناء وصلت للفرس نجدة من المدائن مؤلفة من الحرس الخاص للملك ((بزدجرد)), فاشترك في القتال الا ان ذلك لم يؤثر على معنوية العرب. ولما أشتد القتال وألقت الفيلة الموقف كان ركابها يسوقونها إلى صفوف العرب، فأخذت تفتک بهم مثلا فعلته في اليوم الأول. ولما رأى سعد سوء الموقف نتيجة حملة الفيلة سال بعض أسرى الفرس الذين دخلوا الدين الإسلامي عن نقاط الضعف فيها، فقالوا: عليك بمشافرها وعيونها.

أمر سعد القعقاع وعاصم بن عمرو بالهجوم على الفيل الأبيض وحمل
والربيل بالهجوم على الفيل الأجرب^(١). وكان هذان الفيلان أشد الفيلة ضراوة
والفيلة كلها تتبعها. فترجل الفرسان الاربعة وتقدموا نحو الفيلين فوضعوا رماهم
في عيونهما فأصابوها اصابة بالغة فطروا من عليها وولوا الاذبار. وكان الفيل
الاجرб يركض ثاره بين صفوف العرب واخرى بين صفوف الفرس وهو يصبح
صياح الخنزير، ثم اندفع وواثب في النهر وتبعته باقي الفيلة بعد ان القت ركابها
من فوق ظهورها وعبرت النهر هاربة لا تلوى على شيء، وعند عبورها نهر
العنيق ارتفعت معنويات العرب فحملوا على الفرس، وكان القتال مريراً لأن
الفرس بالرغم من فقدانهم الفيلة كانت معنوياتهم لا تزال عالية، واستمر القتال دون
توقف حتى أقبل الظلام. وخشى سعد أن يستغل الفرس ظلام الليل ويلتفوا حول
جيشه من الجنوب مستخدمين مخاضة في نهر العنيق من ذلك الاتجاه، فأرسل
طليحة وعمرًا في سرية من الجيش لحمايتها ومنع الفرس من مbagatة الجيش
العربي والاحاطة به من الخلف وأمرهم الا يغادروا مراكزهم في المخاضة إلا
بأمر منه. وكان القتال قد هدأ وتهيأ الطرفان للرجوع إلى معسكراتهم. ولما
وصلت السرية إلى المخاضة ولم تجد الفرس قرر قائداتها الالتفاف على الفرس
ومbagاتهم من الخلف. فانقسمت السرية إلى قسمين: قاد الأول طليحة وعبر العنيق
وسار إلى الشمال حتى وصل الردم الذي أقامه الفرس على النهر، وكبر فارتاع
الفرس وظنوا ان جيشاً كبيراً هاجمهم من الخلف. وتعجب العرب وظنوا ان
الفرس فتكوا برجال المفرزة. أما القسم الثاني من السرية بقيادة عمر فقد أغارت
على جماعة من الفرس قرب المخاضة، وأدت هذه المbagة إلى أن يجمع الفرس
صفوفهم ويزحفوا لتخلص اخوانهم، ولما رأى ذلك القعقاع زاحفهم من غير ادن

^(١) الطبری ، ج ٣، ص ٥٥٥.

سعد وتبعه بنو اسد والنخع وبجبله وكنده ثم لحقهم باقي الجيش. فالتهم الجیشان بمعركة ليلية ضاربة وظلوا يقاتلون بضراوة حتى الصباح، وقد أصابا الطرفين التعب والاجهاد نتيجة هذه المعركة التي استمرت ٢٤ ساعة. وسميت هذه الليلة (ليلة الهرير)).

٤- يوم القادسية

أخذ القعاع يشجع الجنود ويحرضهم على مواصلة القتال قائلاً لهم: ان النصر أصبح قريباً وهو سيكون حليف الفريق الذي يصبر، وكان يصيح ((ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فأصبروا ساعة واحملوا، فإن النصر مع الصبر)). فحمل العرب وأشتد القتال حتى جاء الظهر عند ذاك بدأت صفوف الفرس تضطرب خاصة بالاجنحة حيث تراجع ((البيرزان)) و((الهرمان)) وبقي القلب صامداً وحده.

وفي هذه اللحظة هبت ريح دبور عاصف واطارات مظلة ((رستم)) عن سريره وهو ت بالعنیق فزحف القعاع بمن معه إلى السرير فهرب رستم واحتى بظل بغل من بغال الحمل التي وصلت إلى الميدان، وقد ضرب هلال بن علقة هذا البغل بسيفه وقطع حباله وهو لا يعلم ان رستم تحته فوق الحمل على رستم وكسر ظهره فزحف والقى بنفسه في النهر، فرأه هلال وعرفه فأقتسم النهر وراءه وقتلته ثم عاد وصعد على سريره وهو يصيح: ((قتل رستم ورب الكعبة، الي الي)), فتجمع الجناد حوله وهم يكثرون، ولما علم الفرس بمقتل قائدتهم وهنقت قوتهم وخارت عزيمتهم وتحطم معنوياتهم، فتولى لجاليروس القيادة وأمر القلب بالانسحاب إلى خلف النهر معقلاً الميمنة والميسرة التي سبق لها الانسحاب. ولما وصلوا محل الردم انهار بهم في النهر فتدفع التيار المحصور وجرف عدداً كبيراً

منهم، وقد استولى ضرار بن الخطاب على هلم الفرس الأكبر، ((الدرش كابيان)).

أمر سعد القعاع بالطاردة، فتقدمت كتيبة زهرة التميمي فلحق هذا بجالينوس وقتلها، وبمقتلها استسلم عدد كبير من جيشه. خسر المسلمون في معركة الأيام الثلاثة حوالي ٨٥٠٠ قتيل. أما قتلى الفرس فقد زادت على الأربعين ألف قتيل عدا الأسرى الذين لا يحصى لهم عدد. واستولى العرب على أموال وذخائر كبيرة، ولما قسم سعد الفيء فيهم بلغ ما أصاب الفارس ستة آلاف والراجل الفين. ولقد انتهت المعركة بنصر حاسم وفتح الطريق أمام الجندي العربي إلى ايوان كسرى في عاصمة ملكه المغتصبة، المدائن، تلك العاصمة التي أشادها في قلب العراق العربي، ومهدت هذه المعركة السبيل لتقويض دولة الفرس والقضاء على سلطانهم، وكانت الفاتحة لتحرير عرب العراق من الاستبعاد.

الزحف نحو المدائن^(١)

أقام سعد في القادسية بعد انتهاء المعركة مدة شهرين أعاد خلالها تنظيم قواته، ثم استأند الخليفة بالتقدم نحو المدائن، فأنذن له. وفي أواخر شوال سنة ١٥ هـ تحرك الجيش العربي تقدماً مقدمه بقيادة ((زهرة بن الحوية)) اصطدمت بعناصر من الفرس قرب ((البرس)) وانتصرت عليهم ثم واصلت التقدم نحو بابل فعبروا النهر إليها على جسر نصبه حاكم البرس الفارسي الذي استسلم إلى زهرة.

^(١) وهي ((طيسفون)) وتسمى اليوم ((سلمان بك)) وقد اتخذها الساسانيون عاصمة لهم في القرن الثاني للميلاد.

استولى زهرة على بابل و((کوئی)) واستمر بالتقدم حتى وصل ((بهر ثیر)) وهي هي من أحياء المدائن، وتقع في الضفة الغربية لنهر دجلة أمام المدائن الكائنة في ضفته الشرقية، فطوقها منتظرا وصول القسم الأكبر. ولما وصل سعد نصب حولها ٢٠ منجنيقاً أخذ يقذف بواسطتها حمم الحجارة. وبعد حصار استمر تسعة أشهر هرب أهل المدينة إلى الضفة الشرقية وسلمواً مدینتهم بعد أن أحرقوا الجسر الواصل بينها وبين المدائن، وجمعوا كافة أليزوارق منها وسحبوها إلى الضفة الأخرى.

معركة المدائن

كانت المدائن عاصمة الفرس تتألف من عدة مدن متاجورة تقع على ضفتي نهر دخله. إذ كان من عادة ملوك الفرس أن يبني كل منهم مدينة خاصة به. ولقد بلغ عدد هذه المدن السبع وهي: - بهرشیر، اسنانیر، جندي سابور، درزيجان، رومية نوينافان، كسر ذاتان. لقد استولى الجيش العربي على بهرشیر الواقعة على ضفة دجلة الغربية، وأقام سعد فيها برسم الخطط لعبور دجلة والاستيلاء على المدائن الواقعة في الضفة الشرقية. فاستطاع النهر استطلاعاً دقيقاً حتى عثر على مكان يمكن العبور منه دون أعطاء خسائر كبيرة. وكان هذا المكان في منعطف النهر جنوب المدائن ويتميز بأنه ضيق ومياهه غير عميقه، وبعيد عن مركز تحشد القوات الفارسية المدافعة عن المدينة. وبينما كان سعد يستعد للعبور انسحب يزدجرد من المدائن حاملاً أمواله وتوجه إلى حلوان، وتبعه عدد كبير من أهل المدائن الفرس الذين توطنوا أباًن فترة احتلالهم للعراق، تاركاً حامية قوية تؤخر العرب فيها لأطول مدة ممكنة. سمع سعد بانسحاب الفرس، فقرر العبور بسرعة مستغلاً انخفاض مستوى الماء في النهر لأن الموسم كان صيفاً تقل فيه مياه النهر. وقد جمع قادته وقال لهم: ((أن عدوكم قد اعتمد منكم بهذا البحر فلا

تلخلصون أليه وهم يخلصون أليكم متى شاءوا فينا، وشونکم في سفنهم وليس
وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه فقد كفاصمكمه أهل الأيام^(١) وعطلوا ثغورهم
وأنفوا ذادتهم، وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم
الدنيا، إلا إني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم))). وبعد دراسة للموقف وافق
القادة كافة على العبور بسرعة.

خطة العبور

- ١- تعبر كتيبة عاصم بن عمرو وكانت تسمى كتيبة الأهوال وهي مؤلفة من ٦٠٠ فارس إلى الضفة الشرقية خوضا وسباحة وتوسّس رأس جسر فيها وتطرد الفرس بعيدا عنها حتى لا يؤثروا على بقية الجيش العابر.
- ٢- تعقبها مباشرة في الموجة الثانية كتيبة القعاع المسممة بالخرساء.
- ٣- بعد تأسيس رأس الجسر وتوسيعه بالكتيبيتين أعلاه والاستيلاء على زوارق الفرس في الضفة المستولى عليها.

ولقد اعتمد نجاح العبور على عنصر المباغة حيث لم يتوقع الفرس عبور العرب بمثل هذه الطريقة.

العبور

اختار عاصم ستين فارسا من كتيبته تقدموا في الموجة الأولى وقد قسمهم إلى قسمين بالنسبة إلى نوع الخيول فجعل الاناث لوحدها والذكور لوحدهما. كانت أول زمرة عبرت مؤلفة من:- أصم اليم، الكلج، أبو مفرز، شرحبيل، حجل العجي، مالك بن كعب الهمداني، غلا من بني الحارث. ثم

(١) أهل الأيام: هم القوات العربية التي قاتلت الفرس في العراق قبل معركة القادسية مع المثنى وخالد بن الوليد.

تبعهم باقی السنتین، ثم باقی کتیبة الأهوال ثم الكتیبة الخرساء. لما وصلت الموجة الأولى قرب ضفة النهر الشرقیة هجمت علیها دوریات الفرس التي كانت ترافق النهر، فدارت معرکة ضاربة في الماء انتصر فيها عاصم وتمكن من تأسیس رأس جسر قوی. وجمع الزوارق التي وجدها في هذه اللحظة وأرسلها إلى بھرشير لنقل القسم الأکبر من الجيش. ولقد حاول قائد الفرس شهریار بن سابور القيام بھجوم مقابل لتحطیم رأس الجسر الذي اخذ عاصم یوسعه، الا أنه فشل خاصّة بعد نجاح عبور الكتیبة الخرساء. وعندما تکامل عبور الجيش العربي تحطم هجوم شهریار واندیمیت تحت ضغط الموجات العربية وهجماتها الشدیدة. لم یصادق العرب أیة مقاومة في المدائن حيث هرب الجيش واستسلمت المدينة. وقد استولى سعد على خزان کسری وكانت تقدر بالمالیین. فوزع الفيء على الجند فأصاب الفرس ۱۲ ألفاً والراجل ۴ آلاف وبعث بالأخmas إلى بيت المال في المدينة.

المطاردة إلى حلوان

بعد فتح المدائن سیر سعد جیشا تعداده ۱۲ ألف مقاتل بقيادة هاشم بن عتبة لمطاردة الفرس وحدد لهم الوصول إلى حدود العراق العربي وعدم التوغل داخل الأراضی الفارسیة. ولقد قاد القعقاع مقدمة هذه القویة. وصل هاشم إلى جلواء فرأى الفرس قد تحصنوا فيها واستعدوا للقتال فحاصرها مدة ثمانین يوم، وكانت المعارک تدور حول الأسوار حيث كان الفرس یخرجون منها ویشنون الغارات على العرب، ولما یئسوا من فك الحصار فرروا الهجوم بمعظم قوایهم مستعذبین الموت في سبيل النصر. وكان یقودهم مهران وقد دارت معرکة حامیة لا تقل هولا عن معارک القادسیة. استمر القتال حتى حلول

الظلام ولما خارت عزيمة الفرس أرادوا العودة إلى حصونهم فسبقهم العرب إليها ومنعوهم من عبور الخندق إلى الحصن ففرق شملهم وفروا حلوان بعد أن خسروا عدد كبيراً من القتلى. تعقب القعقاع الفارين فلحقت طلائعه بهرمان قائد الفرس في خانقين وقتلته. وفر الفیروزان الذي كان ينتظر في خانقين إلى حلوان وشرح لیزدجرد فداحة المصيبة التي حلّت بهم في جلواء، فترك هذا حلوان إلى ((الري)). ولما وصل القعقاع إلى حلوان خرج إليه حماتها فقاتلوه قتالاً شديداً ثم انهزموا أمامه ودخل المسلمون المدينة وضربوا الجزية على أهلها وعلى من حولها من الكور والأقاليم. وبعد هذه المعركة أستاذن سعد الخليفة بمطاردة الفرس إلى عقر دارهم بعد أن تحرر العراق العربي منهم. لكن عمر آثر الحذر فخالف بطل القادسية برأيه وكتب إليه يقول: ((وددت لو أن بين السواد والجلب سداً لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم ، حسبنا من الريف السود ، إني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال)).

تمت معارك التحرير في العراق بنصر باهر للعرب تحققت بنتيجة آمالهم القومية بتحرير هذا الجزء العربي من الاستعمار الفارسي. والدينية بنشر الإسلام في ربوعه وإبعاد الخطر الفارسي عن حدود الجزيرة العربية. لقد تجلت في معركة القادسية عظمة الروح المعنوية التي غرسها الإسلام في نفوس العرب. فكانوا يحاربون عن عقيدة وإيمان بقضية عادلة، عكس الفرس الذين لا هدف لهم أو عقيدة يحاربون من أجلها، كما تجلت فيها روعة القيادة العربية التي تمثلت بالقائد العام سعد بن أبي وقاص وقائمه الآخرين من أمثال هاشم بن عتبة وزهرة بن الحوية والقعقاع وعاصم، فبرزت هذه بصورة واضحة بانتخاب سعد لأرض المعركة وإجبار رستم على قبول المعركة فيها. ولا شك أن التفوق بالقيادة والمعنويات كان ولا يزال من العوامل التي تتوقف

عليها نتيجة الحرب. وقد أثبتت التاريخ العربي في صدر الإسلام إن العرب ربحوا معاركهم كافة بفضل تفوقهم بهاذين العاملين بالرغم من تفوق أعدائهم عليهم بالعدد والعدد.

لقد انتصر العرب في معركتهم هذه نتيجة لعوامل أوجزها بما يلي:

- ١- تفوقهم بالقيادة.
- ٢- تفوقهم بالمعنويات.
- ٣- روح التعرض التي امتازوا بها على عدوهم المتخاذل المتخوف.
- ٤- إجبارهم الفرس على قبول المعركة في المحل الذي اختاروه لها في أرض القادسية.
- ٥- تردد القائد العام الفارسي وتلاؤه في التقدم مما سمح للعرب إكمال تحشدهم واستعداداتهم.
- ٦- البطولة الفردية النادرة التي امتاز بها بعض الفرسان العرب لدى مهاجمتهم فيلة الفرس والقضاء عليها مما أثر على ميزان القوى فرجحت كفة العرب.

الحیاة الفکریة عند الفرس

الأمة الفارسية من المناطق التي كان لها ثقلها وأهميتها ومكانتها العلمية والأدبية وفي العلوم كافة حتى أنها كانت مركز استقطاب الكثير من العلماء الذين رحلوا إليها وقصدوها طالبين العلم ثم إن علماء فارس كانت لهم صلات وراسلات بينهم وبين علماء بغداد وغيرها من المدن وكانت بغداد المركز الأول في المعرفة والازدهار الفكري والحضاري وهذا التواصل بين مركز الدولة وأطرافها يبين لنا وحدة الثقافة في العالم الإسلامي ومرد ذلك في معظمها إلى اللغة العربية وقدرتها على الاستيعاب لأنها لغة السياسة والثقافة والإدارة لقد كانت اللغة العربية لغة القرآن والدواوين والثقافة بالنسبة للعالم الإسلامي فاللغة اللاتينية بالنسبة للعالم الأوروبي في العصور الوسطى فهي اللغة والواسطة المهمة للعلاقات بين شعوب الدولة الإسلامية الواحدة، ولكن هل كان كل الفرس ميلادين إلى اللغة العربية وثقافاتها والدين الإسلامي الرابع إن واقع الحال لا يشير إلى ذلك فيما نقلت الأحداث والصور بداية ظهور وتعاظم حركات الزندقة والشعوبية الفكرية طروحاتها التي نالت الدعم والتأييد من طبقات النبلاء والدهاقين ورجال الدين والزراوشت ضد هذه النزعه^(١). ولهذا لم يكن هؤلاء من المتحمسين لانتشار اللغة العربية أو الإسلامية بين الفرس لأسباب قومية وعقارئية واستمرت هذه الطبقات تداول أساطير الملوك والفرس القديمة في مجالسها ولم تهتم بتاريخ بلاد فارس في العصر الإسلامي ولعل ذلك من أهم الأسباب في عدم كتابة المؤرخين الفرس لكتابهم باللغة الفارسية حينها أدرك بعض المؤرخين أن من العبث كتابة تاريخ فارس الإسلامي لمجتمع لا يهمه التاريخ حتى لو كتب بالفارسية وهذا مما دفع العديد من المؤرخين ذوي الأصول الفارسية كالطبری والدینوری وأبن قتيبة

^(١) د. علي حسن غضبان، البویهیون فی فارس، ص ٢٦٣، دار مکتبة عدنان، شارع المتنبي، ٢٠١٤.

وغيرهم إلى اتخاذ النموذج العربي في الكتابة التاريخية وكانت الثقافة الفارسية على مر العصور كتبت باللغات الفارسية الآتية^(١):-

١- اللغة الفارسية القديمة التي استعملت أيام الدولة الأخمينية (٥٥٠ - ٣٣٠ م) متمثلة بالنقوش الصخرية فيما كتب زرادشت أو أحد تلاميذه (كتابه الإفستا) بلغة إلafستا وهي لغة شقيقة للفارسية القديمة ولغة السنسكريتية وكلتاهم لا يتصالان بالفارسية الحديثة.

٢- غزو الإسكندر بلاد فارس وفتحها سنة (٣٣٣ م) امتازت هذه المرحلة بخلوها من الآثار الأدبية وقد استمرت خمس قرون في ظل حكم الفرثيين (دولة الطوائف).

٣- ظهرت اللغة البهلوية أيام دولة الساسانيين (٢٢٦ - ٦٥١ م) وأصبحت اللغة الرسمية للدولة والدين الزرادشتى وهذه اللغة ولidea اللغة الفارسية القديمة وقد ولدت بدورها اللغة الفارسية الحديثة.

٤- خلال الفتح العربي الإسلامي بلاد فارس نتج عنه أنه أسلم أكثر الفرس وحلت اللغة العربية محل الفارسية وأصبحت لغة الدولة والأدب.

٥- بدأ عصر النهضة الفارسي سنة (٢٣٦ هـ - ٨٥٠ م) ثم أخذ يتضخم كلما استطاعت فارس أن تتحرر من الخضوع لخلافة العباسيين في بغداد^(٢).

لقد كان للعرب تأثير كبير على الفرس من ذ الوهلة الأولى التي دخل فيها العرب أرض فارس وبذا هذا واضحاً بعد حروب التحرير وكان هذا التأثير واضحاً بين أهالي فارس ويقول لوبيون^(٣)، (ان تأثير العرب في بلاد فارس كان كبيراً في أمور الدين والعلوم واللغة، ولذلك أقبل بعض أهل فارس على تعلم اللغة

(١) عمر فاروق، الاستشراق، ص ٤-١٠٥.

(٢) براؤن، تاريخ الأدب في إيران، ٢٩-١٠.

(٣) غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعبي، دار أحياء التراث ، ط١، ١٩٧٩ م، ص ٢٣٠.

العربیة ویقول براون^(۱)، بذلك (إن المسلم سواء كان فارسياً أو تركياً أو هندياً أو أفغانياً أم من أهل الملايو، عليه أن تؤدي الصلاة يومياً بالعربیة وأن یتلقظ بالشهادة أو ما في حکم ذلك من الصیغة الدينیة. باللغة العربیة لذلك وجب عليه أن یلم إماماً ولو یسيراً بهذه اللغة فإذا تعمق فيها فقد استحق مكانة رفیعة ومنزلة عالیة ونلاحظ إن لغات الشعوب التي اعتنقت الإسلام قد غمرها منذ البداية سیل من الألفاظ العربیة یتکون من العبارات الغنیة المتعلقة بالدين والفقه ثم من مصطلحات العلوم الوضعیة التي نشأ في ظلال الحضارة الإسلامية تعذر على الشخص الذي یكتب بالفارسیة أن تخلوا كتاباته من الألفاظ العربیة حتى إن (شاهنامة)^(۲) الفردوسی لا یستطيع أن یدعی إنها خالية من الألفاظ العربیة كما یتوهم البعض وعقد المستشرق الألماني (أتولدکه) مقارنة بين أثر الحركة الهلینیة في فارس والدين الإسلامي فقال (أن الحركة الهلینیة لم تمس من الحياة الفارسیة إلا السطح والقشور، بينما استطاع الدين الإسلامي والحياة العربیة أن ینفذ إلى حرارة الحياة الإیرانیة ولبابها هذا فضلاً عن عدالة الدين الإسلامي وما یحتويه من تعليمات سمحـة غير معقدة جعلـت الناس تقدم إليه بلهـفه أثـرت تعليمـات هذا الدين على الكثـير من الـبلدان^(۳) و أصـبحـت اللغة العربـیـة في فـارـس لـغـة أـهـلـ الـعـلـمـ وـ الـأـدـبـ وـ ظـلـ الفـرسـ يـکـتـبـونـ الـحـرـوـفـ العـرـبـیـةـ إـذـ صـنـفـ الـاـصـطـخـرـيـ (۳۴۶ـ ۷۵ـ مـ) (مسـالـكـ المـمـالـكـ) وـ أـلـفـ أـبـوـ سـعـیدـ السـیرـاـفـیـ التـحـوـیـ (۳۶۸ـ ۹۷۹ـ مـ)، کـتـابـهـ فـیـ

(۱) تاریخ الـاـدـبـ فـیـ اـیـرانـ، صـ ۱۴ـ.

(۲) الشـاهـنـامـةـ: تـجـمـعـ ماـ وـعـیـ الـفـرـسـ مـنـ أـسـاطـیـرـهـ وـ تـارـیـخـهـ مـنـ أـقـدـمـ عـهـوـدـهـ حـتـیـ الـفـتـحـ العـرـبـیـ إـلـاـسـلـامـیـ وـ هـیـ مـرـتـبـةـ تـرـیـبـاـ تـارـیـخـیـاـ وـ قـدـ نـظـمـهـ الـفـرـدـوـسـیـ فـیـ خـمـسـ وـ ثـلـاثـیـنـ سـنـةـ وـ هـیـ سـوـنـوـنـ أـلـفـ بـیـتـ مـنـ الشـعـرـ تـشـتـمـلـ عـلـیـ تـارـیـخـ الـفـرـسـ وـ قـدـ ذـکـرـتـ فـیـهـ أـحـدـاثـ ۳۸۷۴ـ سـنـةـ شـمـلـتـ الـدـوـلـةـ الـبـیـشـدـاـلـیـةـ وـ الـدـوـلـةـ الـکـبـیـانـیـةـ وـ الـاـخـمـیـنـیـةـ وـ الـهـخـامـشـیـنـیـةـ وـ الـدـوـلـةـ الـاـشـکـانـیـةـ وـ الـدـوـلـةـ السـامـانـیـةـ وـ الشـهـنـامـةـ نـظـمـهـ بـالـفـارـسـیـةـ أـبـوـ القـاسـمـ الـفـرـدـوـسـیـ تـرـجـمـهـاـ نـثـرـاـ الـفـتـحـ بـنـ عـلـیـ الـبـنـذـارـیـ قـارـنـهـ بـالـأـصـلـ الـفـارـسـیـ وـ أـكـمـلـ تـرـجـمـتـهـ فـیـ مـوـاضـعـ وـ صـحـحـهـ وـ عـلـقـهـ عـلـیـهـ وـ قـدـمـ لـهـ عـبـدـ الـوـهـابـ عـزـامـ، فـیـ دـارـ الـکـتـبـ الـمـصـرـیـةـ، الـقـاهـرـةـ ۱۹۳۲ـ مـ، مـنـ الـمـدـخـلـ وـ مـاـ بـعـدـهـ.

(۳) أـرـنـوـلـدـ، تـوـمـاـسـ، الدـعـوـةـ إـلـىـ إـلـاسـلـامـ، صـ ۲۳۷ـ.

شرح كتاب سيبويه وأبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ - ٩٨٧ م) الذي صنف كتاب (الإيضاح والتكميل في النحو) وكذلك أبو حيان التوحيدي (٤٠٠ هـ - ١٠٠٩ م) ألف (مثالب الوزيرين) و (الإمتاع والمؤانسة) ومن الجدير ذكره كانت هناك بعض المحاولات لاستعادة اللغة الفارسية وهذا من حقهم كشعب إيراني إلا إنهم وجدوا أنفسهم أمام لغة التشريع الإسلامي والولاة المسلمين ولغة أدباء فارس والمتلقين منهم يكتبون بخط عربي ولكن الأوضاع السياسية سرعان ما تبدل وصارت معظم أقاليم بلاد فارس تحت سيطرة كيانات سياسية جديدة كالسامانيين (٢٦١ - ٣٨٩ هـ) (١٣٠٠-٤٢٩ هـ) والسلجقة (٥٧٠٠-٤٢٩ هـ) (١٣٠٠-١٠٣٧ هـ) والغزنويين (٣٥١-٥٥٨٢ هـ) (١٤٤٨-٩٦٣ هـ) والخوارزميين (٤٧٠-٤٦٢٨ هـ) (١٢٣٠-١٠٧٧ هـ) وكانت هذه الأقوام التركية تبني سياسة رعاية وتطوير اللغة الفارسية إذ غدت اللغة الثانية في العالم الإسلامي خلال تلك الحقبة التي شهدت ظهور كتب مترجمة وأخرى مؤلفة في العصر الساماني ترجم الباعمي تاريخ الطبرى سنة (٩٤٣ هـ / ٣٥٣ م) وترجم تفسير الطبرى سنة (٩٨١ هـ / ٣٧١ م) أما الكتب المؤلفة وكان أشهرها كتاب الشاهنامه الذي بدأه الدقىقى^(١). وأكملاها الفردوسى والتي أصبحت دستور الحياة والمرشد المهم لفئات من الدهاقين والنبلاء الفرس.

فيما لم يكن الترك قانعين بكل ما كتبه الفردوسى من تم吉ده للزراوشتية ولم يسمحوا بانتشار أرائه أو وجهات نظر معارضة للإسلام أو منافية له لأن فئة من هؤلاء كانوا قد دخلوا الإسلام لأسباب عقائدية ولقد مررت حقبة انتقالية شاركت فيها اللغة الفارسية بعد إحيائها اللغة العربية في الثقافة والعلوم وظهرت كتب تاريخية فارسية خالصة لا تعتمد على مراجع عربية وقد حدث ذلك أواخر القرن الخامس الهجري حينما كتب (البيهقي) تاريخه المشهور بثلاثين جزء ثم توالى المؤلفات

^(١)الدقىقى: وهو أبو منصور محمد بن احمد من شعراء القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي نظم الشاهنامه ويقال انه نظمها امتنالا لأمر الملك نوح بن منصور الساماني ٣٦٥-٥٣٨٧ (٩٩٧-٩٧٥ م) وهو من أكبر الشعراء الذين ظهروا في الوجود الفردوسى.

الفارسية باعتبارها ظاهرة ثقافية في القرن السادس الهجري وبعد هذه الحقبة يأتي الحكم المغولي لفارس فيحدث تغييراً مهماً في الكتابة التاريخية كما شجعت هذه المرحلة على ظهور كبار المؤرخين الفرس مثل علاء الدين الجويني (٥٦٨١-١٢٨٢م) صاحب كتاب (جها نكشاي) ورشيد الدين فضل الله (٥٧١٨-١٣١٨م) مؤلف كتاب (جامع التواريخ) وكان علم التاريخ لم ينل العناية والاهتمام عند الفرس بينما سادت اللغة العربية بوصفها لغة الثقافة والعلم وهذا ما كان من تأثير اللغة العربية في أهل فارس ولكن تأثير العرب لم يقتصر على هذه الناحية فقد تعداها إلى نواحي مختلفة وكان قوياً في الأمور الدينية والفقهية والنحو والبلاغة والشعر والعلوم العقلية وكل العلوم التي اشتغل بها المسلمون ويقول براون (هذه العلوم هي في الغالب نتاج لأصول مشتركة انتفع منها العرب من أمم سبقتهم في الحضارة ولاسيما في حقبة مبكرة من العصر العباسي الأول والراجح انه يقصد العلوم العقلية التي انتفع منها العرب وطورها.

حركة إحياء اللغة والأدب الفارسية

إن الثقافة العربية الإسلامية التي انتشرت تدريجياً بعد فتح العرب لفارس بينما تمكن الإسلام من التغلب على بيانة الزرادشت فيما أصبحت لغة العب هي لغة الثقافة السائدة في فارس لكن تنوع مظاهر بداية المواجهة والرفض للحكم العربي بدأت في القرن الثاني الهجري فيما عرف عن الكتاب العرب والمسلمين بحركة (الشعوبية) التي أخذت شكلاً فكرياً أو عقائدياً أو تمرداً عسكرياً أو تأمراً على الدولة العربية الإسلامية لذلك ما انفك هذه الدول بمواجهة الشعوبين بشتى الوسائل الفكرية تحت الحكم العربي نراها حركة ردود فعل في مواجهة الاستئثار بالسلطة والإرادة عند الحكام العرب فهم يدعون أنفسهم (أهل التسوية).

وان بداية النهضة الأدبية الفارسية بعد الإسلام كانت قصيدة فارسية لشخص يسمى (العباس) أنسدتها ليسقط بها الخليفة المأمون عند قدومه إلى مرو سنة (٩١٣هـ/١٨٠٨م) وقد أنقسم المستشرقون في موقفهم من هذه القصيدة وصحتها في الوقت

الذی یؤیدها المستشرق (آیتیه) ویراها (کازمرسکی) منتحلة ویؤیده بذلك براوان والمستشرق الایطالي (بتری) علی أن اشعاراً فارسیة نسبت إلى الشاعر الفارسی حنظلة الباذعیسی فيما نقل الینا (نظمی عروضی سمرقندی) بكتابه (جهار مقالة) أو المقالات الأربع ابیاتاً للشاعر الفارسی (احمد الخجستانی) باللغة الفارسیة یواجه فيها الدولة الصفاریة (٨٦٧-٩٠٣م) وذلك سنة ٨٧٥م لكن المتفق علیه ان فی مدی ثلث قرون ونصف بعد الفتح العربي الإسلامی ان الشاعر المعروف (رودکی) ٩٠٤م والذی یعد أكبر شعراً الفرس في الحقبة السابقة لقيام الدولة الغزنویة (١١٨٦م) التي شهدت ظهور الشاهنامه فقد برع الرودکی على من عداه في قول الشعر حتى تفرد بالجذالة والعنوية ومن شعره المشهور ماقاله ب مدح الامیر نصر بن احمد السامانی الذي حكم من سنة (٩١٣-٩٠٧م) خلال حقبة الدولة السامانیة ٩٩٩ ویری بعض النقاد أن الرودکی كان خیراً بسائر العلوم والفنون والفضائل كما كان یجید القول في سائر ضروب الشعر ولاسيما القصائد والمثنويات (وهي عبارة عن نظم المؤلف من أزواج من الأسطر كل أثنتين منها متفقان في الرؤى مستقلان عن عداهما مما جعله عظيم الشأن ومقبول القول لدى الخاص والعام وازدحم شعراً الفارسیة على باب السلطان محمود الغزوی سنة ١٠٣٠م أشتهر منهم الدقیقی والفرخی علی بن جولوغ السجستانی من شعراً السلطان محمود وله ترجمان البلاغة وهو بمثابة المتنبی عند العرب.

ومن المؤلفات الفارسیة في عصر النهضة الأدبية الفارسیة:-

- ١- بعض المقطعات^(١)، والرباعیات^(٢) والغزلیات فضلاً عن المثنويات والقصائد التي قيلت في ذلك الوقت لتبلغ ذروتها عند الفردوسی.
- ٢- كتاب (ترجمان أبلغه) من وضع الشاعر الفرخی وهو من الشعراء المعاصرين للفردوسی.

(١) المقطعات: من ضروب النظم الشعرية استعارها الفرس من العرب ووصفوها على نسق المعلقات الجاهلية.

(٢) الرباعیات: ابتكره الفرس ونشأت في إیران ثم ظهر الشعر الصوفی.

- ۳- کتاب (غایة العروضین) وکتاب (کنز القافیة) وکلاهما من وضع بهرامی السرخسی وکان معاصرًا الفردوسی.
- ۴- نظم أبو مؤید البلاخی والبختیاری قصّة یوسف وزلیخة بالفارسیة لأمیر العراق الذي لم یصرح باسمه ولعله بهاء الدین بن عضد الدولة ثم نظمها الفردوسی بشكل أجدود وأکثر رصانة لأمیر العراق.
- ۵- کتبت بالفارسیة الحديثة شاهنامات منها شاهنامة أبي علی البلاخی والشاهنامة التي کتبت بأمر أبي منصور بن عبد الرزاق الطوسي نحو سنة ۱۰۵۴م وهي أصل شاهنامة الفردوسی فيما یظن.
- ۶- نظم الشاعر العنصري (۱۰۳۹م) شاعر سلطان محمود الغزنوی قصّة وامق وعذراء واربع منظومات أخرى.
- ۷- الكردیزی (۱۰۵۱م) عبد الحي بن محمود عاش فی غزنة وصف کتابه (زين الأخبار) تینماً باسم السلطان زین الملة عبد الرشید الذي حکم من سنة ۱۰۴۸- ۱۰۵۲م فی الدولة الغزنویة .
- ۸- الترجمة المنظومة التي قام بها (الرودکی) لکتاب (کلیلة ودمنة) وهي الترجمة التي بقى منها ستة عشر بیتاً من الشعر محفوظة فی کتاب (لغت فارس) لاسدی وهو عبارة عن معجم فارسی أنجزه أسدی سنة (۱۰۶۰م) نشره (بول هورن) فی طبعة جميلة وأنفقة وکتبت فی کتاب تاریخ الأدب فی ایران .
- ۹- ابو عبد الله الأنصاری الشاعر الصوفی المتوفی فی هرآ سنة (۱۰۸۸م) کتب قصّة یوسف وزلیخة نثرًا.
- ۱۰- أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبی (۱۰۸۹م) الذي ألف کتاب (تاریخ الیمنی) وهو تاریخ الدولة الغزنویة ودخل فی خدمة السلطان سبکتکین الذي حکم بین سنتی ۹۷۶- ۹۳۶م، ثم فی خدمة السلطان محمود وأرخ له کتاب (تاریخ الیمنی) وأبرز الواقع والأحداث أيامه وکان قد عمل فی دواوین الدولة.

١١- فخري الجرجاني شاعر السلطان طغرلنك السلجوقي نظم قصة (ويس ورامين) .

١٢- نظامي الكنجوري توفي سنة ١٢٠٣ م نظم خمس قصص عرفت (خمسة نظامي) منها ليلي والمجنون.

١٣- عطا ملك جويني توفي سنة ١٢٨٢ م وكتاب (جهانکشاي) ويضمن تاريخ المغول والالیخانيين حتى سنة وتاريخ الدولة الخوارزمية وقلاع الاسماعيليين والصراع بين المغول والخوارزميين وغزو المغول للعراق وفارس والشام وأصبح هذا المؤلف كاتب هولاكو بالعربية والفارسية.

أصل البرتیون في التاریخ

البرتیون وهم سکان البلاط الجبلیة في شرقی بحر قزوین وجنوبه كانت بلادهم قاحلة ويعیشون عیشة بدوية منتقلین في الجبال الواقعه بين هرقانیا ومرجیانا وقد خضعوا لحكومات مختلفة للاشوريین ثم للميديین ثم للفرس ثم لحكم الاسکندر الكبير ثم للسلوقيین ثم استقلوا وصارت لهم على توالي الأعوام دولة كبيرة وقد عرّفهم العرب بالفرس (فتح الفاء تمیزا لهم عن الفرس بضم الفاء) الحقیقیین وقد عرفت البرتیون بهذا الاسم نسبة إلى إقليمهم الأول أو بلادهم الأصلیة وهي برته وتعني (خراسان) الحالیة وعرفت أيضاً بالدولة الإشكالیة نسبة إلى زعیمهم ومؤسس دولتهم (أرشک) الذي أسس هذه الدولة سنة ٢٥٥ ق.م واستقل بلاد فارس في السنة نفسها وكذلك مات في السنة التي أعلن استقلاله فيها ولم يحكم غير سنة واحدة على ما رواه ثقات المؤرخین غير أن بعضهم یزعم انه حكم خمسة عشر سنة وملك اثنتين وعشرين سنة قضاها في توسيع ملکه ثم مات قتیلاً في إحدی المعارک ويقال انه من نسل دارا وانه من طبرستان وكان قائداً على (بلخ) من قبل السلوقيین فلما أراد أن یؤسس حکومة وطنیة في طبرستان جمع قومه وثار على الملك السلوقي (انتیوخوس) وبعد معارک انتصر أرشک وتمزقت الجیوش السلوقیة ووقع القائد انتیوخوس قتیلاً في المعرکة فلما رأى أمراء فارس

انتصار أرشك انضموا إليه جميعهم بعد أن اشترطوا عليه أن يكون لكل واحد منهم استقلالاً إدارياً في منطقة حكمه ويكون أرشك هو الرئيس العام على أثر هذا الاتفاق أخذ أرشك مدينة (الدامغان) في طبرستان عاصمة له. ومنهم من يقول أن أرشك هجم على الوالي السلوقي (اغا نوکلیس) فقتله وتولى مكانه سنة ٢٥٠ ق.م. ثم حمل على (هرقانيا) واستولى عليها وحاول الملك السلوقي (انطیوخوس ناوس) إخضاعه وإخمام ثورته ففشل وسار إليه أرشك بجيش كبير بعد أن انضم إليه أهل (تجريانة) فانتصر على السلوقيين وطردهم من بلاد فارس ومادي وكانت الأسباب الرئيسية التي دعت إلى طرد السلوقيين كان بسبب ضعف دولتهم اليونانية التي قامت على أنقاض دولة الاسكندر الذي قضى على الدولة الكيانية فبعد ذلك أغتتم البرتیون فرصة الانهيار مما دفع زعيمهم أرشك فاجتاز بلاد البرتیين وانتصر فأصبح نظام الدولة البرتیة التي شكلها زعيمهم أرشك أو (ارشاق) على شكل مقاطعات أو ممالیک صغيرة مستقلة حسب الشروط التي وافق عليها أئمّاء انضمّهم إليه. ومن تلك الممالیک الصغیرة التي كانت في العراق إمارة (میشان) التي كانت في موقع (البصرة) وإمارة (حطارا) قرب تكريت وإمارة (حدیلی) في الموصل وتمتد إلى الشرقاً والى نصیبین وقاعدتها اربيل وإمارة الحيرة المشهورة التي كانت في أبي صحیز وهي حکومة عربیة أسسها الملك العربي (مالك بن فهم التتوخی سنة ٣٨ م) وهو مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان أول ملك على العرب بأرض الحيرة وحسبما ورد في مروج الذهب ١٨٢/٣ وتاریخ الیعقوبی وجمهور الأنسباب قبل الإسلام وأصبحت هذه الإمارات تتمتع بالاستقلال السياسي والإداري وحق انتخاب القضاة والمجلس الإداري إلا إنهم جعلوا على العراق حاكماً عاماً فارسياً لإدارة الشؤون المهمة تحت إشراف الملك البرتی المقيم في اكتسیفون (طیسون) سلمان باک أو المدائن حالياً وبذلك تتمتع العراقيون بالحرية التامة وعمرت بلادهم وكثرت ثروتهم وأصبحت البلاد هادئة لم يحدث فيها حرب أو فتن دینیة أو مذهبیة ولم يكن عندهم فرق بين دین وآخر ولا تعصب لدین من الأديان حتى دینهم (الزردشتی) الذي كانوا عليه ولما أنقضی عهد السلوقيين

اليونانيين من سوريا سنة ٦٤ ق.م. وقام فيها الرومانيون طمعوا في العراق كما طمع البرتليون في سوريا فامتدت بينهما الحروب مابين النهرين ثم صار النصر حليف الرومانيين وحمل (طريانوس الإمبراطور الروماني سنة ١١٤ م) بجيش كبير على البرتلين في أيام الملك (خسرو) الذي سماه بعضهم (الرشاق) الرابع والعشرين فانتصر عليهم وتغلب الإمبراطور في بلادهم حتى استولى على سواحل دجلة من جبال أرمينيا إلى خليج فارس سنة ١١٥ م. واستولى أيضاً على سواحل مدينة سلوقيا واكتسيفون وغيرها من مدن العراق إلا أن الملك البرتلي خسرو تمكّن أخيراً من جمع جيشه المتفرق وحمل على الرومانيين وأخرجهم من بلاده فعادوا بالفشل ثم عادت الحرب بين الدولتين سنة ١٦٤ م، فانتصر الروم وتغلبوا في العراق وحاصروا الملك في اكتسيفون سنة ١٦٥ م، وتم عقد صلح يرضيهم فلما دخلت سنة ١٩٥ م عادت الحرب فاندحر البرتلين وتقدم الرومانيون وتغلبوا في العراق واستولوا على العاصمة اكتسيفون فنهبواها وظل البرتليون تارة ينتصرون على الروم وأخرى يندحرون أمامهم وأونه أخرى يعقدون الصلح معهم حتى تحكم الضعف في البرتلين وأخلت نظمتهم بسبب الحروب المستمرة وزالت هيبة الدولة مع أعدائها وكان آخر ملوكها أردوان الرابع (٢١٦-٢٢٦ م) وجلس أردوان الرابع على العرش والفتن الداخلية التي بدأت منذ سنة ١٩٧ م، تارة بين الأسرة وتارة يثيرها الشعب على ملوكه لضعف الدولة وبقيت تلك الفتنة والاضطرابات حتى ثار الفرس سنة ٢٢٤ م، بزعامة اردشير بن بابك من آل ساسان الذي عزم على تأسيس دولته ونهض بقومه من الهضاب في غرب إيران فأخضع جميع بلاد فارس وتبعه خلق كثير من الفرس الميديين وأصبحوا تحت سلطته وعزم على محور تلك الدولة التي حكمتهم لمدة خمسة أجيال فهم أردوان الرابع باخמד تلك الثورة فخابت مساعيه بعد عدة معارك دارت رحاها بينه وبين اردشير فاندحرت جيشه وأعلن اردشير ملكيته المستقلة في (باختر) وسمى نفسه ملكاً وبعد أن فرق جيوش الدولة البرتية افتتح العراق وغيره من الأقطار التي كانت تحت حكمهم ودخل عاصمة الملك اكتسيفون سنة ٢٢٦ م، واستولى على جميع ما كان

لذلك الدولة من الممتلكات والأموال وانهزم الملك البرتي اردون إلى جبال أرمينيا وقتل هناك فانقرضت دولة البرتنيين التي أسسها أرشك بعد أن دامت ٤٧٤ سنة (٤٨ ق.م - ٢٢٦ ق.م) وضمت مدن ایران والافغان وقسماً من تركيا وآسيا وأقاليم من روسيا الحالية والعراق وبلاد آشور وبلاد مادي من ضمنها كردستان وبلاد مابین النهرين (الجزيرة) وحكمت العراق نحو ٣٥٢ سنة (١٢٦ ق.م - ٢٢٦ ق.م) فكان عدد ملوكها الذين حكموا العراق (٢٠) ملكاً أولهم مهرداد السادس وأخرهم اردون الرابع ويلقبون بلقب ارشاق ويقال ان أولهم ارشاق الأول وآخرهم ارشاق الواحد والثلاثون كما لقبوا ملوك الروم بالقياصرة والساسانيون يلقبون بالأکاسرة كما كانت كلمة قیصر تضاف إلى اسم ملك الروم وكلمة کسری تضاف إلى اسم الملك الساساني.

دور الامراء البویهیین فی الحركة الفکریة الإسلامیة فی العراق

بني بویه لم تكن لهم دولة واحدة مركزية بل كانت دولتهم مقسمة على الأخوة الثلاثة وهم (عماد الدولة) علي بن بویه والثاني (رکن الدولة) الحسن بن بویه و(معز الدولة) احمد بن بویه ومن ثم توسيع الدولة البویهیة وصار فيها أكثر من مملكة مقسمة بين الأسرة البویهیة وكل أمیر كان یستقطب أهل العلم والادب إلى مجلسه وينالون التکریم والتشجیع وأصبحت كل مملكة بمثابة مركز حضاري مستقل مما یساعد على التنافس المعرفي بين المراكز الفکریة في بلاد فارس وهي جميعاً تحت ظل السلطة البویهیة مثل شیراز والری واصفهان وکرمان وجرجان والاحواز فضلاً عن بغداد مركز الاشعاع الفکری الاول للحضارة الإسلامية ويعود هذا التلاحم بين هذه الممالك الثلاث إلى قوة العلاقة بينهما من الطاعة والاحترام تحت قيادة أخوهم الأکبر علي بن بویه عماد الدولة ولكن جيل الابناء والاحفاد أظهر عکس ذلك علماً ان البویهیین هم من الديلم ولا صلة لهم بملوك الفرس أو العرب وبعد أن تمكنت هذه الأسرة من السيطرة على زمام الأمور في فارس

وکرمان و اصفهان والری وأمتدت سیطرتها إلی بغداد وقد فکرت هذه الأسرة فی إضافة نسب قوي ومشرف للأمة لیدعم مركزها فكان لها ما أرادت وأصبحوا ملوكاً باسم الملوك الفرس في تاريخ ایران. وعندما بدأ حالت التمزق والتجزئة والصراعات السياسية بين الجيل الثاني من بنی بویه جعل كل أمیر مستقل بملكته وهذه التجزئة السياسية كما ذكرنا سابقاً بدأت مظاهرها من مظاهر الضعف السياسي إلا إنه من جانب آخر اهتمت بالازدهار الحضاري وتعدلت مجالس وبلاطات الأمراء فظهرت مجالسهم مكتضة بأهل العلم والآداب والمعرفة وقد وصف الدكتور حسين أمین في كتابه الحياة الثقافية في العصر البویهي بقوله (سمت الآداب نثراً وشعرأً وتطورت الدراسات اللغوية وازدهرت الحياة العقلية وتكاملت دراسات الفقه المختلفة وظهرت البحوث العلمية في التاريخ والجغرافية كما نمت الحياة الصوفية والدراسات الدينية على اختلاف موابعها من تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف). ويقول الدكتور أحمد أمین في كتابه ظهور الإسلام (كان كثير من البویهيين أدباء ومتقين ثقافة واسعة أشهرهم في ذلك (ع ضد الدولة) وكان يشارك في عدة فنون منها الأدب وكذلك (عز الدولة) أبو منصور بختيار و(تاج الدولة) بن (ع ضد الدولة) ولهم اشعار أورد بعضها الشاعر في الیتیمة ثم نجد ظاهرة مهمة في هذه الدولة وهي أساس الاختیار للوزارة كان عماده شیئین هي القدرة الإدارية والقدرة البلاغية لذا فقد كان الوزراء فحول في الأدب وكان أشهرهم ابن العمید وابن عباد والمهلب وسابور بن اردشير وابن سعدان وكل من هؤلاء كان عماداً للأدب والآدباء والعلماء وكانت لهم مجالس تموج بالعلم والآداب. وكانت قصائد الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن أبي أحمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زین العابدین بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. رائحة كما كانت قصائد ابن الحاج أبو عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الشاعر الكاتب المعروف وابن سکرہ الهاشمي أبو الحسن محمد بن عبد الله شاعر متسع الاباع وقد جار في میدان المجون والسفح كما أورد ذلك الشاعر في بیتیمة الدهر

وکانت مقولات الشیخ المفید المعروف بابن المعلم أبو عبد الله محمد کثیر الصدقات عظیم الخشوع کثیر الصلاة والصوم تلقی أذاناً مصغیة کما کانت مقولات الباقلانی القاضی أبو بکر الباقلانی محمد بن الطیب البصیری مسموعاً وجدت عند الامراء البویهین الدعم والتشجیع وکان الأساس لهذه النهضة التي شهدتها القرن الرابع الهجري لاسیما حالة التطور الفكري التي وصل اليها المجتمع العربي والاسلامی وعلى مختلف المستويات والمیادین هو أجواء الانفتاح والحریة وكانت زیارة الامراء والوزراء لأهل العلم والمعرفة دلیل واضح على ما یتمتعون به من وعی وحسن ثقافی فی فضلاً عن إن هؤلاء العلماء والادباء کانت تمثل لهم زیارة الامراء والوزراء وکبار رجال الدولة الحافز الأکبر نحو تألف المصنفات والاسفار التي کانت بعضها یطلب من علیة القوم أو یزینوها بإهداء کتبهم إلى هؤلاء الامراء ووزرائهم فشاعت عادة إهداء الكتب للحكام وتألف المصنفات بناء على طلبهم وهذا یتجلى بوضوح عندما یطلب (عند الوله) من أبو إسحاق الصابی یبراهیم بن هلال صاحب الرسائل الذي کان فاضلاً وشاعراً وعالم هندسة وله دیوان شعر وكتاب أخبار الدبلم، تأليف كتاب في اخبار الدولة الدیلمیة وسماه التاجی وذکرہ ابن الندیم في الفهرست ص ۱۹۳ وابن تغیری بردی بكتابه النجوم الزاهرة وكذلك ألف أحمد بن فارس اللغوي النحوی القزوینی کتابه (الصحابی) وألف أبو بکر الكرخی المهننس وعالم بالحساب الذي ذکرہ ابن خلکان في وفيات الأعيان وابو الحسین الرازی العالم المفکر الذي أنجز کرة كبيرة وزنها ثلاثة الاف درهم لعند الدولة وهي أشبی بالكرة الارضیة تمثل السماء بما تحتويه من الواکب والنجوم والأجرام السماویة وصنف عبد الرحمن الصوفی لعند الدولة کتاب (علم صور الكواکب) ذکرہ ابن الندیم في الفهرست وسرکیس في معجم المطبوعات العربية في الجزء الثاني من کتابه وابو العلی الفارسی کتابه الایضاح العضدی وكتاب الحجۃ في القراءات السبع وفي کتاب الطب ألف الطیب علی بن عباس المجوسی کتاب (الکناش) المسمی (الملکی العضدی) وهو من الکتب المشهورة في الطب كما صنف حمزة الاصفهانی لعند الدولة بشیراز کتاب

(الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية) ويدرك ياقوت الحموي إن ابن جني صنف كتاب (البشرى والظفر) لع ضد الدولة والف أبو حیان التوحیدي (علي بن محمد بن العباس التوحیدي وهو متفنناً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب وفیلسوف الأدباء وإمام البلاغة وكان من البديهي أن هذه المؤلفات لم تأت من فراغ بل هي كانت مواكبة للحركة العلمية والأدبية التي تبناها الأمراء البویهیین ووزرائهم لدعم هذه الجزء لأنهم كانوا عند درجة عالية من الثقة والأدب ومن أهم المراكز العلمية في فارس:

١- دور العبادة وتعدد المساجد والجواامع والحسينيات المنتشرة شکات مكاناً مشهوراً ورئيسيأً في الحياة الاجتماعية العامة واحتضنت هذه الدور بدورها كمراكز علمية فكان في كل مسجد أو جامع مكتبة تكون مركزاً لحلقات التدريس لأن المساجد سنة سار عليها كافة المسلمين في مشارق الأرض ومحاربها منذ ظهور الإسلام حتى يومنا هذا وللمساجد أغراض نبيلة سامية منها دينية وعلمية وتعلیمية واجتماعية واقتصادية وعسكرية وأهم عمل أهتم العرب بإقامتها هو بناء المساجد في عمليات الفتح من أجل العبادة ونشر العلوم الدينية والأدبية.

٢- المكتبات ودور العلم: أدت معرفة الورق وانتشار مصانعه في مدن المشرق الإسلامي إلى توافره وتمكن المؤلف من التأليف وانتشرت دکاکین الوراقين في المدن وبعض الوراقين سابقأً كانوا من رجال الفكر ومنهم الشعراء والأدباء وهناك سماسرة الكتب ومن أسباب ازدهار الفكر الإسلامي الحرص على اقتناء الكتاب وتكوين المكتبات الخاصة في البيوت التي تضم مئات الكتب والمجلدات وقد ضم (ع ضد الدولة) بقصره في شیراز مكتبة كبيرة تنافس تلك التي كانت للسامانیین فب بخاری وتشمل هذه الدار على (٣٦٠) حجرة ودار وكان مجلسه في كل يوم بواحدة حسبما ذكره المقدسي في أحسن التقاسيم والدكتور (متر آدم) في كتابه الحضارة الإسلامية كما ان أباظ سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة كان له درا في الكرخ سماها (دار

العلم) كانت تشمل أكثر من عشرة الالف مجلد تظم أنواع الكتب وكانت مفتوحة أمام طلبة العلم للقراءة والنسخ ولكنها احترقت أيام احتلال السلاجقة اليونان لبغداد كما ذكرها ابن الجوزي بكتابه المننظم وكان لأبي العلاء المعری قصيدة مشهورة في بحر الطویل اشار فيها إلى دار العلم تلك: وغنت لنا في دار سابور قینة

من الورق مطراب الاصائل مهباب

وكان حبشي بن معز الدولة بن احمد بن بویه قد جمع في مكتبه أكثر من خمسة عشر ألف مجلد. كما ان الوزیر منصور بن بهرام كان قد بنى بفارس في فیروز أباد خزانة للكتب وأوقفها على طلاب العلم وكذلك أهتم ابن العميد في اقتناة الكتب وأنشأ مكتبة كبيرة بالری وكان مسکویه العالم المؤرخ المشهور قیماً ومسئولاً عنها، وكذلك مکتبة الصاحب بن عباد تحتوي على مجموعة من الكتب والاسفار تقدر بجمل (٤٠٠ جمل) وكان صاحب خراسان الملك نوح بن منصور الساماني أرسی إلى الصاحب يستدعيه إلى حضرته ويقول (كيف يحسن لي مفارقة قوم بهم ارتفع قدری) وكان ابن البواب صاحب الحظ الجيد خازناً لمکتبة بهاء الدولة بشیراز الذين اعتادوا اقتناة الكتب والمکتبات داخل قصورهم.

المجالس العلمیة والأدیبة: تعددت وازدهرت المجالس في عهد البویهیین فهناك مجالس خاص كان يعقدها الحکام والأمراء ووزرائهم لما كانوا ينتمون به من ثقافة ودرایة واسعة وكذلك كان مجلس ابن العميد حافلاً بالفقهاء والمتكلمين وكانت بينهم مناظرات كما ذكره الصفیدی في الوفي بالوفیات وكذلك الوزیر الصاحب بن عباد بالبلاغة وسحر البيان وصارت مجالسه ملتقى العلماء والادباء وكذلك كان لأبي عبد الله بن سعدان الحسن بن احمد المعروف باسم سعدان كان رجلاً باذلاً للعطاء وكان وزیر صمصم الدوّلة.

٤- البيمارستانات: تعد هذه البيمارستانات من مراكز الدراسات الطبية التي تطورت في العصر العباسي إذ غدت مدارس عليا للطب وكان يتألقى الطلاب فيها علومهم من اساتذتهم العرب الكبار وكان يديرها أطباء معروفون وكان بشيراز بيمارستان جزء من جامعة كانت تدرس فيها الفلسفة والتجييم والطب والكيمياء والرياضيات وعندما زار (بنيامين الطليطي) بغداد عام ١١٦٠ م وجد فيها (٦١) بيمارستانًا حسن التنظيم.

٥- مكانة فارس الفكرية: تعد فارس واحدة من الأقاليم التي توافرت لها كل مقومات النمو الفكري مثل حالة الاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي والحرية التي سادتها فضلاً عن تولي حكمها من قبل أمراء ووزراء اهتموا بالجانب الفكري وبلغت فارس أوج عظمتها في عهد عضد الدولة وعندما أهدى أبو الفرج الاصفهاني الذي ينتهي نسبه إلى عبد الرحمن بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. كتابه الأغاني إلى سيف الدولة الحمداني وأعطاه ألف دينار وبلغ ذلك الصاحب بن عباد فقال: (قصر سيف الدولة وانه يستأهل أكثر) ذكره الصندي في الوفي بالوفيات. وتركز النشاط الثقافي في فارس في المدن الكبرى وخاصة العاصمة شيراز قصر الأمير والكتاب وسائر موظفي الدولة ومعظمهم من الفرس الذين عرفهم العرب بالموالي وقد شكلوا طاقم دواعين الدولة الإسلامية في الامصار وقد ذكر لنا الاصطخري بعض هذه العوائل التي سيطرت على أعمال الدواعين في فارس وتوارثها ومنها آل حبيب وآل المرزبان وآل أبي صفية وآل أبي مردشاد.

٦- علوم القرآن: أثرت أساليب القرآن الكريم والحديث النبوی الشریف فی لسان العرب تأثیراً بعيداً حتى أصبح اللسان العربي هو المثل الأعلى فی التفسیر وتتقسم علوم القرآن الكريم إلى صنفين هما: علم القراءات وعلم

التفسیر^(۱). وقد أهتم العرب المسلمين بهذه العلوم بسبب حاجتهم اليها في حیاتهم العامة، وتکمن أهمیة علوم القرآن بالنسبة للعلوم الدينیة الایخرى بأنها الأساس. فاساس تلك العلوم هو ضبط نصوص القرآن الكريم و تفسیرها^(۲).

- ۷ علوم القراءات: وهو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم أو صور نظم كلام الله سبحانه وتعالى من حيث وجوه الاختلاف المتواترة وصون كلام الله عز وجل من التحریف والتغییر عن الرسول الكريم (ﷺ) على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفية أداء الحروف وتم تناقل ذلك حتى استقرت منها سبع طرائق معينة توتر نقلها أيضاً بأدائها ونسبت إلى من أشتهر بروایتها فصارت هذه القراءات السبع أصولاً ل القراءة وكان بفارس عدد من العلماء الذين اختصوا بهذا العلم وبرعوا فيه وكانوا أهلاً له وفيما يأتي أشهر العلماء القارئين:

۱-احمد بن الفرج الجوری توفي عام ۱۰۰۴ م.

۲-المطوعی توفي عام ۱۹۸۱ م.

۳-أبو بکر محمد المقرئ توفي عام ۱۰۰۲ م.

۴-أبو يعقوب المقرئ توفي عام ۱۰۶۳ م.

۵-أبو الحسین الفارسي الشیرازی توفي عام ۱۰۶۸ م.

- ۸ علوم تفسیر القرآن الكريم: التفسیر في اللغة هو الايضاح والتبيین كما بين ذلك السیوطی جلال الدین محمد المتوفی عام ۱۴۵۹ م. تفسیر الجلالین ومنه قوله تعالى {وَكَائِنَكَ بِكَلِيلٍ إِلَّا جِئْنَكَ بِالْمَعْنَى وَأَخْسَنَ تَفْسِيرًا} الفرقان ، وهو مأخوذ من الفسر أبي

^(۱) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، المقدمة ط٤، دار العلوم ، بيروت، ۱۹۸۴ م، ص ۵۵۱.

^(۲) الحضارة العربية، ترجمة: إبراهيم احمد العدوی، مکتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ۱۹۵۶ م، ص ۹۹.

تبیانه والفسر: البيان وكشف المغطى والتفسیر كشف المراد عن اللفظ المشکل حسبما ذکر ذلك ابن منظور في لسان العرب. وأما في الاصطلاح فيقول ابن كثير اسماعیل بن عمر بن كثير القریشی ابو الفداء المتوفی عام ۱۳۷۲م. عرفه ابو حیان النحوی المتوفی النطق بالفاظ القرآن ومدلولاتها واحکامها الافرادیة والترکیبیة ومعانیها.

ومن أشهر المفسرین في بلاد فارس:

١- ابو علي الشیرازی المتوفی عام ۱۰۱۴م. من أهل شیراز ومن کبار الائمة ببلاد فارس وذکرہ ابن العماد في شذرات الذهب وقال فيه (ابو علي الشیرازی المقرئ الفقیه الشافعی کان حافظاً نادقاً وکان حافظاً للحدیث جلیل القدر من أهل القرآن والعلم وکان کثیر الرحلة والسماع سمع ببغداد من اسماعیل الصفار وعبد الله بن درستویه وسمع من ابی العباس محمد بن یعقوب الأصم وابی محمد الحسن وغیرهم.

٢- ابن الحضر العمری الكازرونی المتوفی عام ۱۰۳۹م. وهو عالم جلیل وفاضل صنف التفسیر المسمی بالصراط المستقیم وهو کتفسیر الجالین وجیز اللفظ غزیر المعنی وفسر أکثره بمضمون الاحادیث الشریفة.

٣- علم الحدیث النبوی الشریف والعلم بروایة الحدیث: ويعرف علم الحدیث بأنه علم یعرف به أقوال النبی (ﷺ) افعاله وأحواله وغایته الفوز بسعادة الدارین وقيل انه یشتمل على نقلنا اضيف إلى النبی (ﷺ) قولًا أو فعلًا أو تقریرًا أو صفة حتى الحركات والسكنات في اليقضة والمنام ويقسم الحدیث على قسمین:

أ- العلم بروایة الحدیث.

ب- العلم بدرایة الحدیث

ومن المحدثین في الدولة العربية الاسلامیة في ذلك الحین هم:

١- ابو محمد بن اذران عام ۹۱۶م: وهو ابو محمد عبد الله الخیاط حدث بشیراز سنة ۴۳۰ھ- ذکرہ ابن عساکر في تاریخ دمشق والمرعشی شهاب الدین في کتابه احقاق الحق وازهاق الباطب.

٢-الحسن بن سفيان العسوی المتوفی عام ٩٦٤م: وهو الحسن بن سفيان من أهل فسا وهي من كورة دارا بمجرد بفارس محدث وحافظ له مسند في الحديث وصنف كتاب النوادر وذكره ابن حجر في كتابه لسان المیزان وكذلك حالة عمر رضا.

٣-بندار بن الحسین الشیرازی المتوفی ٩٦٤م: وهو بندار بن الحسین بن محمد بن المهلب كان یعلم الاصول مهذباً وفي الحقائق مقرباً وهو شیرازی المولد وسكن ارمان.

٤-ابو بکر الفارسی البيضاوی المتوفی ٩٦٧م: حدث عن محمد بن هارون بن المجد وعبد الله بن سعد القرشی وحدث عنه عمر بن احمد البرمکی وابو سعید النقاش والحافظ ابو نعیم.

٥-ابو سلیمان النساج الجوری المتوفی ٩٧٠م: كان من المحدثین بشیراز حدث عن ابی بکر بن سعدان.

٦-ابو بکر الوراق المتوفی عام ٩٨٠م: وهو محمد بن جعفر بن الحسین بن محمد بن زکریا ابو بکر والملقب (غندرا) ذکرہ الخطیب البغدادی بكتابه تاریخ بغداد كان جواًاً ورحاًًا سمع الكثیر بیلاد فارس عن الباغمی وابن صاعد وابن درید وغيرهم وروی عنه ابونعیم الاصفهانی.

٧-الحسن بن محمد العسوی المتوفی عام ٩٨١م.

٨-محمد بن خفیف بن اسفکنیا زاد المتوفی ٩٨١م.

٩-ابو احمد الجرجانی القاضی المتوفی عام ٩٨٣م.

١٠-ابن شیرویه المتوفی عام ٩٩٠م.

ابو العباس الشیرازی المتوفی عام ٩٩٢م.

١٢-ابو عبید الله المرزبانی المتوفی عام ٩٩٤م.

١٣-القاضی ابو محمد الاصطخري المتوفی عام ٩٩٤م.

١٥-ابو علي الكرمانی كان حیاً عام ٩٩٦م.

١٦-ابن عبدان المتوفی عام ٩٩٨م.

١٧-یحیی بن علي بن محمد المتوفی عام ٩٩٨م.

- ١٨- ابو العباس الكازروني المتوفی عام ١٠٠٥ م.
- ١٩- ابن جمیع المتوفی عام ١٠١١ م. وهو ابو الحسین محمد الغسانی الصیداوی.
- ٢٠- الحافظ ابو بکر الشیرازی المتوفی ١٠١٦ م.
- ٢١- ابو بکر الثقفی المتوفی عام ١٠٢٥ م.
- ٢٢- الرشیقی المتوفی ١٠٢٩ م.
- ٢٣- ابو بکر الصفار المتوفی ١٠٤٨ م.
- ٢٤- ابو عبد الله الجوری المتوفی عام ١٠٦١ م.
- ٢٥- ابو القاسم الشیرازی المتوفی عام ١٠٥٦ م.
- ٢٦- ابو القاسم الشیرازی الوراق المتوفی عام ١٠٨١ م.
- ٢٧- ابم مسکویه المتوفی عام ١٠٨٩ م.
- ٢٨- ابو زرعة الشیرازی المتوفی عام ١٠٩٢ م.

علماء خراسان في بغداد وأنواعهم في الحركة الفكرية

أختلف المؤرخون في أصل معنی الكلمة خراسان فمنهم من اعادها إلى أحد أولاد سام بن نوح وآخرون عزو التسمية إلى خيراتها الكثيرة وذهب آخرون إلى كونها مطلع الشمس. فأبن العقبة المتوفی سنة ٩٣٢ م التي تزامنت حياته وعطاؤه العلمي مع الاطار الزمني الذي يتناوله البحث فإنه يرجح أصل التسمية إلى خراسان بن عالم بن سام بن نوح ويرجع أن خراسان وهيطل ابنها عالم بن سام ولما تبللت الاسن في يوم واحد فنزلوا بلادهم التي هي نسمى بهم إلى اليوم فاما هيطل فولده من وراء نهر بلخ وتسمى تلك البلاد الهیاطلة ويفی خراسان من هذا الجانب. ويرى آخرون ان الكلمة تتألف من شطرين فخر معناها (كل) وأما (سان) فتعني (سهل) أو (بلا تعب) وبهذا تصبح (كل بلا تعب) الأمر الذي ينطبق على خيرات خراسان الكثيرة الا ان هناك رأي ثالث فيه كثیر من الصواب ويرجح

على الكثير من المؤرخين على ان (خر) تعني (الشمس) بالفارسية وأما (اسان) فهي موضع الشيء ومكانه فيصبح المعنى (مكان الشمس) أو (مطلع الشمس). ومثلاً اختلف اللغويون في أصل تسمية خراسان اختلفوا بحدود خراسان الجغرافيون قالوا خراسان من جهة الشرق باقليم سجستان والهند ومن غربها صحراء الغز وجرجان ومن شمالها بلاد ماوراء النهرین ومن الجنوب صحراء فارس والى نواحي جبال الديلم مع جرجان وطبرستان والري وقزوين وقسم عد من المؤرخين المعمرة إلى اقاليم فوضعوا خراسان ضمن الاقليم الرابع الذي يمثل ربع المملكة واقليم خراسان ضم تضاريس مختلفة فيه سهول واسعة وأنهار كثيرة ولذا فهي سهول غنية بمواردها الطبيعية وبقي التقسيم الاداري بخراسان حتى دخول العرب المسلمين على يد عبد الله بن عامر ابها ارباعاً نيسابور ومره وهراء وبلخ وكانت نيسابور أكثر مدن خراسان أهمية فثراء نيسابور الاقتصادي والعلمي واعتبرها الثعالبي سرة خراسان وغرتها .

أما المؤرخ الجغرافي المقدسي فوصف عمرانها وسعة مساحتها (وهي كورة واسعة جليلة الرساتيق والضياع والغنى) وبيؤكد العالم السمعاني بقوله (انها أحسن مدينة واجمعها للخيرات بخراسان) وقال عنها أحد الشعراء:

ليس في الروض مثل نيسابور

بلد طيب ورب غفور

وبعد الفتح العربي الاسلامي لخراسان استقرت العرب فيها ولا سيما نخبة كبيرة من الصحابة والعلماء المسلمين الذين أصبحوا النواة الاولى لانتشار الفكر والعلوم الاسلامية فأنعكس ذلك بشكل واضح وكبير ليس فقط في نشر الدين الاسلامي واللغة العربية وما أدى إلى قيام حركة علمية وفكرية حتى غدت خراسان عد كبير من مشاهير علماء المسلمين في شتى المناحي ولهذا فليس من المستغرب إذا ما أرتبط اسم خراسان بالعرب حتى غداً اللفظان وكأنها اسماً لمعنى واحد وأصبحت خراسان رمز سياسي ومظهر حضاري عربي اسلامي وتجلى اهتمام الخليفة الرشيدية بالسيطرة عليها وهجرة القبائل العربية إليها والاستقرار فيها

و بقی نأییر عرب خراسان اضحأ فی تسیر دفة المحافظة علی الكیان العربي فی خراسان و هکذا عد البعض اهل خراسان بأنهم أهل دعوة وأنصار دولة و من المؤسسات العلمیة فی خراسان :

أولاً: المساجد

ثانياً: المدارس

ثالثاً: دور السنّة لدراسة الحديث النبوی و علومه.

رابعاً: مجالس بیوتات الامراء.

خامساً: دور العلماء فی منازلهم الخاصة.

سادساً: مجالس المناظرات والاملاء.

سابعاً: دور الصوفیة والخانقاهات.

و كانت دوافع رحلة علماء خراسان إلی بغداد من أجل طلب العلم من أهم مزايا الحياة العامة فی اقليم خراسان بل فی كافة انحاء العالم الاسلامي فهي تعد مطلب رئيساً من أجل استكمال المعرفة فی العديد من المعرف و العلوم و القافات الذي أصبحت لها دور مهم فی تقویة الصلات الفکریة و الثقافیة بین أرجاء العالم الاسلامي من مشرقه إلی مغربه و عملت علی ابراز وحدة أقالیم الدولة الاسلامیة و لقد كان لانعدام الحاجز و العوائق بین البلدين آنذاك أثر کیر فی تسهیل رحلة العلماء بین أرجاء العالم الاسلامي فقد كانوا العلماء الاعلام فی تلك الازمان تعتبر الرحلة کوسیلة لاستتمام العلم و اكمال المعرفة بقوله (من خرج فی طلب العلم كان فی سبیل الله حتی یرجع).

البویهیون یستولون علی بغداد (٩٤٥-٥٣٣)

بعد ان استولی معز الدولة علی الاحواز سنة ٥٣٦-٩٤٥ أصبح الطريق سالكاً نحو بغداد فيما كانت بغداد التي وصلت فیها الخلافة العباسیة فی آخر عهد نفوذ الاتراك إلی حالة شديدة من الضعف والاضطراب وصار الخليفة العباسی لا حول له ولا قویة ووصلت هذه الحال ذروتها فی عهد الخليفتین الراضی (٩٤٠-٩٤١)

والمنقي (٩٤٤م) وعلى الرغم من استحداث منصب (أمير الأمراء) لإنقاذ الوضع المتردي لكن دون جدو ويقول ابن طباطبا الفخري (في الآداب السلطانية) واستولى الأعاجم والأمراء وارباب السيوف على الدولة وجبو الاموال وكفو يد الخليفة وقرروا له شيئاً يسيراً وضعف أمر الخليفة واضطربت الخلافة العباسية وخرجت الأمور منها سنة ٣٢٢م منذ تولي الخليفة الراضي بالله وفي سنة ٣٣٤ دخل ينال كوشة وهو من قواد معز الدولة إلى الموصل وكذلك إلى بغداد في طاعة الأمير أبي الحسين احمد بن بویه فأضطرب الاتراك والديلم وأختفى ابن شيرزا وابو جعفر كاتب توزون الذي لاه الخليفة المستكفي وكذلك أختفى الخليفة خوفاً شديداً سنة ٩٤٥م بعد أن ساعت الأحوال فدخلها البویهیین من دون مقاومة فقام الخليفة المستكفي بالترحيب بالامير أبي الحسين احمد بویه ووصل الامير احمد بن بویه إلى حضرة الخليفة المستكفي بالله فرد اليه (إمارة الأمراء) واعطاه الهدایا الكثيرة والله السلطنة وعقد له لواء وهو أول ملوك بنی بویه ولقبه الخليفة بـ (معز الدولة) ولقب أخاه الحسن بـ (رکن الدولة) والاخ الأكبر وهو علي بن بویه بـ (عماد الدولة) وأمر أن تضرب القابهم على الدينار والدرهم. ولكن (معز الدولة) خلع المستكفي بعد أن استتب الأمر له وسيطر على أمور بغداد وأعتقل الخليفة ونهبت داره وسملت عيناه وبقي معتقلأً حتى وفاته ٣٣٨هـ واحضر معز الدولة أبي القاسم الفضل بن المقذر بالله إلى دار الخلافة سنة ٣٢٤هـ ولقب بـ (المطیع لله) سنة ٩٤٥هـ - ٩٧٣م ولم يكن له من الأمر سوى ذكر اسمه على الخطبة ونقشه على السکة، أقام البویهیون في بغداد امارة وراثية فحدثت بين الاسرة المنازعات والمعارك فكانت سبباً لأنهيار الدولة البویهیة وبقيت الدولة قائمة حتى دخل السلاجقة بغداد وقبض طغرلنك السلاجقی على آخر ملوك بنی بویه ابی نصر خسرو فیروز (الملك الرحيم) وسجنه حتى مات في السجن وذلك سنة ٤٤٧هـ حسبما ورد المقریزی في كتابه السلوك . ومن خلفاء العصر البویهی المستكفي وقد خلع في السنة نفسها التي دخل فيها البویهیون بغداد ٩٤٤م والمطیع الله حکم (٢٩) سنة لغاية سنة ٩٧٣م . والطائع بالله حکم (١٨) سنة لغاية ٩٩١م.

والخليفة القادر بالله حکم (٤١) سنة لغاية ٣٠ م. والقائم بأمر الله طالت مدة خلافته وفي آخر خلافته زالت دولة بنی بویه وظهرت دولة السلاجقة وكان حکم القائم بالله (٤٥) سنة لغاية ٧٤ م. وأما حکام بنی بویه فهم^(١):

- ١- ابو الحسين احمد (معز الدولة) ٩٤٥ م.
- ٢- ابو منصور بختيار (عز الدولة) ٩٦٦ م.
- ٣- ابو شجاع (عصف الدولة) ٩٧٧ م.
- ٤- ابو كالیجار المرزبان (صمصان الدولة) ٩٨٢ م.
- ٥- ابو الفوارس (شرف الدولة) ٩٨٦ م.
- ٦- ابو نصر فیروز (بهاء الدولة) ٩٨٩ م.
- ٧- ابو شجاع (سلطان الدولة) ١٠١٢ م.
- ٨- ابو علي الحسن (مشرف الدولة) ١٠٢١ م.
- ٩- ابو طاهر (جلال الدولة) ١٠٢٦ م.
- ١٠- ابو كالیجار (عماد الدولة) ١٠٤٣ م.
- ١١- ابو نصر خسرو فیروز (الرحيم) ١٠٥٥ م.

قالوا في الدولة البویهیة

ابتدأت هذه الدولة بقيام ثلاثة أخوة أبو الحسن الملقب معز الدولة وأبو علي الحسن الملقب رکن الدولة وانو الحسن احمد الملقب عماد الدولة أولاد أبي شجاع بویه و كانوا يسكنون بلاد الدیلم ثم خرجموا من خرجوا من بلاد الدیلم من دعاء العلویین ضد العباسیین وتمكنوا من تشكیل الدولة البویهیة الفارسیة الخامسة في العراق من سنة (٩٤٥-١٠٥٥ م) وانقضت هذه الدولة بعد أن ملکت العراق (١١٣) سنة من تاريخ استیلاء معز الدولة احمد على بغداد إلى آخر أيام الملك

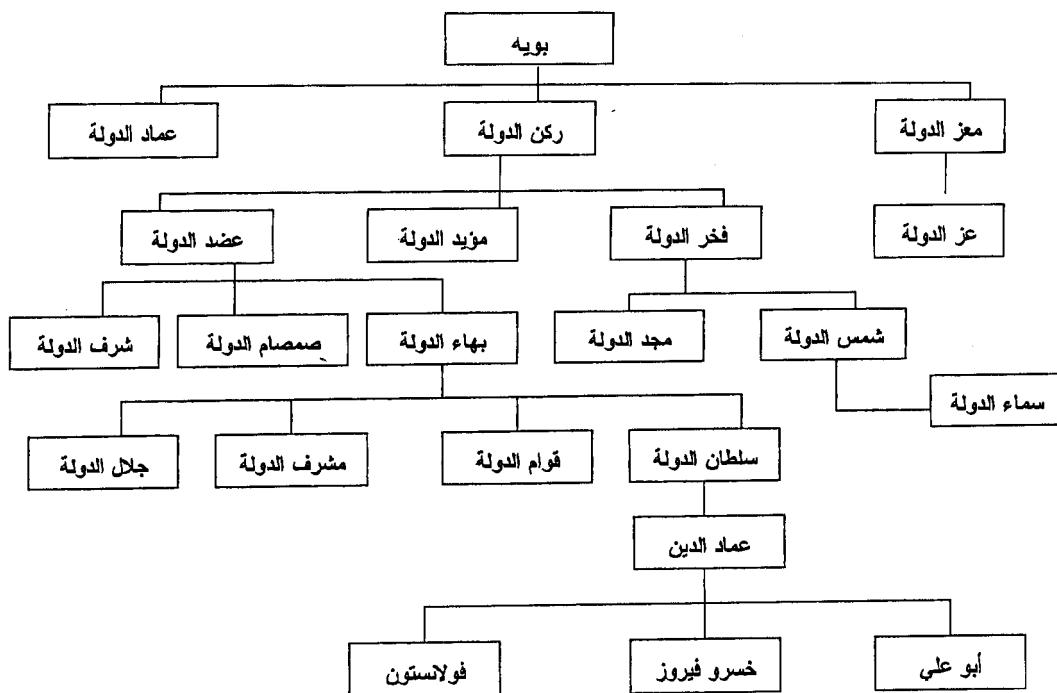
^(١) حسبما ورد في تاريخ الانساب واسرات الحاکمة لمؤلفه (زامبارو) وبول استانلي لین=طبقات سلاطین الإسلام.

الرحیم الذي أسره القائد السلاجوقی (طفرک) وعدد الملوك الذين ملکوا العراق (۱۱) ملکاً وأنقل الحكم إلى السلاغفة ثم إلى الخلفاء العباسيين الذين أعاد حکم ونفوذهم حتى حمل عليهم هولاکو بجيشه وقضى على الخلافة العباسية وأعدم الخليفة العباسی وحاشیته فضل العراق ينتقل من دولة إلى أخرى وندرج أدناه جدول يمثل تسلسل أمراء بنی بویه في الحكم الذي يعد العصر البویهی من العصور المهمة التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية التي تناولها الكثیر من المؤرخین بميولهم السياسية والمذهبية متأثرين باقتران اسمها بأحداث بغداد وما آلت إليه الخلافة العباسية من تدهور وضعف إدارتها إلى جانب سوء معاملة الأمراء البویهیین للخلفاء العباسيين متعمین بذلك ما بدأه القادة الأتراك الذين سيطروا على الدولة العباسية.

ويقول (بوزورث) من السی آی التنظیم العسكري عن البویهیین فی العراق وإیران المنشورة فی مجلة المورد لعام (۱۳۹۵هـ) (ارتقى البویهیین السلطة كجندو هدفهم الإثراء وكان الدور الذي لعبه قومهم الديالمة فی التاريخ الإسلامي عسكرياً إلى حد ما) ومن نافلة القول أن تقدم مقاطعة فارس فی العلوم الإسلامية كان ملماوساً بكثرة المشتغلين بهذا العلم وثرا مصنفاتهم فيما كان إرث مقاطعة فارس الديانة الزرادشتية واللغة الفارسية أصابها الخمول والركود ونرى انتشار الدين الإسلامي واللغة العربية فی بیئة فارس فتخلى معظم الناس عن دياناتهم القديمة واقبلوا على اعتناق الدين الإسلامي الجديد فكان التهافت لتعليم اللغة العربية بوصفها لغة الدين الجديد فضلاً عن خصوصيتها فی المرونة والبلاغة وبذلك أندفع معظم سکان فارس إلى استيعاب الثقافة العربية الإسلامية ويرعوا فی التأليف والتصنیف فی العلوم الإسلامية المختلفة ولم يلتفتوا إلى معارفهم الموروثة فی الديانة الزرادشتية واللغة الفارسية وخصوصية أخرى تسب إلى أهل فارس هي طاعتهم للسلطان وأخيراً بعد ضعف الدولة البویهیة فی زمان الملك الرحیم اندفع القائد السلاجوقی (طفرک) وهو يقود جیش کبیر مختلط وأغلبهم من الأتراك مکنته من الاستیلاء على بغداد مقر الدولة البویهیة ومقر الخلافة العباسية سنة

(٤٤٧هـ) وبهذا انقضت الدولة البویهیه وکان عدد الملوك البویهیین الذين حکموا العراق (١١) ملکاً كما میین في الجدول أدناه وأنقل الحكم في العراق بعدهم إلى السلاجقة ثم رجع إلى الخلفاء العباسین حتى حمل عليهم هولاکو المغولي وأنهى الخلافة العباسیه سنة ١٢٥٨ م.

وأصبح العراق يننقل من دولة إلى أخرى حتى حمل الشاه إسماعيل الصفوی على السلطان مراد بك يعقوب آخر ملوك دولة الخروف الأبيض الترکمانیه وأسس الدوّلة الصفویه الأولى عام ٥٩١٤هـ لغاية ٥٩٤٩هـ. وأدناه جدول يمثل تسلسل أمراء بنی بویه في الحكم:



حكم الدولة اليونانية في العراق بعد

انقراض الدولة الفارسية

(٣٣١ ق.م - ٢٦١ ق.م)

حكمت الدولة اليونانية العراق لمدة (٢٠٥) سنة بقيادة قائدتها الكبير بطل مقدونيا الاسكندر الأكبر المعروف بذى القرنين وبذلك انقرضت الدولة الفارسية الكبيرة بعد أن استولى الاسكندر على جميع ما كان للفرس من البلاد والمستعمرات عدا بلاد فارس التي استولى عليها بعد فتح العراق ومحى تلك الدولة الفارسية من عالم الوجود بعد حروب شديدة ومعارك هائلة انتصر الاسكندر انتصاراً باهراً ليس له نظير في التاريخ مع انه كان جيشه قليلاً جداً بالنسبة للجيوش الفارسية وذلك سنة ٣٣١ ق.م وتعرف هذه الواقعة بواقعة (أربيل) (أربيل) حالياً) ومنها سار نحو بغداد قاصداً مدينة بابل وظل يطارد الملك الفارسي دارا حتى وجده قتيلاً سنة ٣٣٠ ق.م بجوار بلخ وأصبح كل ما كان للدولة الفارسية ملكاً لليونانيين وبعد ذلك احتل قسماً من بلاد الترك ثم زحف على الهند سنة ٣٢٧ ق.م ومنها رجع إلى بابل سنة ٣٢٥ ق.م.

وبينما هو يستعد لفتحات جديدة إذ أصابته حمى قوية دامت أحد عشر يوماً لم تفارقه حتى قضت على حياته سنة ٣٢٣ ق.م عن عمر لم يبلغ الثالثة والثلاثين وكانت مدة حكمه اثنى عشر سنة وكانت وفاته في قصر بختنصر ببابل وقيل أن سبب وفاته إنه مات مسموماً واعترف الجيش بولاية أخيه (أريديه) تحت وصاية (بردكاس) الذي استلم خاتم الملك الاسكندر وصياً وتمادت الفتن والحروب (٢٢ سنة) من سنة ٣٢٣ ق.م - ٣٠١ ق.م) وانتهت بتمزيق تلك المملكة وثم انقسام الإمبراطورية اليونانية إلى ثالث أقسام فكان نصيب بطليموس مصر وفلسطين وجنوب سوريا وجزيرة قبرص ونصيب (كساندر) مقدونية والإغريق وترافيا ونصيب سلوقيا بلاد بابل وآشور وببلاد فارس وأرمينيا والأناضول وقسماً من الهند وشمال سوريا واضطربت الأحوال في العراق وبين ملوك الأقسام الثلاثة وكان سلوقيا من كبار اليونان ومن أعظم قواد الاسكندر وولاه إمارة بابل وبعد

معارک بین شرکاء الحکم تشكلت الدولة السلوقیة اليونانیة فی العراق سنة (٣١٢ ق.م) برئاسة سلوکس الأول الذي كان شجاعاً حازماً عادلاً محباً للعلوم والفنون ونشر العدل في مملكته وسار مسيرة الاسکندر في معاملة الرعیة بالحسنى ولم يتعرض لديانة أهل البلاد وكان حکمه بفارس وبابل وآشور وأقام سلوکس أولاً ببابل ثم بنى مدينة سماها سلوقیة بنیت على الضفة الیمنی من دجلة تبعد عن بابل ٦٣ میلأً وكانت باتجاه مرقد سلمان الفارسی وبقی سلوکس في مدينة سلوقیة (١٢) سنة من (٣١٢ - ٣٠٠ ق.م) ثم تركها حينما سار إلى شمال سوريا بعد واقعة ایوسوس ثم انتقل إلى مدينة بناها على نهر العصی وانقل إليها سنة ٣٠٠ ق.م وانقسمت سوريا إلى قسمین الشمالي للسلوقین والجنوبي للبطالیه إلا انه أعقاب سلوکس كانوا يدعون أن سوريا كلها لهم وليس للبطالیه ولقبوا أنفسهم بملوك سوريا ثم زحف سلوکس على مقدونیة سنة ٢٨١ ق.م فقتل في الحرب.

ولما قتل سلوکس الأول جلس مكانه ابنه (انتیوخس الأول) (٢٨١ - ٢٦٣ ق.م) ثم تولی انتیوخس الثاني (٢٦٣ - ٢٤٧ ق.م) وفي عهد هذین الملکین ظهر الضعف في الدولة وانفصل عنها الكثير من البلاد كإمارة بخاری الحالیة. وبلغ الصدف في شمال أفغانستان سنة ٢٥٥ ق.م وفي عهده استقل زعیم البرتین (الفرثین) أرشاك بإقليم برته (خراسان الحالیة) سنة ٢٤٨ ق.م وأسس دولة البرتین ثم استولی على هرقانیة وضمها إلى ملکه وخلفه سلوکس الثاني وحكم إلى سنة ٢٢٧ ق.م وتلاه الثالث إلى سنة ٢٢٢ ق.م ثم تولی انتیوخس الثالث الملقب بالکبیر إلى سنة ١٨٦ ق.م وكانت الدولة في عهدهم تزداد انحطاطاً وحاول انتیوخس هذا فتح مصر وأخیراً انتهت إلى هزیمته سنة ١٩١ ق.م فطارده الروم إلى لیدیا وکسروه مرة ثانية فصالحهم على نفقة الحرب وجميع بلاده التي في آسیا وفي سنة ١٩٠ ق.م انسلخت أرمنیا من هذه الدولة سنة ١٨٩ ق.م وأخیراً مات هذا الملك قتیلاً سنة ١٨٦ ق.م بعد أن قضی حیاته في الحروب وأعقبه ابنه سلوکس الرابع وحكم إلى سنة ١٧٤ ق.م ثم انتیوخس الرابع إلى سنة ١٦٤ ق.م وفي عهد هذا الملك استولی البرتین الفرس على بلاد مادی (مادیه) وعلى قسم

كبير من شرق إيران وزال الحكم السلوقي ولم يبق لها شيء في بلاد فارس أيام هذا الملك وخلفه أنطیخوس الخامس وحكم إلى سنة 161 ق.م ثم ديمتريوس الأول إلى سنة 150 ق.م ثم اسكندر بعلس إلى سنة 145 ق.م والدولة تحط يوماً في يوم ثم جلس ديمتريوس الثاني على سرير الملك (145-126 ق.م) بعد اسكندر بعلس وفي سنة 143 حمل البرتیون على بابل العراق واخرجوا السلوقيين منها ثم عادوا السلوقيين واسترجعوا بابل سنة 140 ق.م ولكن في سنة 138 تمكن الفرس مرة ثانية من استرجاع بابل في سنة 126 ق.م قتل الفرس ملكهم وفكوا بأهل مدينة سلوقية وظل العراق تحت سيطرة الدولة البرتية الفارسية سنة 352 وانقضت على يد الملك الفارسي اردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية الفارسية وانقضت الدولة السلوقية اليونانية من العراق بعد أن ملكته 186 سنة.

قائمة بأسماء العلماء في فارس

أبرز القراء	تاريخ الوفاة
احمد ابن الفراج الجوري	(ت ٩٦٩-٥٣٥٩)
المطوعي المقرئ	(ت ٩٨١-٥٣٧١)
أبو بكر محمد المقرئ	(ت ١٠٠٢-٥٣٩٣)
أبو يعقوب المقرئ	(ت ١٠٦٣-٥٤٥٥)
أبو الحسين الفارسي الشيرازي	(ت ١٠٦٩-٥٤٦١)
أبرز المفسرين	تاريخ الوفاة
أبو علي الكشي الشيرازي	(ت ١٠١٤-٤٠٥)
ابن الخضر العمري الكازروني	(ت ١٣٤١-٣٩٠)
أبرز المحدثين	تاريخ الوفاة
أبو محمد ابن اذران	(كان حياً سنة ٩١٦-٥٣٠)
الحسن بن سفيان الفسوبي	(ت ٩٦٤-٥٣٥٣)
بندار بن الحسن الشيرازي	(ت ٩٦٤-٥٣٥٣)

(ت ٩٦٧ هـ / م ٣٥٧)	أبو بکر الفارسی البيضاوی
(ت ٩٧٠ هـ / م ٣٦٠)	أبو سلیمان النساج الجوری
(ت ٩٨٠ هـ / م ٣٧٠)	أبو بکر الوراق
(ت ٩٨١ هـ / م ٣٧١)	الحسن ابن محمد الفسوی
(ت ٩٨١ هـ / م ٣٧١)	محمد بن خفیف بن اسفکشاذ
(ت ٩٨٣ هـ / م ٣٧٣)	أبو احمد الجرجانی القاضی
(ت ٩٩٠ هـ / م ٣٨٠)	ابن شیرویه
(ت ٩٩٢ هـ / م ٣٨٢)	أبو العباس الشیرازی الحافظ
(ت ٩٩٤ هـ / م ٣٨٤)	أبو عبید الله المرزبانی
(ت ٩٩٤ هـ / م ٣٨٤)	القاضی أبو محمد الاصطخری
(ت ٩٩٤ هـ / م ٣٨٤)	أحمد بن العباس التوزی
(كان حیا سنة ٩٩٦ هـ / م ٣٨٦)	أبو علی الكرمانی
(ت ٩٩٨ هـ / م ٣٨٨)	ابن عبдан
(ت ٩٩٨ هـ / م ٣٨٩)	یحیی بن علی بن محمد
(ت ١٠٠٥ هـ / م ٣٩٦)	أبو العباس الكازرونی
(ت ١٠١١ هـ / م ٤٠٢)	ابن جمیع
(ت ١٠١٦ هـ / م ٤٠٧)	الحافظ أبو بکر الشیرازی
(ت ١٠٢٥ هـ / م ٤١٦)	أبو بکر النقفی
(ت ١٠٤٨ هـ / م ٤٢٠)	الرشیقی
(ت ١٠٤٨ هـ / م ٤٤٠)	أبو بکر الشیرازی الصفار
(ت ١٠٥٦ هـ / م ٤٤٨)	أبو القاسم الشیرازی
(ت ١٠٦١ هـ / م ٤٥٣)	أبو عبد الله الجوری
(ت ١٠٨١ هـ / م ٤٧٤)	أبو عبد الله الشیرازی الوراق
(ت ١٠٨٩ هـ / م ٤٨٢)	ابن سمکویه
(ت ١٠٩٢ هـ / م ٤٨٥)	أبو زرعة الشیرازی

(ت ١٠٠ / ٤٩٤ هـ)	أبو نصر الاسد آبادي
(ت ١٠٩ / ٥٥٠ هـ)	ابن سعدويه الدهستاني الحافظ
	أبو بكر السيرافي
	أبو القاسم الحافظ
تاريخ الوفاة	أبرز الفقهاء
(ت ٣٥٨ / ٩٦٨ هـ)	أبو عمر الكازروني
(ت ٣٦١ / ٩٧١ هـ)	أبو بكر بن شاهويه
(ت ٣٧٢ / ٩٨٢ هـ)	الثبيتي
(ت ٣٨٣ / ٩٩٣ هـ)	أحمد بن سعيد الجوري
(ت ٣٨٤ / ٩٩٤ هـ)	القاضي أبو محمد الاصطخري
(ت ٣٩٠ / ٩٩٩ هـ)	أبو الحسن الجزري
(ت ٣٩١ / ١٠٠٠ هـ)	القاضي أبو الحسن الجوري
(ت ٤٠٤ / ١٠١٣ هـ)	علي بن سعيد الاصطخري
(ت ٤١٠ / ١٠١٩ هـ)	ابن المهدى
(ت ٤١٣ / ١٠٢٢ هـ)	أبو القاسم القاضي
(ت ٤٢٤ / ١٠٣٢ هـ)	أبو عبد الله البيضاوى
(كان حيًّا سنة ٤٢٤ هـ / ١٠٣٢ م)	أبو بكر البيضاوى
(ت ٤٤٦ / ١٠٥٤ هـ)	علي بن رمان الكازروني
(ت ٤٥٥ / ١٠٦٣ هـ)	محمد الكازروني
(ت ٤٥٠ / ١٠٥٨ هـ)	أبو القاسم البيضاوى
(ت ٤٦٩ / ١٠٧٦ هـ)	أبو الفتح الخرهي
(ت ٤٧٦ / ١٠٨٣ هـ)	أبو حكيم الخبرى
(ت ٤٧٦ / ١٠٨٣ هـ)	الشيخ أبو إسحاق الشيرازي
(ت ٥٠٠ / ١١٠٦ هـ)	القاضي أبو محمد الفامي
	علي بن الحسن القاضي الجوري

القاضی ناصر الدین البیضاوی	
	أبو بکر محمد بن إبراهیم دهзор
تاریخ الوفاة	أیز المتصوفین
(ت ٩٦٤-٥٣٥ھ)	بندار بن الحسین الرازی
(ت ٩٧٥-٥٣٦ھ)	أبو الحسن الفسوی الزاهد
(ت ٩٨١-٥٣٧ھ)	محمد بن خفیف بن اسفکشاذ
(ت ٩٨٦-٥٣٧ھ)	غلام زحل
(ت ٩٩٢-٥٣٨ھ)	أبو العباس الشیرازی الحافظ
(كان حیا سنة ٣٨٨ھ-٩٩٨)	أبو بکر الکاظروني الصوفی
(ت ١٠٠٩-٤٤٠ھ)	أبو حیان التوحیدی
(ت ١٠٠٩-٤٤٠ھ)	أبو الازھر البیضاوی الصوفی
(ت ١٠٢٤-٤٤١ھ)	علی بن زاهر الصوفی
(ت ١٠٢٤-٤٤١ھ)	أبو زرعة الاردیبیلی
(ت ١٠٣٦-٤٤٢ھ)	ابن باکویه
(ت ١٠٤٧-٤٤٣ھ)	أبو عبد الله الصوفی
(ت ١٠٥٠-٤٤٤ھ)	کوھی الشاعر
(ت ١٠٦٢-٤٤٥ھ)	الحسن بن زید الصوفی
(ت ١٠٦٤-٤٤٥ھ)	أبو الحسن الصوفی
(ت ١٠٦٤-٤٤٥ھ)	أبو بکر الفارسی الصوفی
(ت ١٠٧٦-٤٦٩ھ)	أبو منصور الجوری الصوفی
تاریخ الوفاة	أیز الكتاب
(ت ٩٦٨-٥٣٨ھ)	أبو احمد الكاتب
(ت ٩٧٠-٥٣٦ھ)	حمزہ الاصفهانی
(ت بحدود ٣٦٠-٩٧٠)	ابن خلاد الرامھرمزی
(ت ٩٨٨-٣٨٨ھ)	أبو القاسم الجکار

(ت ١٠٠٩-٥٤٠٠ م)	أبو حیان التوحیدی
(ت ١٠٢٩-٥٤٢٠ م)	أبو الفرج بن هندو
(كان حیاً ٥٤٢٨-١٠٣٧ م)	الاسود الغنچانی
(ت ١٠٤١-٥٤٣٣ م)	بهرام بن مافنة
	محمد بن سعید الكرانی
	أبو محمد الكرانی
	أبو إسحاق الكرانی
تاریخ الوفاة	
(ت ٩٦٩-٥٣٥٩ م)	أبی بکر النحوی الجوری
(ت ٩٥٨-٥٣٤٦ م)	ابن درستویه
(ت ٩٧٨-٥٣٦٨ م)	أبی سعید السیرافی النحوی
(كان حیاً سنة ٥٣٩٨-١٠٠٧ م)	أبی محمد السیرافی
(ت ٩٨٧-٥٣٧٧ م)	أبی علی الفارسی النحوی
(ت ١٠٢٩-٥٤٢٠ م)	أبی الحسن الربيعي النحوی
(ت ١٠٣٠-٥٤٢١ م)	أبی الحسن الفسوی
(ت ١٠٧٤-٥٤٦٧ م)	أبی القاسم الفسوی النحوی
تاریخ الوفاة	
(ت ٩٧٣-٥٣٦٣ م)	أبی عبد الله الكونجاني
(ت ٩٨٧-٥٣٧٧ م)	ابن العلاف الشیرازی الدهکی
(ت ٩٩٣-٥٣٨٣ م)	أبی بکر الخوارزمی
(ت ٩٩٩-٥٣٩٠ م)	أبی علی المنطقی
(ت ١٠٠١-٥٣٩٢ م)	ابن جنی
(ت ١٠٠٣-٥٣٩٣ م)	أبی الحسن السلامی
(ت ١٠٨٣-٥٤٧٦ م)	أبی حکیم الخبری
(ت ١٠٩٢-٥٤٨٥ م)	أبی القاسم الشیرازی

المبیدی	تاریخ الوفاة	أیز الاطباء
أبو طاهر المبیدی	(ت ٩٧١-٥٤٩ م)	
أبو الحسن الكارزینی		
الطبری	(ت ٩٧٠-٥٣٦ م)	
أبو سلیمان السجستانی	(ت ٩٩٠-٥٣٨ م)	
علی بن عباس المجوسي	(ت ٩٩٤-٥٣٨ م)	
أبو سعید الارجاني	(ت ٩٩٤-٥٣٨ م)	
جبرائل بخیشوع	(ت ١٠٠٦-٥٣٩ م)	
الحسن الفسوی	(كان حیا سنة ٥٣٩٨ م ١٠٠٧)	
أبو العلاء الطیب	(كان حیا سنة ٥٤١٥ م ١٠٢٤)	
أبو سهل الارجاني	(كان حیا سنة ٥٤١٨ م ١٠٢٧)	
ابن العجیم	(ت ٤٣٠-٥٣٨ م)	
أبو الحسن بن غسان		
أیز الرياضین	تاریخ الوفاة	
أبو بکر العیاضی	(ت ٩٧١-٥٣٧ م)	
الخجندی	(ت ٩٩٩-٥٣٩ م)	
أیز الفلكین والمتجمین	تاریخ الوفاة	
أبو الفرج للجلاج	(ت ٩٧١-٥٣٦ م)	
أبو الحسن المنجم	(ت ٩٨٤-٥٣٧ م)	
حمزہ لبراهیم	(ت ٤١٩-٥٤١ م)	
محمد هادی الشیرازی		

الاحتلال الفارسي

وقصة الملك الفارسي آبرویز

عندما استولى الروم على نينوى سنة ٦٢٧ م ثم على كركوك ثم تقدموا نحو العراق حتى وصل قائد الروم (هرقلیوس) إلى (الدیکرہ) وهي مدينة قرب مدينة شهریان فأختل أمر الفرس فخلعوا ملکهم آبرویز وولوا مكان ابنه (شیرویه) سنة (٦٢٨ م) وعلى اثر ذلك قتل الملك الجديد شیرویه أباه آبرویز.

وآبرویز هذا هو الذي قتل النعمان الثالث ملك الحيرة سنة ٦١٣ م وولى بدله على الحيرة أیاس بن قبیصہ الطائی وهو من أشراف طی وشجاعها في الجahلیة وحدثت في أيامه معركة ذی قار التي انتصرت بها العرب على العجم وكان ایاس يقاتل مع العجم، والملك آبرویز هو الذي أرسل اليه نبینا محمد (ص) كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام مع عبد الله بن حذافة السهمي وهو صحابي اسلم قديماً وشهد بدرأ واسره الروم أيام الخليفة عمر بن الخطاب وتوفي في أيام عثمان بن عفان وبعد من شعراء مكة. فلما حضر عبد الله أیام آبرویز سلمه الكتاب وهذا نصه (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى کسری عظیم الفرس سلام على من أتبع الهدی وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله فأني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. أسلم وسلم فأن أبیت فإنما عليك أثم الم Gors) فقرأه آبرویز فلما أنتهی منه مزقَه واساء إلى حامله وكتب إلى عامله بالیمن يأمره أن یغزو المدينة ويأتيه برسول الله أسریراً، وعاد عبد الله إلى النبي (ص) واحببه بما فعل آبرویز فقال: اللهم مزق ملکه كما مزقَ کتابی، فلما خلع آبرویز وقتل کتب أبنه شیرویه إلى عامله بالیمن ينهاه عن مقاتلة رسول الله وفي عهد آبرویز حدثت المعركة الشهیرة بوقعة ذی قار بين الفرس والعرب التي انتصر فيها العرب، ولم یملك شیرویه غير بضعة لأشهر فقط وخلفه ارشیلر الثالث سنة ٦٢٩ م وهو طفل فجعلوا له نائباً ليقوم بأمره وهو رئيس أصحاب

المدائن المدعو (جنسن) في الوقت الذي حمل المسلمين فيه إلى العراق بقيادة خالد بن الوليد وعلى أثر ذلك أتفق رجال الدولة الفارسية على تملیک (بوران) بنت کسری آبرویز فقتل من قبل رئيس القادة خنقا سنة ۶۳۱ م ثم أجتمعوا على الملك يزدجرد الثالث بن شهريار فدانت له الفرس وفي سنة ۶۳۶ م أجبره العرب على الهزيمة من العراق إلى بلادهم الأصلية ایران وقامت دولة الإسلام في العراق وانقرضت دولة الفرس التي حكمت (۴۱۰-۲۲۶ م).

ولقد كان معظم سكان العراق في عهد الدولة الساسانية من بقايا الاراميين الأصليين وهم الكلدان والسريان والقبائل العربية منها ایاد وربيعة وعرب المناذرة سكان الحيرة وجموع من شتات الفرس والاكراد وغيرهم من أمم أخرى. بعد أن كانت الامپراطوريه الفارسیه من أكبر دول العالم وتشتمل على بلاد ایران والديلم وجورجان وبلاط بابل (العراق) وبلاط آشور التي من ضمنها کردستان وبلاط الجزيرة (بين النهرين) وجزائر خليج فارس وقسم من بلاد العرب منها بلاد اليمن ولم تقم بعدها دولة للفرس في العراق أعواماً طوالاً في عهد الخلفاء الراشدين ثم إلى بنی أمیة ثم إلى بنی العباس حتى إذا ضعف شأن الخلافة العباسية في بغداد قامت فيه دولة فارسية على يد بنی بویه فحملوا على بغداد وأسسوا فيها دولة فارسية سنة ۳۳۴ هـ - الموافقة لسنة ۸۴۵ م ثم تلتها الدولة الصفویة بعد حين من الدهر ثم الدولة الزندانیة في العهد العثماني وبقیت المدن العراقیة خاضعة للعثمانيین إلى أن قامت الحرب العالمية الاولی وسقوط البصرة مفتح العراق عام ۱۹۱۴ م. وسقوط بغداد عام ۱۹۱۷ م، وقامت بعد الحكم العثماني حکومة الاحتلال البريطاني ثم تشكلت حکومة العراقیة بعد حرواث ومعارک بطول ذکرها.

إسلام الدیلم على يد العلویین الزیدیین

تقع بلاد الدیلم في الجنوب الغربي لبحر الخزر وتعرف ببلاد جیلان ، وجیلان أسم بلاد كثيرة فيما وراء النهر صعبة المسالك لكثره ما بها من جبال، ويصف الاطخري في (مسالك الممالك) بلاد الدیلم ويقول (أما الدیلم فإنه سهل وجبل وأما السهل فهو الجبل وهم مفترشون على شط البحر تحت جبال الدیلم وأما الجبل فلله الدیلم جبال منيعة والمکان الذي يقيم به الملك يسمى رونبار ورياسة الدیلم فيهم وفي بلاد الدیلم ثلاثة جبال منيعة يتحصن أهلها بها وهي الرویج وبادوسبان وقارن ولكل جبل منها رئيس والغالب عليها الاشجار العالية والمیاه وهي خصبة جداً، ويضيف الصابي أبو إسحاق إبراهیم بن هلال الكاتب في (أخبار الدولة) الدیلمیة عن فضیلة الدیلم ويقول (ما قهرهم عبد ولا غلبهم الأمم ، والاحادیث عنهم في شدة البأس وبذل الزاد وصون العرض اعتادوا الضیافة وإکرام الدخیل ما اعتاده کرم العرب ربما انفراد لسانهم وعاداتهم العربیة تشير إلى أصولهم العربیة يرحمون الضعیف کبراء في الفقه، رجال في القتال، ويضيف المقدسی بأنه اشتهروا بالجمال وحسن اللحی والوجوه ويضيف الاصطخري في (مسالك الممالك) ان الدیلم طائفة من بني (ضبیه) وهم بطن من العدنانیین ينتسبون إلى ضبیه ابن أذ بن أیلیاس بن مصر بن نزار بن معن بن عدنان وهم من جمرات العرب الثلث وكانت منازلهم في جوار بني تمیم من نجد ثم انتقلوا في الإسلام بجهة النعمانیة حسبما ورد في تاريخ المدینة المنوره. تحقیق: فهیم محمد شلتوت، ولم يكن اسلام الدیلم للوھلة الاولی بل كانت هناك مراحل حتى تقبلوا بها الدين الإسلامي واستمر الدیلم قديماً خاضعين للحكم الإسلامي مع بقائهم على وثیتهم وكانت مجاورتهم بلاد طبرستان التي دانت بالإسلام وكانت بين الديالمة والطبریین علاقة سلم وموادعة وكان اسلام الدیلم على يد العلویین الذين اعتنقو المذهب الزیدی وهم ثلاثة فرق : الجارودیة أصحاب الجارود. زیاد بن ابی زیاد، والسلیمانیة أصحاب سلیمان ابن جریر. والصالحیة البتریة أصحاب الحسن بن صالح والبتریة أصحاب كثير التوی الایتر. وهم متقوون في المذهب وتجمعهم

إمامه زید بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب (علیهم السلام). وکان ذلك في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك حسبما ورد في البغدادي . (الفرق بين الفرق) والشهرستاني في (الممل والتحل) وأول من صار من العلوبيين إلى بلاد الدیلم هو یحیی بن عبد الله أبو الحسین یحیی بن عمر بن الحسین بن زید بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب (علیهم السلام).

وکان أخوه أدریس الذي فر إلى المغرب وأقام دولة الادارسة سنة ٧٧٢ھـ، حسبما ورد في الاصفهانی أبو فرج في (مقاتل الطالبین) وفي سنة ٢٥٢ھـ وفي عهد الخليفة العباسی المستعين بالله وهو أحمد بن محمد بن المعتصم أخو المتوکل ظهر الحسن بن زید بن إسماعیل بن الحسن بن زید بن علی بن ابی طالب في بلاد الدیلم ولقب بالداعی وهو غير الإمام عند الزیدیة بل ینتسبون إلى الإمام الرضی ويحافظون على الدعوة الزیدیة ونشرها، وأسلمت على يدیه أطراف الدیلم وخرج إلى طبرستان وملکها. ونتیجة لتلك الظروف كما یقول ابن الاشیر صارت كلمة الدیلم وأهل کلار وشالوس والرویان على بیعته ونقدص هنا الحسن بن زید الذي ترأس الثورة في عهد الخليفة العباسی المستعين بالله وأسس الدولة العلویة بطبرستان وتوفي سنة ٨٤٨م، وتلاه من بعده أخوه محمد بن زید الذي ملك طبرستان والری وجرجان وبعد معرکة جرجان أصبیب محمد بن زید في المعرکة ومات بعدها. وأسر أبنه زید وحُمل إلى الأمير إسماعیل السامانی فأکرمته وأنزله في بخاری وجعلت السلطة والخطبة باسم الخليفة العباسی. وظهر بعد ذلك الحسن بن علی المعروف بالأطروش والملقب بالناصر سنة ٣٠١ھـ، وكان الأطروش مصاحباً لمحمد بن زید وتعاوناً له فأنهزم الحسن بن علی الملقب بالأطروش وهیج الدیلم وسيطر على طبرستان بعد أن انتزعها من نفوذ السامانیین، وخرج مع الأطروش العدید من القادة منهم أبو الحسن علی بن بویه (عماد الدولة) ولیلی بن النعمان الدیلمی وكان صاحب جیش الأطروش هو الحسن بن القاسم وهو أبو محمد الحسن بن علی بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زید بن الحسن بن زید بن الحسین بن علی بن ابی طالب (علیهم السلام) ولقب بالداعی الصغیر.

کما ورد فی عمدۃ الطالب فی أنساب أبي طالب . ولاه الحسن الأطروش قیادة جیشه وزوجه أبنته ولما قتل الأطروش سنة ۹۱۶م، قام الداعی من بعده واستولی علی الري وقزوین وزنجان وأبهر وقم وتوفی سنة ۹۲۸م. حسبما ورد فی البخاری (سر السلسلة العلویة) ، واحیراً انتهت الدولة العلویة فی طبرستان وآل الأمر إلى الزيارین ، والزيارین نسبہ إلى مؤسس الإمارة الزياریة ملک الدیلم مرداویح بن زیار الذي أعلن استقلاله فی طبرستان وجرجان سنة ۹۲۸م، واستمرت إلى سنة ۱۰۷۷م، ثم اضمرلت دولتهم وتلاشی نفوذهم كما ورد فی الكافی والکلیمی والغفاری . وبعد أن انشقت الدولة الزياریة عن الزیدیة وکونوا لهم إمارة أنشقت ثانيةً من الإمارة الزیدیة الدولة البویهیة التي استطاعت أن تبسط نفوذها وتمتد إلى حاضرة الخلافة العربیة الإسلامية ببغداد سنة ۹۴۵م. واستمر نفوذ البویهیین لأکثر من قرن (۹۴۵ - ۱۰۵۵م).

جغرافیة بلاد الفرس

اختلف المؤرخون والباحثون فی أصل تسمیة فارس فائین الفقیه^(۱) ، يقول ان التسمیة تعود إلى فارس بن طھومرث^(۲) ، وهو الذي تنسب الفرس اليه لأنه من ولدہ امایاقوت^(۳) ، فینقل عن ابی علی فی القصیرات ان فارس اسم بلد وليس باسم رجل وليس أصله عربي بل هو فارسي معرب أصله بارس فرع فقیل فارس

(۱) أبو عبد الله احمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني صاحب كتاب البلدات تحقيق: يوسف الهاidi، عالم الكتب، بيروت، ۱۹۹۶، ص ۴۰۶.

(۲) طھومرث: كان ملکاً عادلاً وكان له عشرة بنين منهم جم وشيراز واصطخر وفسا وجنابا وکسکر وکلواذی وقرقیسیا وعقرقوف ودارا بجرد فاقتطع كل واحد منهم البلد الذي سمي به ونسب اليه، ابن الفقیه، البلدان، ص ۴۰۶.

(۳) البیاقوت: شهاب الدين عبد الله الحکوی أبو عبد الله المتوفی ۱۲۲۸م، معجم البلدان، دار أکیاء التراث ، بيروت، ۱۹۸۴.

وینقل یاقوت عن بطليموس^(۱) ، وفی کتاب الملحة علی ان التسمیة تعود إلی فارس بن ماسور بن سام بن نوح ، ويقول الحمیری^(۲) ، أن أصل التسمیة بالفارسیة هي بارس ، ويدکر لسترنج^(۳) .

ان إقليم فارس عرفه اليونان باسم (برسوس) وشاع استعمال هذا الاسم وارادوا به المملكة كلها ، فالاسم برسيا (بلاد فارس) هو مشتق من برسیس اليونانية وقد صار اسمًا يطلق على دولة الشاه بأسرها في حين ان الفرس أنفسهم يسمون بلادهم (مملكة ایران) وما فارس القيمة إلا إقليم واحد من أقاليمها الجنوبيّة.

اما الموقع والحدود للدولة الفارسية:

فقد قسمت المعمورة من الأرض على ضروب من الأقسام المسماة الأقاليم وهي كلمة معربة من اليونانية استخرجها الجغرافيون العرب للدلالة على الأقسام الرئيسية على أساس توزيع خطوط العرض على الكره الأرضية، فجعلوها سبعة أقاليم وبدأو بقسمتها من خط الاستواء ، فاما فارس فأنها تقع ضمن إقليم الثالث، كما ذكره المقدسي مطهر بن طاهر المتوفي ۹۶۵م، في كتاب (البدء والتاريخ) بينما يذكر یاقوت في (معجم البلدان) إنها تقع ضمن إقليم الرابع إذ يتوسط فارس وأقليم كرمان بين فارس وسجستان والاحواز بلاد ما بين البصرة وفارس واصفهان وهي من أشهر مدن الجبال فتحت سنة (۲۱هـ) والمفارزه وهي البرية التي لا

^(۱) بطليموس: قائد يونياني استلم الحكم بعد انقسام الامبراطورية اليونانية وكان رئيساً على مصر وفلسطين وجنوب سوريا وقبرص.

^(۲) محمد بن عبد المنعم المتوفي ۱۳۱۰م، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، بيروت، ۱۹۸۴م، ص ۲۳۳.

^(۳) لسترنج: بلاد الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرباط، بغداد، ۱۹۵۴، ص ۲۸۳.

ماء فيها وسميت الصحراء حسبما ورد في (تاج العروس من جواهر القاموس) للزبيدي محمد مرتضى المتوفى ١٧٩٠ م.

أما حدود فارس فقد اختلف الجغرافيون في تحديدها إذ يتفق الاصطخري في (مسالك الذهب) وابن حوقل أبو قاسم بن حوقل النصيبي المتوفى ٩٧٧ م والقزويني في (آثار البلاد وأخبار العباد) ، على أن حدود فارس هي من الشرق لكرمان ومن الغرب للاحواز ومما يلي الشمال المفازه التي بين فارس وخراسان وبعض حدود أصفهان ومن الجنوب بحر فارس. أما الادريسي في (نזהه المشتاق) فيذكر أن حدود فارس جهة الشرق المفازه الكبرى المتصلة بأرض السند التي هي بين الهند وكرمان وسجستان وقيل أن السند والهند اخوين من يقطن بن حام بن نوح عليه السلام كما أورد ذلك القزويني في آثار البلاد وأخبار العباد وتنصل بالري وهي مدينة مشهورة كما أوردها ياقوت في (معجم البلدان) ومن أسفلها بحر فارس ومن الجنوب أرض مكران وهي مدينة معروفة شمال خراسان ومن الشمال الاحواز ، بينما يذكر ياقوت أن أول حدود فارس من جهة العراق ارجان وهي حد فارس والاحواز ومن جهة كرمان السيرجان وهي قصبة بلاد كرمان ومن ساحل بحر الهند (سيراف) ، وهي أكبر مدينة بعد شيراز وتقع على البر ومن جهة السند مكران. أما أو الفداء عماد الدين إسماعيل المتوفي ١٣٣١ م، في كتاب (تقويم البلدان) فيذكر أن حدود فارس من جهة الغرب الاحواز ومن الشمال الري.

وأما صفة الإقليم الفارسي فيعد من الأقاليم المهمة في الشرق ويصفه المقدسي (إقليم فارس إقليم جليل طيب كثیر الخیرات وأشبه بالاقاليم في الشام لأنها تجمع أضداد الثمار وجبال مثمرة وعسل وزيتون لم ارها بعد الشام إلا بفارس)، ويقول اردشير بن بابك بن ساسان أحد ملوك الطوائف ومن أولاد الملوك المتقدمين (الأرض أربعة أجزاء منها أرض الترك وجزء منها أرض المغرب وجزء منها أرض السواد والجزء الرابع فارس وهو صفة الأرض) كما أوردها

ابن الفقیہ فی (البلدان) و طول فارس ٤٥٠ میلًا فی ٤٠٠ میل و مساحتها مربعة الشکل واقلیم فارس واسع طوله ٦٣ درجة وعرضه ٣٤ درجة وفارس من أمهات المدن المشهورة وليس بفارس بلد إلا وبه جبل وینظر لسترنج فی لدان الخلافة الشرقیة، ان البلدانین قسموا إقلیم فارس علی قسمین وهمما: الجروم وهي الأرض الشديدة الحرارة والصروح الأرضی المرتفعة الباردة ويفصل بينهما خط يمتد شرقاً وغرباً. وقد روى فی فارس فضائل كثيرة منها ماروی عن النبي (ﷺ) إذ قال (لو كان الدين عند الشریا لذهب رجل من فارس أو ابناء فارس حتى يتناوله) كما أورده الإمام احمد بن حنبل المتوفی ٨٢٩م، فی مسند الإمام احمد والتیسابوری فی (صحیح مسلم).

ويقول ابن الفقیہ فی (البلدان) عن ابن لهیعة: (فارس والروم قریش العجم) ويصنف لنا المسعودی فی (مروج الذهب) فارس بقوله (فارس خصب الفضاء رفیق الهواء متراکم الماء معتم بالاشجار کثیر الشمار وفي أهله شح ولهم خب (يعني خداع ومراوغه) وغرائزهم سیئة وهمهم دنیة وفيهم مکر وخداع). وینظر الادریسی فی (نرھة المشتاق) (هذا الإقلیم ترابه معادن وجباله مشاجر).

واما التقسيمات الإدارية لأقلیم فارس:

اختلف الجغرافیون فی تحديد التقسيمات الإدارية لأقلیم فارس، إذ یتفق ابن رسته أبو علي احمد بن عمر المتوفی سنة ٩٠٢م، فی الاعلاق النفیسہ والبکری أبو عبید عبد الله بن عبد العزیز محمد المتوفی ١٠٩٤م، فی (المسالک والممالک) تحقیق: جمال طلبه (ان لأقلیم فارس سبع کور والکورة تشتمل علی عدة قرى كما هو معروف عند الفرس وهذه الكور (سابور)، و(اصطخر) و(اردشيرخره) و(دارا) و(بجرد) و(افسام) و(ارجان) و(شیراز) بينما یتفق الجغرافیون علی تقسیم إقلیم فارس علی خمس کور ویقسم المقدسی فی كتاب (أحسن التقاسیم) الإقلیم الفارسی علی ستة کور وقد ورث العرب عن الممکة الساسانیة تقسیم فارس علی خمسة کور وهذه الكور غير مستقرة بسبب الصراعات السیاسیة

کالطاهريين والصفاريين والسامانيين والغزنوين وغيرهم فضلاً عن الفتوحات العربية الإسلامية التي غيرت خارطة المشرق بضمها أغلب مدن المشرق تحت إدارة قوية موحدة ثم انه صاحب هذه الفتوحات ظهور حركات انفصالية وتكوين دويلات المشرق الإسلامي وفارس من الاقاليم المهمة في المشرق قبل الإسلام وبعده إذ كان مركزاً لحكم ملوك الفرس . وكان للفرس أربعة زموم وبعظامهم يقول خمسة زموم وتعنى هذه الكلمة (زموم) محل مناطق الاكرااد وهي مدن أو قرى مجتمعة وكل واحدة منها رئيس من الاكرااد لحماية القوافل وحفظ الطريق وأصبحت هذه الزموم كالملالك ومنها: زم الحسين بن جيلويه ويسمى بزم الرميجان وزم احمد بن الليث ويسمى باللولجان . وزم الحسين بن صالح ويسمى بالديوان . وزم شهريار ويسمى بزم البازنجان . وزم احمد بن الحسن ويسمى بالكاريان .

وأما احياء الاكرااد:

تنتشر احياء الاكرااد بجميع أنحاء فارس يشتغلون في المراعي في الصيف والشتاء على مذاهب العرب ولا يدخلون أرض غيرهم.

وأما الحصون والقلاء:

تكثر في كل نواحي فارس حصون وقلاء بعضها أمنع من بعض واكثراها بناحية سيفبني الصفار وفيها حصون منيعة في جبال شاهقة تستعصي على الغزاة وأكثر مدن فارس محصنة بأسوار وثيقة وعالية ومنها حصون داخل المدن وفهندزات وهو اسم القلعة بلغة خراسان وما وراء النهر يقول ياقوت في (معجم البلدان) ومن هذه الحصون البارزة في فارس (حصن ذك نشناك) وحصن (الروذان) وغيرها وهناك قلاء تزيد على خمسة الاف قلعة منفردة وكان لحصانة القلا وأهميتها وما توفره من أمان أتخذها الولاة والحكام مقراً لحكمهم ومن القلاع كانت مأوى للخارجين على السلطة وأهم القلاع في كورة اصطخر هي:

قلعة سی کنبدان و سعید آباد و قلعة أبرج و القلعة البيضاء و قلعة أقليد و قلعة خوار و هنالک عدّة قلاع فی کورة اردشیرخره و فی کورة دارا بجرد و فی کورة سابور .

ومن الانهار والبحیرات فی فارس :

نهر مسن او (مسین)، ونهر شیرین ونهر الشاذ کان. ونهر درخیذ ونهر الخویذان ونهر رس ونهر أخشن ونهر سکان ونهر جرسیق ونهر الکر ونهر فرواب ونهر برزه ونهر طاب.

واما البحیرات فی فارس :

بحرة البختان، وبحیرة دشت ارزن وبحیرة توز وبحیرة الجنکان وبحیرة الباسفريه وبحر فارس.

واما الجزر فی بحر فارس فھی :

جزیرة خارک وجزرة قیس وجزیرة جاسک وجزیرة کاوان ویقال لها جزیرة بنی کاوان وتسمای جزیرة لافت وھی من بحر فارس بین عمان والبحرين افتحھا عثمان بن ابی العاص الثقفي نزیل البصرة فی أيام الخليفة عمر بن الخطاب عام ٤٣٤ھ، لما أراد فتح ایران وھذه الجزیرة آهله بالسكان وبها مدینة وجامع.

معركة نهاوند

التمهيد لفتح فارس

تعتبر معركة نهاوند من المعارك الفاصلة في التاريخ العربي، وفيها انتصر العرب على الفرس في عقر دارهم وتحطمت بقايا الإمبراطورية الفارسية التي انهارت بعد أن استولى على عاصمتها المدائن، سعد بن أبي وقاص، وأخذت تحاول الدفاع عن فارس بما تبقى من جيشه الخائر المنهزم، لأن الخليفة عمر بن الخطاب لم يمهلها لتجمع شتاتها وتنهض من كبوتها، إذ ما كاد يسمع بتحركات (يزد جرد) في إيران ومحاولته إعادة تنظيم جيوشه لاستعادة العراق حتى غير فكره وخططيه فقرر اقتحام إيران فسير إليها الجيوش من الجنوب والشمال فانتصرت في كل مكان. وكان أروعها انتصار نهاوند. وسأوجز في بداية هذا المبحث الأحداث التي أعقبت مطاردة الفرس إلى حلوان، والتي مهدت ((النهاوند)) ليكون تسلسل الحوادث متكملاً، والبحث متواصلاً.

الأحداث التي سبقت المعركة

فتح الأهواز

بعد انتهاء معركة القادسية هرب ((الهرمزان)) إلى الأهواز، كما انسحب ((بزجرد)) إلى حلوان ومنها إلى ((الري)). وأخذها يدعان العدة لاسترجاع أرض العراق. أما العرب فكانت سياسة الخليفة عمر أن يقف الفتح عند حدود الشام والعراق ولا يتعداها إلى بلاد الفرس والروم، لأنه كان يفكر في جمع العرب تحت علم واحد وضمن دولة قوية تضم العراق وسوريا ومصر والجزيرة العربية. وتتفيداً لهذه السياسة سير عمرو بن العاص لفتح مصر وأقام بعض المراكز العسكرية في العراق والشام ووضع فيها حاميات دائمة لصد أي غزو يقوم به

الفرس أو الروم لاسترداد ما كانوا يحکمونه من أرض العرب. فأنشأ الكوفة والبصرة في العراق وأمر سعد بن أبي وقاص الانتقال من المدائن إلى الكوفة وولاه عليها، كما ولی ((عتبة بن غزوان)) على البصرة التي بنيت بجوار ((الابلة)). وقد تمكن عتبة من إخضاع الأهواز إلى سلطان العرب بعد قتال عنيف مع الجند الذين تمكن الهرمزان من جمعهم هناك. ولما تکاثر الإمداد إلى الهرمزان خشي عتبة عاقبة توغله الزائد في الأهواز، لذلك وافق على الصلح الذي طلبه الهرمزان فترك له الأهواز كلها عدا ((نهر تيري)) و((منادر)) وما استولى عليه من ((سوق الأهواز)) والمسالح الكائنة على نهر تيري ومنادر.

لقد نقض الهرمزان الاتفاق ونشب القتال مجدداً أنهزم بنتيجه الفرس إلى ((رام هرمز)) واستولى القائد العربي ((حرقوص بن زهير السعدي)) على سوق الأهواز وأقام فيها. وعندما مات عتبة وتولى المغيرة بن شعبة ولاية البصرة فانتهز عجم الأهواز الفرصة وأعلنوا الثورة فخرج إليهم المغيرة وتغلب عليهم إلا أنه لم يستمر بالتقدم تفيفاً لأمر الخليفة الذي لا يرغب في التوغل في أرض فارس. عزل المغيرة من ولاية البصرة وتولىها أبو موسى الأشعري فعاد أهل الأهواز ونقضوا عهدهم وامتنعوا عن دفع الجزية، لذلك جمع أبو موسى قواته ودفعها إلى الأهواز لفتحها.

جمع ((يزدجرد)) جيšاً كبيراً من المدن والأقاليم التابعة له وطلب إلى الهرمزان مشاغلة العرب لحين إكمال استعداد هذا الجيش ثم يتفقا سوية لطرد العرب واسترداد ما فقدوه من أرض العراق والأهواز ولما وصلت هذه الأوامر إلى الخليفة عمر قدر خطورة الجيش الذي يحشدته يزدجرد على مصير الدولة التي شادها لذلك قرر أن يغزو فارس قبل أن يلتقي جيšاً يزدجرد والهرمزان فيصبح أمر القضاء عليهما وهمما مجتمعان صعباً لذلك كتب إلى سعد أن يجهز جيšاً يسلم

قیادته إلی ((النعمان بن مقرن)) ويرسله الى الاهواز لتدمیر جیش الهرمزان، كما طلب الى عامله على البصرة ((ابو موسى)) تجهیز جیش اخر بقيادة ((سهیل بن عدی)) ليتحرك بعد النعمان لمعاونته على أن یتولی قیادة الجیشین عند اجتماعهما ((ابو سبرة بن ابی رهم)).

محرکة تستر^(۱)

سار النعمان مجتازاً أرض الأهواز باتجاه ((رام هرمز)) مقر الهرمزان وحال وصول أخبار اجتیازه أرض الأهواز إلى الهرمزان خرج بجیشه إلى ((اربک)) ینتظر النعمان فيها. وبعد قتال عنیف في ((اربک)) انسحب الفرس إلى رام هرمز ثم تركوها إلى ((تستر)) عاصمة الأهواز في ذلك الوقت وهي تقع على نهر الكارون شمالي مدينة الأهواز. تقدم النعمان واستولى على رام هرمز واستمر بتقدمه نحو تستر وتقدم سهیل بن عدی بعد النعمان ولما وصل سوق الأهواز علم باستیلاء النعمان على رام هرمز، لذلك غير اتجاه تقدمه وتوجه نحو تستر مباشرة وتحقیق فيها بجیش النعمان ودخل تحت قیادة القائد العام ((ابو سبرة)).

كانت تستر منيعة بحصونها وبروجها وقد جمع فيها الهرمزان قوة كبيرة أخذت تنمو وتتزايد على مر الأيام بفضل النجادات التي كانت تصل إليها من المدن الأخرى. حمل أبو سبرة على أسوار المدينة أملاً في تخطيها فصمد له الفرس فأعاد الكرة مرات عديدة والمدينة صامدة فرأى أنه لا يستطيع فتحها ما لم تصله نجات جديدة فكتب إلى الخليفة يشرح له الحال فأمر عمر أبا موسى أن یسیر بجیش كبير إلى تستر على أن یدخل حال وصوله تحت قیادة أبي سبرة. وصل أبو موسى فاشتد القتال وكان الفرس یخرجون من أسوار المدينة وینغيرون على العرب

^(۱) تستر او شمنتر: مدينة في عربستان، غزاها البراء بن مالک في خلافة عمر بن الخطاب

فتحتم المعركة بين الطرفين ثم يعودون إلى حصونهم. ولما طال الأمر أمر الخليفة عمار بن ياسر الذي تولى ولاية الكوفة نيابة عن سعد أن يسير بجيش من الكوفة مددًا لأبي سيرة على أن يترك عبد الله بن مسعود على إمارة الكوفة. وصل جيش عمار والمدينة لاتزال صامدة تقاوم بشدة وإصرار. ولما طالت الحرب ضعفت معنويات بعض أهاليها ، فخرج أحدهم وأتصل بالعرب سرًا وأخبرهم بوجود منفذ يمكن أن ينفذوا منه إلى داخل المدينة. وكان هذا المنفذ هو مدخل الماء إلى المدينة. وجه العرب أحد قادتهم ((اشرس بن عوف الشيباني)) بصحبة الدليل الفارسي ليستطيع المنفذ ويتأكد من صدق روايته. تبع اشرس الفارسي فخاض الرجل به النهر ودخل معه المدينة من نفق بجانب مدخل الماء، وسار متكتراً بطرقها واراه نقاط الضعف فيها، وأبوابها ولما عاد وأخبر القادة بما رأى قر رأيهم على مهاجمة المدينة من هذا المنفذ مستغلين ظلام الليل . انتدب القائد العربي أربعين رجلاً مع ((اشرس)) يتبعهم ٢٠٠ جندي فدخلوا المدينة وقتلوا الحرس وفتحوا الأبواب فدخل الجيش منها. لجأ الهرمزان إلى قصره واستسلم جيشه بعد قتال مريء، ولما تقدم المسلمون إلى قصره اضطر إلى الاستسلام مشترطاً أخذه إلى الخليفة في المدينة، فأجيب إلى طلبه وسير به إلى عمر حيث أعلن إسلامه هناك ولبث فيها حتى قتله عبد الله بن عمر^١ لاعتقاده بأن له بدأ في تحريض أبي لؤلؤة على قتل والده. بعد احتلال تستر توجه العرب فاحتلوا ((سوس)) بعد حصار استمر حتى نفذ ما فيها من ماء وطعام، ثم تقدموا إلى

^١ خرج عبد الله بن عمر طالباً مبارزة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في معركة صفين حينما كان يقاتل بجانب جيش معاوية فضربه الإمام على راسه فمات. شاكر الشطري، احداث في لسان التاريخ، ص ٤.

((جندي سابور)) واستولوا علیها. وهكذا دانت لهم الاهواز بأجمعها ولم یستطع ((بزجرد)) نجيتها.

معرکة نهاؤند

بعد ان تم للعرب النصر في الاهواز استاء أمراء فارس فاجتمع عدد كبير منهم وقرروا أن یلتفوا حول عرش يزدجرد ويدفعوه لقيادتهم حتى النصر، أخذ يزدجرد يرسل الرسائل الى جميع مدن ایران واقاليمها یشجع أهلها على القتال والتطوع في الجيش الذي أخذ یتحشد في نهاؤند حتى بلغ عدده ۱۵۰ ألف مقاتل بقيادة ((الفیروزان)) فجمع هذا أمراء الجند وقال لهم^(۱)، ((ان محمدًا الذي جاء للعرب بهذا الدين لم یتعرض لبلادنا وقام أبو بكر من بعده فلم یتعرض لنا في دار ملکنا ولم یثر بنا الا فيما یلي بلاد العرب من السواد، وهذا عمر بن الخطاب لما طال ملکه أنتهک حرمتنا وأخذ بلادنا، ولم یکفه ذلك حتى غزاننا في عقر دارنا فأخذ بيت المملكة وانتقصم السواد والأهواز وهو آتیکم ان لم تأتواه، وليس بمنته حتى تخرجو من في بلادکم من جنده وتقلعوا هذین المصرین، البصرة والکوفة ثم تشغلوه في بلاده وقراره)).

نبه الاحنف بن قیس عمر بن الخطاب الى خطر تحشد الجیوش الفارسیة وعزمها على استعادة الاهواز وإعادة احتلال العراق وذلك عند وصوله الى المدينة في صحبة الهرمزان، إذ قال له عندما كان عمر یحاسب الهرمزان عن سبب غدره للعهود وانتهاضه على العرب من حين لآخر:-

^(۱) الطبری، ج ۴، ص ۱۲۲. هو محمد بن جریر المتوفی ۳۱۰ھـ، فارسی الأصل من طبرستان له من الكتب (تاریخ الطبری) و (جامع البيان فی تفسیر القرآن) و (تاریخ الرسل والملوک).

((يا أمير المؤمنين أخبرك انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد وأمرتـا الاقتصار على ما في أيديـنا ان ملك فارسـ حـي بين ظهـير وـاـنـهـ لا يـزـالـونـ يـسـاجـلـونـناـ مـاـدـاـمـ مـلـكـهـ فـيـهـمـ فـلـمـ يـجـتـمـعـ مـلـكـاـنـ فـاـنـتـفـقـاـ حـتـىـ يـخـرـجـ أـحـدـهـمـ صـاحـبـهـ وـقـدـ رـأـيـتـ أـنـاـ لـمـ نـأـخـذـ شـيـئـاـ بـعـدـ شـيـئـاـ إـلـاـ بـاـنـبـاعـهـمـ وـغـدـرـهـمـ وـمـلـكـهـمـ هـوـ الـذـيـ يـحـرـضـهـمـ وـيـبـعـثـهـمـ، وـلـمـ يـزـلـ دـأـبـهـ حـتـىـ تـأـذـنـ لـنـاـ بـاـلـاـنـسـيـاـحـ فـنـسـيـحـ فـيـ بـلـادـهـمـ وـنـزـلـ مـلـكـهـمـ وـنـخـرـجـهـ مـنـ مـلـكـتـهـ وـعـزـامـتـهـ هـنـاكـ يـنـقـطـعـ رـجـاءـ أـهـلـ فـارـسـ وـيـسـكـنـ أـشـهـمـ)). قـرـرـ عـمـرـ القـضـاءـ عـلـىـ دـوـلـةـ الـفـرـسـ قـضـاءـ مـبـرـمـ لـذـلـكـ جـمـعـ كـبـارـ الصـحـابـةـ وـالـقـادـةـ وـشـاـوـرـهـمـ بـالـاـمـرـ فـاـنـقـقـ الـجـمـيـعـ عـلـىـ ضـرـورـةـ اـفـتـحـاـمـ فـارـسـ حـتـىـ تـدـيـنـ بـأـجـمـعـهـاـ لـلـعـرـبـ. فـقـالـ لـهـمـ عـمـرـ ((اـشـيـرـواـ عـلـىـ بـرـجـلـ اـوـلـهـ اـمـرـ هـذـهـ الـحـرـبـ وـلـيـكـ عـرـاقـيـاـ)).

فـقـالـوـاـ لـهـ اـنـكـ اـفـضـلـ رـأـيـاـ وـابـصـرـ بـجـنـدـكـ فـقـالـ ((اـمـاـ وـالـهـ لـاـوـلـينـ اـمـرـهـمـ رـجـلـاـ يـكـونـ اـوـلـ الـاسـنـةـ اـذـاـ لـقـيـهـاـ غـدـاـ النـعـمـانـ بـنـ مـقـرـنـ)) فـأـقـرـهـ الـمـجـتـمـعـونـ عـلـىـ حـسـنـ اـخـتـيـارـهـ. كـانـ النـعـمـانـ مـنـ الـقـادـةـ الـأـفـذـاـذـ فـقـدـ اـنـتـدـبـهـ أـبـوـ بـكـرـ لـقـتـالـ مـنـ اـمـتـعـوـاـ عـنـ الزـكـاـةـ فـهـزـمـهـ بـذـيـ الـقـصـةـ وـكـانـ أـحـدـ قـوـادـ خـالـدـ بـنـ الـوـلـيدـ وـالـمـثـنـىـ بـنـ حـارـثـةـ أـيـامـ الـفـتـحـ الـأـوـلـىـ فـيـ الـعـرـاقـ، ثـمـ كـانـ مـنـ أـبـطـالـ الـقـادـسـيـةـ الـكـبـارـ وـقـدـ تـرـأـسـ الـوـفـدـ الـعـرـبـيـ لـمـفـاـوـضـةـ يـزـدـجـرـدـ وـشـارـكـ فـيـ فـتـحـ الـأـهـوـازـ وـهـوـ يـمـتـازـ بـالـرـجـولـةـ وـالـشـجـاعـةـ وـالـكـفـاءـةـ وـالـإـقـدـامـ، وـقـدـ اـكـتـسـبـ خـبـرـةـ وـتـجـرـيـةـ مـشـارـكـتـهـ فـيـ الـحـرـوـبـ الـسـابـقـةـ الـتـيـ خـاصـهـاـ وـتـولـىـ فـيـهـاـ قـيـادـةـ الـكـتـائـبـ وـالـفـرـقـ وـالـجـيـوشـ. وـبـعـدـ هـذـاـ الـقـرـارـ أـرـسـلـ عـمـرـ إـلـىـ النـعـمـانـ اـمـرـ التـعـيـنـ التـالـيـ:

((بـسـمـ الـرـحـمـنـ الرـحـيمـ، مـنـ عـبـدـ الـهـ عـمـرـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ إـلـىـ النـعـمـانـ بـنـ مـقـرـنـ سـلـامـ عـلـيـكـ: فـانـيـ اـحـمـدـ الـهـ الـذـيـ لـاـ الـهـ إـلـاـ هـوـ. أـمـاـ بـعـدـ فـانـهـ قـدـ بـلـغـيـ أـنـ جـمـوعـاـ مـنـ الـأـعـاجـمـ كـثـيرـةـ قـدـ تـجـمـعـوـ لـكـ بـمـدـيـنـةـ نـهـاـوـنـدـ فـإـذـاـ أـتـاـكـ كـتـابـيـ هـذـاـ فـسـرـ بـاسـمـ الـهـ وـبـعـونـهـ وـنـصـرـ الـهـ بـمـنـ مـعـكـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ وـلـاـ تـوـطـئـهـمـ وـعـرـاـ فـتـؤـذـيـهـمـ وـلـاـ تـمـنـعـهـ

حکمهم فتکرهم ولا تدخلهم غیضة فان رجلا من المسلمين أحب إلى من مئة ألف دینار. فسر في وجهك هذا حتى تأتي ((ماه))^(۱). فاني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها. فإذا اجتمع لك جندك فسر إلى الفیروزان ومن جمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم والسلام عليك))^(۲). ثم كتب إلى عبد الله بن عتبان الذي تعین ولیاً على الكوفة يطلب إليه تجهیز جیش يلحقه بالنعمان في ((ماه)) وأمره أن يقود هذا الجیش ((حذیفة بن الیمان)) على أن يكون بأمره النعمان حال وصوله ((ماه)) كما كتب إلى النعمان أيضاً بأنه إذا تعرض لحادث فإن حذیفة سيكون قائداً بعده. وان تعرض حذیفة لحادث يتولى القيادة بعده ((نعمیم بن مقرن)). ثم كتب إلى أبي موسی الأشعري والمی البصرة أن يسیر بجیش قوي إلى ((ماه)) ويصبح هناك بإمرة النعمان أيضاً. وطلب إلى قادته في الأهواز ((سلمی بن القین)) و((حرملة بن رابعة)) والباقين أن يشاغلوا الفرس هناك ويعنوه من إرسال النجادات إلى نهاؤند من إقليم فارس المجاور الأهواز. ترك النعمان الأهواز وحث السیر معقباً وادی دجلة ثم وادی دیالی حتى وصل ((ماه)) فوجد الجیوش قد سبقته إليها وكان فيها من أبطال القادسیة القعفان بن عمرو وعمر بن معدي وکرب طلیحة بن خویلد وغيرهم کثیرون. وبلغ عدد قواته التي تم تحشیدها ۳۰ ألف جندي.

التقدم إلى نهاؤند

ترك الجیش إلى حلوان وفيها انتخب النعمان طريق حلوان - کرند - کنکلوار - نهاؤند. وقد سبقته مفرزة للتعسیس واستطلاع الطريق وجمع المعلومات عن العدو والتأكد من خلو الطريق من الكمائن. كانت المفرزة مؤلفة من طلیحة الاسدی

^(۱) قریة على طريق حلوان وقربها.

^(۲) الطبری، ج ۴، ۱۴۴.

و عمر بن معدی کرب و عمر بن أبي سلمی. بعد مسیرة يوم واحد رجع عمر بن أبي سلمی وأخبره بخلو الطريق من الأعداء. وفي اليوم الثاني رجع عمر بن معدی کر مؤکداً خلو الطريق أيضاً واستمر طیحة حتى وصل نهاوند واستطلعها وتجسس أخبارها وعاد مخبراً النعمان بالمعلومات التي معها. قرر النعمان التقدم ففتح قواطه بتشكيل المعركة كما يلي:

المقدمة بقيادة نعیم بن مقرن. المجنبيین بقيادة حذیفة بن الیمان وسوید بن مقرن. المجردة بقيادة القعیاع بن عمرو. الساقۃ بقيادة مجاشع.

موقف الفرس

اجتمعت في نهاوند القوات التالية:

من الفرس والفالهوج، ۳۰ الف مقاتل. ومن خراسان، ۶۰ الف مقاتل. ومن سجستان، ۶۰ الف مقاتل. عرف الفیروزان انباء تقدم العرب منذ غادروا حلوان بواسطة جواسيسه وقرر قبول المعركة في ارض نهاوند منتظراً وصولهم إليه، مستفيداً من حصونها ويرجحها وكانت غايتها جذب العرب إلى المنطقة الجبلية الوعرة التي لم يألفوا القتال فيها فيتکبدوا مشاق السير على طول الطريق الوعر فيصلوا واهني القوة خاتري المعنويات بعيدين عن قواعدهم ومرانکز إمدادهم وتمونيهم ولربما كانت هذه الخطة حسنة لو لم يقع الجيش الفارسي وراء أسوار المدينة مفضلاً موقف الدفاع وكان الموقف يقضي على القائد الفارسي أن يعد عدداً كبيراً من الكمائن في طريق تقدم العرب لیزید مصاعبهم ویؤخر تقدمهم ویکبدتهم بعض الخسائر كما كان يقضي أن يخرج من حصونه حال وصولهم وییاغتهم بهجوم عام قبل أن يستقرروا ویستريحوا . وصل الجيش العربي قرب نهاوند وعسكر فيها فطلب الفیروزان أليهم ان یرسلوا احد قادتهم للمفاوضة أرسل النعمان إليه ((المغيرة بن شعبة)) فهدده الفیروزان وانذره بالرجوع من حيث أتوا وإلا

سيكون مصيرهم الدمار . فكان جواب المغيرة : ((وا الله ما زلنا منذ جاعنا رسول الله نتعرف من ربنا الفتح والنصر حتى أتيناكم وإنما الله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبدا حتى نغلبكم على ما بأيديكم أو نقل بأرضكم)).

عاد المغيره فأخير النعمان بما جرى بينه وبين الفيروزان فقرر محاصرة المدينة

وصف أرض نهاوند

تقع نهاروند في منطقة تكثر فيها المراعي والبساتين والجداول يحيطها سور منيع
وفي وسطها حصن متين البناء قوي الجدران يحمي أسوارها ولقد حفر الفرس
حولها خندقاً عريضاً ولغموا الأرض التي امام الخندق بحشک الحديد وهي قصبان
حديدية تختلف من اربعه اذرع توضع على الأرض لتعرقل تقدم الفرسان والمشاة.

خرطه ابران



ضرب النعمان الحصار على المدينة وكان الفرس خلال ذلك لا يخرجون من حصونهم إلا نادراً وبجماعات صغيرة غرضها الإغارة السريعة وجمع المعلومات وكانت خيل العرب كلما اقتربت من الحصون اصطدمت بحش克 الحديد حيث لا تقوى على اجتيازها. وكان الفرس يرمونهم بالنبال من فوق أسوارهم. ولما رأى النعمان ذلك خشي أن يطول الحصار دون نتيجة فجمع أولى الرأي وكبار قادته في مؤتمر لمناقشة الموضوع، فاشار عليه عمرو بن معدى كرب بمواصلة الغارة على حصون المدينة ومقاتلتها كل من يخرج منها فلم يعجب هذا الرأي الحاضرين حيث قالوا انهم سيلزمون حصونهم التي ستكون عوناً لهم علينا، وبعد نقاش طويل اقترح طليحة بن خويلد الأصي الخطة التالية^(١):

تجهز كتيبة من الفرسان بكمال سلاحها وترسل لمهاجمة الحصون وعليها استخدام الشاب وتنظاهر بأنها عازمة على اقتحام الأسواء لينقضبوا الفرس ويستقروهم للخروج من الحصن للمناجزة بالسيوف فاذا ما خرجموا على الكتيبة ان تظاهر بالهزيمة وتتراجع متقهقرة إلى الخلف حتى تبعدهم عن الحصن وتشجع الآخرين على الخروج أيضاً. وإذا ما ابتعدوا عن الحصن كثيراً تتوقف الكتيبة عن تقهقرها وتنثبت أمامهم وعند ذلك يلتحم بهم الجيش بكماله وتكون المعركة الفاصلة.

وافق الجميع على هذه الخطة فأمر النعمان المجردة التي كان يقودها القعقاع ابن عمرو بمهاجمة الحصن في صباح اليوم التالي وتتنفيذ الخطة المنقى عليها بحذافيرها ثم هيأ القسم الأكبر من جيشه للقضاء على القوة التي سيسدرجها القعقاع.

المعركة

(١) الطبرى، ج ٤، ص ١٣٠ حيث جاء فيها: ((قال طليحة نبعث خيلاً مؤدية فيحذقوا بهم ثم يزموا لينشبو القتال ويحشوهم فإذا استحمسوا واحتلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزووالينا استطراداً فانا لم نستطرد لهم في طول ما فاثناهم وانا إذا فعلنا ذلك ورأوا ذلك منا طمعوا في هزيمتنا ولم يشكوا فيها فخرجوا فجادلنا وجادلناهم حتى يقضي الله فيهم وفيينا ما أحب)).

تقدم ((القعقاع)) ورمي المدينة بالنبل وأظهر العزم على اقتحام الأسوار، وأبدى من ضروب البأس مما جعل الفرس يخرجون اليه بحذر لصد هجومه وقد قتل المسلمين كل من خرج اليهم فأثار ذلك غضب الفرس فأرسلوا فرقة إلى خارج الأسوار واجبها القضاء على الكتيبة العربية القليلة العدد التي تريد اقتحام الأسوار، اجتازت الفرقة الأسوار وحسك الحديد لمقاتلة العرب فثبت لهم القعقاع بادئ الأمر حتى لا تكشف الخدعة، ثم أمر جنوده بالتقهقر فلما رأى الفرس فراره تعقبوه.

وكانت الخطة نقضی بالتقهقر إلى ماوراء مرمى النبل من حصنون المدينة. وقد تراجعت كتيبة القعقاع حتى وصلت إلى مقربة من القسم الأكبر والفرس يتبعونهم ملترمين في بداية الأمر الحذر حيث كانت مؤخرتهم تتقدم وهي تدفع أمامها حسك الحديد تحتمي به إذا رجع العرب اليهم. ولما رأى الفرس امعان العرب بالفرار تأكد لديهم بأن الجيش العربي امام شدة ضرباتهم وانتهى أمره ولا بد من مطاردته والقضاء عليه ولا موجب بعد ذلك للحذر فتخطوا حسك الحديد وخلفوها وراءهم واسرعوا بالمطاردة. ثم اندفع الجيش كله من نهاوند بقيادة الفيروزان حتى خلت المدينة منهم للقضاء على الجيش العربي برمته ولما بعد عن المدينة واقترب من موقع القسم الأكبر العربي انتابتهم الدهشة لما رأوا صفوف العرب تنتظرونهم وقد استعدوا للمعركة وكان يوم جمعة وقد وصل الفرس قبيل الزوال.

أصدر النعمان اوامره بالصبر حتى ترتفع الشمس إلى كبد السماء ويحل الزوال فيبدأ الهجوم بعد سماع تكبيرته. ولما أصبح الفرس على بعد مرمى السهام أخذ رماتهم يصوبونها إلى الجيش العربي فأصيب بعض الجندي طلب بعض القادة وعلى رأسهم المغيرة بن النعمان ان يصدر أمره بالهجوم إلا انه أصر على الترثت حتى الزوال. وأخذ يطوف على كتائبه يشجعهم ويحثهم على الاستبسال وأصدر اليهم توجيهاته الأخيرة ثم رجع إلى مركز قيادته فكثُر ثلات تكبيرات ثم أندفع على رأس جيشه إلى صفوف الفرس فالتحم الجيشان وقد استماتت العرب

لأنهم يعرفون بأن هزيمتهم في هذا اليوم معناه ضياع الفرصة نهائياً في اخضاع فارس.

وتحدرت الشمس إلى المغيب والقتال على أشده وكان النعمان يجول بين الصفوف واللواء الخافق بيده. وبينما كان يشق طريقه في قلب العدو زلق حصانه وسقط منه فعالجه أحد علوج الفرس بسهم في خاصرته فاستشهد. فلما رأه شقيقه نعيم تقدم مسرعاً إليه وتناول العلم قبل سقوطه وغطى جسم أخيه بثوبه وكتم أمر استشهاده عن الجيش خوفاً من أن تضعف معنوياتهم. وهم في أوج حماستهم للمعركة. ومع ذلك تقدم إلى حذيفة وقدم له اللواء وأخبره بمقتل النعمان. إلا ان حذيفة طلب إليه ان يستمر بحمل اللواء ويتولى القيادة محل أخيه وان يستمر على كتمان استشهاده حتى انتهاء المعركة. سار نعيم حتى وصل جنة النعمان. فأقام اللواء قربها واستمر على القتال أقبل الليل وحمي وطيس المعركة والعرب يدفعون العدو أمامهم وأنشر الظلام فأصاب الفرس الفزع فقرروا العودة إلى حصونهم. إلا انهم اصطدموا بحسك الحديد التي تركوه خلفهم وكان العرب لا يمهلونهم لرفع هذا الحسك وأرادوا الانحراف إلى الجانب فتلقفهم خندق عميق اعمامهم ظلام الليل من رؤيته فهووا فيه بخيولهم فقتل عدد كبير منهم. ولما رأى الفيروزان ما حل بجيشه أندفع وحيداً نحو طريق همدان يريد النجاة بنفسه، إلا ان ((نعماما)) رأه وأمر القعاع بمطاردته فأدركه في ثنية الجبل حيث سدت عليه الطريق قافلة من الحمير والبغال تحمل العسل فقتله واستمر مع كتيبته يطارد فلول الفرس المنهزمين حتى بلغ همدان فحاصرها إلا ان أميرها لما سمع بأخبار اندحار الجيش الكبير في نهاوند أنهارت معنوياته واستسلم وعقد اتفاقاً مع العرب فرض فيه القعاع الجزية على أهل المدينة على أن يضمن له الحاكم ولاء همدان و ((دسبتي)). ولما عاد القعاع إلى نهاوند وجد الجيش العربي قد دخلها وان حذيفة قد تسلم القيادة العامة ويقول الطبرى ان عدد قتلى الفرس في نهاوند بلغ ١٠٠ الف قتيل.

بعد نهاؤن

بعد انتهاء المعركة أخذ قسم من الجيش العربي يعود إلى بلاده وكان جيش البصرة أول العائدين وفي طريقه حاصر أبو موسى الأشعري ((الدينور)) واحتلها وفرض على أهلها الجزية ثم توجه إلى السيروان وعمل فيها ما عمله في ((الدينور)) ثم قفل راجعاً إلى البصرة. أخذ حنيفة الذي استقر في ((نهاؤن)) يرسل المفارز إلى المدن المجاورة لها ويفرض على أهلها الجزية. ولما وصلت أنباء النصر إلى عمر في المدينة استبشر بها وقرر اتمام فتح إيران بجمعها لذلك أصدر أوامره التالية:

أمر الأحنف بن قيس بالحركة لفتح خراسان وأمر مجاشع بن مسعود السلمي بالحركة إلى اردشير وسابور وأمر عثمان بن العاص التقي بالحركة إلى اصطخر وأمر سارية بن زنيم الكناني بالحركة إلى ((درابرد)) وأمر سهيل بن عدي بالحركة إلى كرمان وأمر عاصم بن عمرو بالحركة إلى سجستان وأمر الحكم بن عمرو التغلبي بالحركة إلى مكران.

موقف الفرس

حاول يزدجرد أن يعيد تنظيم جيشه بعد انتهاء المعركة لينقذ ما تبقى من بلاده ويصون عرشه من الانهيار فاستجد بأمراء الأقاليم فوصلاته الإمدادات من اذربيجان وخراسان وفارس ومكران. وكان ينتظرها في السري ثم انتقل إلى اصفهان ولما بلغ عمر ذلك أمر عبد الله بن عتبان حاكم الكوفة بالتقدم لفتح اصفهان على أن يستصحب معه قسماً من الجيش المرابط في نهاؤن. كانت اصفهان من مدن الفرس الكبيرة تتألف من مدينتين متجاورتين هما ((جي)) و((اليهودية)) وهذه الأخيرة كانت مستعمرة يهودية أنشأها يزدجرد الأول استجابة لرغبة زوجته اليهودية ((شوشن رخت)) أما ((جي)) فهي القصبة. وتقع اصفهان في نهاية المنطقة الجبلية من جهة الجنوب وهي مركز مواصلات هام إذ تصل

الیها الطرق من مختلف مقاطعات الامپراطوریة الفارسیة. كما كانت مركزاً تجاریاً و زراعیاً هاماً.

وصل عبد الله بن عتبان مع جیشه إلى مشارف المدينة فوجد بانتظاره جیشاً فارسیاً كبيراً و فيه أكبر مبارزیهم و اعظمهم ((شهریار بن جاذویه)) ولما حمی وطیس المعرکة و تجدل عدد كبير من الفرس طلب هذا أن يبارزه أحد فرسان العرب فتقدم إليه ((عبد الله بن ورقاء الرياحی)) فصالوه و قتله فاختلت صفوف الفرس و انهارت معنیاتهم و انسحبوا إلى ((جي)) يحتمون باسوارها بينما شرع العرب يعدون الخطة لمحاکمة المدينة. ولما علم يزدجرد باندحار جیشه ترك اصفهان هارباً إلى کرمان أما الجیش فخرج يقاتل المهاجمین بقيادة أمر المدينة ((الفانوستان)) الذي طلب مبارزة عبد الله ابن عتبان فان قتله استسلمت المدينة وان قتل القائد العربي رجع الجیش عنها. ولما طالت المبارزة دون ان ينتصر احدهما اقترح الفانوستان ان يسير مع عبد الله إلى معسکر العرب و يصلحه هناك و يسلم المدينة له على ان يسمح لكل راغب بالسفر منها ومن يبقى يدفع الجزیة. وهکذا تم استسلام اصفهان. وفي هذا الوقت كان ((اسفندیار الرازی)) شفیق رستم بعد العدة في منطقة بحر قزوین لرد العرب عن منطقة الري، ولما علمت همدان بذلك نقضت عهدها و انضمت اليه فرحف اليها نعیم بن مقرن من نهاوند وأخضعتها و بينما كان نعیم و معه ١٢ الف مقاتل في همدان بلغه زحف الاسفندیار اليه من عدة جهات. فتقدمت عليه ثلاثة جیوش : جیش من الدیلم بقيادة ((موتا)) وجیش من الري بقيادة ((الزینی)) وجیش من اذربیجان بقيادة الاسفندیار نفسه. وقد تحشدت هذه الجیوش في ((واج روذ)) وكانت أخبارها تصل إلى نعیم بواسطة العيون والجواسیس ولم تک تصل طلائعهم إلى ((واج روذ)) حتى تحرك اليها لیقضی على كل جیش على انفراد. إلا انه وصل بعد ان تجمعت الجیوش الثلاثة فيها، فاشتبک معهم بقتل عنيف انتصر به عليهم. وبعد هذا النصر تقدم نعیم إلى الري بعد ان استخلف یزید بن قیس على همدان. وكان نصر العرب في الري حاسماً لذلك أسرعت المدن والاقالیم القریبة تطلب الصلح و تؤدي الجزیة فخضعت

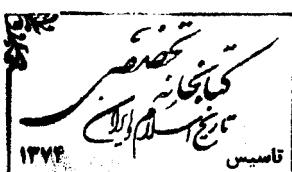
للعرب كل من جرجان و طبرستان وأذربيجان فأصبح العرب يسيطرون سیطرة تامة على إقليم الاهواز في الجنوب وعلى معظم إقاليم الشمال ولم يبق إلا إقليم فارس وخراسان وكرمان وسجستان. وفي هذه الأثناء بدأت الجيوش التي أمرها عمر بالتقدم لفتح هذه الإقاليم بالحركة بعد أن أكملت استعداداتها وتحشدتها. فأندفع جيش عثمان بن أبي العاص من البحرين وكان هدفه النهائي ((الصطخر)) عاصمة إقليم فارس فتمكن من فتحها. واندفع جيش مجاشع بن مسعود من البصرة واستولى على سابور وارديشير واندفع جيش سهيل بن عدي واستولى على ((كرمان)). كما استولى جيش عمر التغلبي على ((كرمان)).

وكان يزدجرد يتنقل من إقليم إلى آخر ولما فتح العرب مکران هرب إلى خراسان وهي كائنة جنوب شرقی بحر قزوین. ثم تحرك جيش عاصم بن عمرو واستولى على سجستان. وبعد السيطرة على جميع هذه الإقاليم تحرك جيش الاحنف بن قيس لفتح خراسان وكان إقليم خراسان واسعا. أهم مدنه نيسابور ومرود وهرات وبليخ. وقد تمكن الاحنف من فتح جميع هذه المدن ودخل ((مرود)) عاصمة إقليم واستقر بها فهرب يزدجرد إلى خارج الحدود الإيرانية لاجئاً إلى سمرقند مستجيراً بخاقان الترك . تساقطت إقاليم ایران ومنها نتيجة الانتصار الحاسم الذي حققه العرب في معركة نهاوند بتحطيم الجيش الفارسي العظيم الذي جمعه الفرس فيها من جميع هذه الإقاليم لصد هجوم العرب عن ایران وإعادة فتح العراق. فلم تستطع بعدها قوى الفرس المبعثرة حماية الإقاليم والمدن الأخرى. لذلك كانت تسمية المؤرخين لمعركة نهاوند بـ (فتح الفتوح) أمراً واقعياً وصحيحاً. خشي خاقان الترك من دخول العرب إلى بلاده فسار مع يزدجرد على رأس جيش إلى الحدود لحمايتها. أما عمر فقد أمر قادته بعدم التوغل والاكتفاء بفتح إقليم ایران. ولما رأى الخاقان توقف العرب تشجع بتحريض يزدجرد على التقدم إلى خراسان فاحتل بعض مدنها ثم غادرها إلى سمرقند تاركاً يزدجرد في ((بليخ)) ينظم امر الدفاع عنها. الا ان ثورة داخلية قامت ضده اضطر على أثرها الفرار إلى ((فرغانة)) عاصمة الترك ولبث فيها سنين طويلة يراسل أعيوانه داخل ایران ويحثهم على الثورة حتى قتل

في زمن الخليفة عثمان بن عفان. وهكذا تم تدمير الامبراطورية الفارسية ودانست ایران جميعها للعرب.

ان أهم ما يسترعي النظر في معارك فارس هو نجاح العرب في القتال بأرض جبلية لم يألفوها سابقاً ولم يشاهدو نظيرها في بلادهم ولم يتعودوا على مشاكلها، وهذا دليل جديد على ان الجيش الذي يقاتل في سبيل عقيدة ومثل سامية لا بد ان ينال النصر مهما كانت الصعاب التي تعرّض طريقه. لأن العقيدة ترفع المعنويات وتقوي العزائم فتدفع الجندي إلى التضحية بحياته عن طيب خاطر لتحقيق النصر. وما يلاحظ ان تفوق الفرس الساحق لم يفدهم في أخذ المبادأة من العرب ولم يضعوا خطة هجومية لتدمير الجيش العربي قبل وصوله إلى نهاوند أو في الساحة التي اختاروها للمعركة. بل قرروا الدفاع وراء اسوار المدينة ولا أدرى كيف كان بامكانهم تدمير جيش العرب من فراء هذه الاسوار ويطهر أنهم كانوا يعتقدون بأن العرب سيطّول بهم الحصار ويعودون من حيث أتوا.

تجلت براءة القيادة العربية التي كان هدفها تدمير الجيش المعادي برمته بالخطة المثلثيّة التي وضعتها باستدراج الجيش الفارسي من وراء حصونه وأنزال الضربة القاضية به في الأرض المنتخبة وكم كان غباء القيادة الفارسية التي اطلّت عليها الحيلة فتعقبت كتيبة القعّاع المتقهقرة دون خطة مرسومة أو حذر فوقعت في الشرك وكانت مباغتها بالقسم الاكبر الثابت في محله عاماً حاسماً في النصر. والمعركة ببطولاتها الفذة وتضحياتها الكبيرة وقيادتها المؤمنة المدركة لجديرة بالدراسة في عصرنا هذا من قبل شبابنا المتّوّث إلى المجد حتى يستمد من ماضيه قوة لبناء مستقبله وقد صرّح من قال ((من لا ماضي عنده لا حاضر أو مستقبل له)).



أحداث فی التاریخ الفارسی

فی لسان العرب

الفرس أقدم من خالط العرب من الأمم وأقدم من ساد على وادي الرافدين وكانوا يستخدمون بعض القبائل العربية لنصرتهم في الحروب واستخدامهم في دواوين الكتابة والترجمة وكان أكثر ملوك الفرس يتقنون اللغة العربية وبعض الملوك من قرب أمراء وشيوخ القبائل العربية كملوك وأمراء مثل ملوك الحيرة وغيرهم. ومنهم النعمان الثالث بن المنذر الرابع المكنى بابي قابوس صاحب النابغة الذبياني الذي تولى حكم مملكة الحيرة ٣١٦م. والذي بلغت مملكة الحيرة في أيام حكمه غاية الرخاء والرقي والثروة وقد كون هذا الملك خمس كتائب هي: الرهائن والصناعات والاشاهب والدوسن والوضائع وقد توسيع المملكة على عهده حتى بلغت نهر دجلة وشيد مدينة النعمانية التي اتخذها مصيفاً وكانت تباهي في جمالها وروعتها (المدائن) عاصمة الفرس (سلمان باك حالياً) والملك النعمان بن المنذر هو الذي غضب عليه امبراطور الفرس (أبرویز) بسبب وشایه فسجهه حتى مات في السجن وولى بدلته على الحيرة ایاس بن قبیصۃ الطائی من إشراف طيء ومن شجاعتها في الجاهلیة وبرویز هذا هو الذي أرسل اليه نبینا محمد ﷺ كتاباً يدعوه إلى الإسلام فلما قرأه أبرویز مزق الكتاب وأساء إلى حامله فقال رسول الله (اللهم مزق ملکه كما مزق کتابی). وفي عهده حدثت معركة ذي قار بين الفرس والعرب التي انتصر فيها العرب المسلمين ومزقت مملكته وكان في ذلك الزمان بعيداً من أولاد ملوك اليمن القحطانيين من يتطلع إلى نيل الملك فلما أشتد البلاء على أهل اليمن خرج سیف بن ذی يزن حتى قدم على ملك الروم تارکاً ملک الفرس کسری لابطائه عن نصرة أبيه الذي سبق ان قصد کسری انوشرونان یستنصره على الحبشه فمات والده على باب کسری ولكن سیف لما لم يجد عند ملك الروم نجدة فعاد إلى ~~الفرس~~ واستتجد بکسری إذ اعترضه يوماً وهو راكب فقال له: ان لي عندك ~~میلاد~~ فدعا الملك کسری به فقال له: من أنت وما میراثك عندی؟ قال

سیف: أنا ابن الشیخ العربی الیمانی الذي وعدته النصرة فمات ببابك فتاك العده حق لي ومیراث. فأعجب به ورق له کسری وقال له: بعدت بلادك عنا وقل خیرها والمسلك اليها وعر ولست أغدر بجیشی، وأمر له بمال. فخرج سیف وجعل ينشر الدرام فی الأسواق فأنتهبها الناس فسمع کسری فسأله ما حمله على ذلك فقال سیف: لم آتك لمال وإنما جئتک للرجال لتمعنی من الذل والهوان وأرضنا وجبالنا ذهب وفضة، فأعجب الملك کسری بقوله وقال: يظن المسكین انه أعرف بلاده منی، واستشار وزراءه في توجيه الجند معه لنجدته فقال له أحدهم: أيها الملك ان لهذا الغلام حقاً ينزعه إليك وموت أبيه ببابك وما نقدم من وعدك بالنصرة وفي سجنوك رجال ذو نجدة وباس فلو أن الملك وجههم معه فإن أصابوا ظفراً كان للملك وان هلكوا فقد استراح واراح مملكته منهم. فقال کسری: هذا الرأی: فأمر بمن في السجون فأحضرروا فكانوا ثمانمائة فوضع عليهم قائدآ من اساورته يقال له (وهرز) وكان مسجونا سخط عليه کسری فسجنه وأمر کسری بحملهم في ثمانی سفن فركبوا البحر فغرقت سفينتان وخرجو بساحل حضرموت ولحق بابن ذي يزن بشر كثير وسار اليهم مسروق في مائة الف من الحبشة وقبائل حمير والاعراب وجعل وهرز البحر وراء ظهره وأحرق السفن لثلا يطمع أصحابه في النجاة وأحرق كل ما معهم من زاد وكسوة إلا ما أكلوا وما ليسوا على ابدانهم وقال لأصحابه: إنما أحرقت ذلك لثلا يأخذه الاحباش ان ظفروا بكم. وان نحن ظفرنا بهم فسنأخذ اضعافه فإن كنتم تقاتلون معي وتصبرون اعلمتموني ذلك وان كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفي حتى يخرج من ظهري فأنظروا ما حالكم إذا فعل رئيسكم هذا بنفسه . قالوا: بل نقاتل معك حتى نموت أو نظفر. وقال وهرز سیف بن ذي يزن ما عندك؟ قال: ماشت من رجل عربي وسیف عربي، ثم أجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً قال: أنصفت. فجمع اليه سیف من استطاع من قومه فكان اول من لحقه السکاسک من كنده وسمع بهم مسروق بن ابرهه فجمع اليه جنده فعبا وهرز اصحابه وأمرهم ان يوتروا أقواسهم وقال: إذا أمرتكم بالرمي فارموا رشقاً واقبل مسروق في جمع لا يرى طرفاً وهو

على فيل وعلى رأسه تاج وبين عينيه ياقوته حمراء مثل البيضة لا يرى دون الظفر شيئاً وكان وهرز قد كلَّ بصره فقال: أروني عظيمهم فقالوا: هذا صاحب الفيل ثم ركب فرساً ثم انتقل إلى بغله فقال وهرز: ذل وذل ملکه. ثم حمل نشابه في كبد قوسه وقال: أشيروا إلى مسروق فاشاروا إليه فقال لهم: سارميه فإن رأيتم أصحابه وقوفاً لم يتحركوا فأثبتوا حتى أذنكم فأني قد أخطأت الرجل وإن رأيتموهم وقد استداروا أو لاذوا فقد أصبه فأحملوا عليهم ثم رماه فأصاب السهم بين عينيه ورمى أصحابه فقتل مسروق وجماعة من أصحابه فاستدارت الحبشه بمسروق وقد سقط عن دابته وحملت الفرس عليهم فلم يكن دون الهزيمة شيء وغمض الفرس من عسکرهم ما لا يحد ولا يحصى وقال وهرز: كفوا عن العرب واقتلو السودان ولا تبقو منهم أحداً ثم سار وهرز حتى دخل صنعاء وغلب على أهل بلاد اليمن وارسل عماله في المخالف وكان مدة حكم الحبشه لليمن (٧٢) سنة توارث ذلك منهم أربعة ملوك هم ارياط ثم ابرهه ثم ابنه يسکوم ثم مسروق بن ابرهه فلما ملك وهرز اليمن أرسل إلى كسرى يعلمه بذلك وبعث إليه بأموال وكتب إلى كسرى يأمره أن يملك سيف بن ذي يزن وبعظام يقول مудي كرب بن سيف بن ذي يزن على اليمن وأرضها وفرض عليه كسرى جزية وخراجاً معلوماً في كل عام فملكه وهرز وانصرف إلى كسرى وقام سيف على اليمن ملكاً يقتل أهل الحبشه الذين فيها ويبقر بطونهم الحبالي ولم يترك منهم إلا القليل جعلهم خولاً. واتخذ منهم جمازين يسعون بين يديه بالحراب . وترك وهرز جنداً من الفرس كانوا يسمون فيما بعد بالابناء . وقد وفدت الوفود على ابن ذي يزن يهنتونه بعوده الملك وهم وفد عليه عدد المطلب بن هاشم شيخ مكة وكثيرها وجد النبي محمد (ﷺ) ولكن هؤلاء الجمازين من الحبشه استطاعوا ان يغتالوا سيف بن ذي يزن وهم يسعون بين يديه فكان ملکه خمس عشرة سنة فلما بلغ ذلك كسرى بعث إليهم وهرز في أربعة الاف فارس وأمره ان لا يترك باليمان اسود ولا من ولد اسود إلا قتلها صغيراً أو كبيراً ففعل بما أمره كسرى وكتب إليه يخبره بما فعل فأقره على ملك اليمن فكانت يجبيها كسرى حتى هلك وما زالت الولاة من الفرس

تتعاقب على اليمن حتى كان آخرهم باذان و ممن اشتهر من ملوك اليمن قديماً ذو نواس يوسف بن شرحبيل وكان يدين باليهودية فرأى ان بعض رعيته بنجران يدينون بالدين المسيحي اتباعاً لدعوة ارسلهم الامبراطور الروماني. فلم يكن من ذي نواس إلا ان سار اليهم يجذبهم فجمعهم ثم دهاعهم إلى اليهودية و خيرهم بينها وبين القتل فاختاروا القتل فعمل لهم الاخدود ومثل بهم حرقاً بالنار وقتلاً بالسيف حتى قتل تقربياً عشرين الفاً وقد ورد ذلك في القرآن الكريم { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ الَّذِينَ دَعَوْا إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُوْدَ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَعْلَمُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودُ } فقتل ذي نواس وأصبح ارياط ملكاً على اليمن ثم نازعه ابرهه و قتله واستولى ابرهه على الجندي والبلاد ولما استقر حكمه أراد ابرهه صرف الحجاج العرب عن الكعبة و تهديم البيت الحرام فأرسل الله عليهم طيراً ابابيل لا تصيب أحداً من جيشه إلا هلك و خرج من سلم مع ابرهه هارباً وأصيب ابرهه في جسده فسقطت اعصابه حتى مات ابرهه و ملك بعده ابنه يكسوم ولما مات يكسوم ملك بعده اخوه مسروق.

فجاء الإسلام و صناعه اقليماً فارسياً يحكمها كسرى بواسطه أحد عماله الذين يؤدي له الخراج وكانت هناك قبائل عربية يحكمون في مناطقهم القبلية و كتب اليهم النبي (ﷺ) كتاباً مستقلة بصفتهم أقلياً كما كتب إلى النعمان و همدان و إلى الحارث بن عبد كلل وأخيه وكان لكتبه بحضور موت رؤوساء مستقلون يشبهون الامراء والملوك . ولما استقر المسلمين في المدينة المنورة و تمت المؤاخاة بين المهاجرين والانصار و فرضت الفرائض وأقيمت الحدود و تركزت دعائم الإسلام بذات حروب التوعية والدفاع و غزوات الرسول كانت لتوحيد العرب بدينهم و بدأ بغزوه بدر الكبرى و غزوته أحد و غزوةبني النضير والخندق و غزوةبني قريضة و غزوة خيبر و غزوته مؤتة و فتح مكة و غزوة حنين و حصار الطائف و غزوة تبوك ثم بدأت حروب التحرير في زمن الخلفاء الراشدين وفي عهد الدولة الاموية وفي عهد الدولة العباسية و امتدت و اتسعت حدود الدولة الإسلامية. من السند والصفد و بلاد الترك والعم و أذربيجان و ارمينية و بلاد الروم و افريقيا و اسبانيا و قبرص.

الحروب المغولیة و سقوط بغداد

ذکرنا فی الجدول المرفق فی هذا الكتاب فی الصفحة الثالثة والأربعین عن مدة حکم غیر الفرس فی العراق (المغول) وهم قبائل کبیرة رحل تقطن البلاد المسمیة (منغولیا) وھی الجزء الشرقي من اواسط آسیا . کانت لهم صلة وثیقة بأقوام أخرى مترحلة تقطن إلى الغرب منهم تدعی (التر) حتی أصبح من المتعذر الفرق بین هذین الأسمین (التر والمغول) وكانت هذه القبائل تتقاول فيما بینها کما كانت تتقاول مع جوارها وكانت بلاد اواسط آسیا وشرقها وھی موطن هذه الأقوام بهضابها المترامية وصحرایها الشاسعة وسكانها الأشداء مصدرًا لمواجات بشریة کثیرة منذ أزمان قديمة تتدفع بین حين وأخر إلى الشرق والجنوب والغرب فتفجر المناطق المحيطة بها وتشیع فيها الخراب والدمار حتی لاقت منهم شعوب بلاد الصين فی الشرق وأوربا فی الغرب الأمرين من القتل الذريع وتخريب المدن.

ومن بین قبائل المغول كانت هناك طائفة صغیرة أسمها (قیات) وتعرف بأسما (بورجین) وهذه الطائفة هي التي نشأ فیها تیموجین الملقب (جنکیز خان) (أی امپراطور العالم)^۱ . يعتبر جنکیز خان مؤسس امپراطوریة المغول العظمی التي ضمت اليها أھم أجزاء العالم ومنها الأرض العربية . ولقد كانت القبائل المغولیة فی القرن الثاني عشر المیلادي خاضعة بالاسم لأمپراطوریة الصين إلا أنها خلال النصف الثاني من ذلك القرن خرجت على تلك الأمپراطوریة وأندفعت بالتوسع إلى مختلف الجهات وكان سبب ذلك ظهور زعيم كبير من بینهم هو جنکیز خان الذي أستطاع أن يوحدهم ویثیر مطامعهم للاستیلاء على الأمم الضعیفة المفكکة ويستغل نشاطهم العسكري وحثّهم للحرب والتتوسع والسيطرة، فقد قادهم في بادیء الأمر للاستیلاء على شمال الصين والجزء الشرقي من بلاد اواسط آسیا ثم بدأ تقدمه نحو العالم الإسلامي إذ اجتاح الدولة الخوارزمیة الإسلامية التي كانت تحکم

^۱ تیموجین: اتّخذ هذا اللقب سنة ۱۲۰۳م بعد الانتصار على (الکرایت) وجنکیز خان معناه فی الصينیة ابن السماء و معناه أيضًا المحارب الكامل و قیل مستمدۃ من العقائد الدينیة عند المغول.

بلاد ماوراء النهر وأكثريه بلاد ايران علاوة على بلاد الجزيرة قرب مناطق الموصل وببلاد الفقس وروسيا ثم عاد إلى بلاده ليموت فيها بعد بضعة أعوام.

كان النجاح الذي أحرزه المغول في عهد جنكيزخان شجعهم على الاستمرار في الفتح وبعد وفاته قام أولاده وأحفاده بالفتحات حتى اتسعت امبراطوريتهم وأصبحت تضم معظم آسيا وأوربا الشرقية وقد قتلوا الملايين من الناس وخربوا مئات المدن وغنموا أموالاً طائلة وأصبح حبهم للفتح والسيطرة والمال لا حد له. وكانت نتفهم بالنصر راسخة لا تتزعزع وسقطت ايران برمتها ثم تلتها بلاد الاسماعيلية الواقعة شمال ايران على يد هولاكو حفيد جنكيزخان إذ خرج على رأس جيش جرار بناء على الأوامر التي تلقاها من أخيه الامبراطور (مانقوخان) لاخضاع ما بقي من آسيا الغربية خارج الامبراطوريه المغوليه وهي بلاد الاسماعيلية وببلاد العراق وسوريا ..

هولاكو وسقوط الخلافة العباسية

بعد أن حقق هولاكو هدفه الأول وهو القضاء على الاسماعيلية سار لتحقيق هدفه الثاني وهو القضاء على الخلافة العباسية ببغداد وقبل الخوض في تفاصيل حملة هولاكو هذه يجدر بنا أن نبين الحالة التي كانت سائدة في دولة الخلافة وحالة الخليفة نفسه:

1- كانت الخلافة العباسية قبيل حملة هولاكو قد تطاول عليها الزمن وأدركتها الشيخوخة. وفي الحقيقة كانت جذور الضعف قد امتدت في جسم هذه الدولة قبل ذلك بعده طويلاً بسبب سيطرة الفرس أو لا ثم غلبة الترك ثانياً منذ أن فتح لهم الخليفة المعتصم الباب على مصراعيه فأسأثروا بالنفوذ ولاشك أن تهاون العباسيين وانصرافهم عن العرب لمن أهم العوامل التي أدت إلى سقوط هيبة الخلافة . ثم أن تفكك الإدارة وشغب الموالى وتطاولهم على الخلافة واستئثارهم بالنفوذ والسلطة كان له أعظم الأثر في

و هن السلطة المركزية. وهكذا عاشت الدولة العباسية لتشهد انسلاخ الاطراف عنها واحداً بعد الآخر حتى إذا أقتربت نهايتها لم يبق لها غير القلب الذي صار ينبض في جسد عليل لا يكاد يتجاوز إقليم العراق. و خوزستان (الأحواز).

٢- كان الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين (٦٤٠-٦٥٦هـ) كما يصفه ابن طباطبا: رجلاً متدينًا لين الجانب سهل العريكة سهل الاخلاق ضعيف الوطأه، إلا أنه كان مستضعف الرأي ضعيف البطش، قليل الخبرة بأمور المملكة، مطموعاً فيه، غير مهيب في النفوس ولا مطلع على حقائق الأمر، ورغم ذلك فإن المستعصم كان يظن في نفسه القدرة على الصمود أمام الخطر المغولي المحدق به.

٣- كانت الأخبار تصل إلى الخليفة تباعاً باقتراب جيوش المغول ومع ذلك لم يتخذ الأئمه لمواجهة قاتل قبل أن يستفحلا أمرهم وخطرهم.

٤- لم يكن زمام الأمور في بغداد مركزاً في يد واحدة بل كانت هناك سلطات مختلفة متعارضة كل منها يجور على السلطة الأخرى ويتدخل في عملها فترتب على ذلك أن أتسعت شقة الخلاف بين هؤلاء الساسة واستحکم العداء بينهم خصوصاً بين مؤيد الدين ابن العلقمي ووزير المستعصم وبين مجاهد الدين آبيك (الدولة دار الصغير) فكان كل منهما يكيد للأخر عند الخليفة فكان له أثره السيء في ضطراب الأمور وتقويض سلطة الخليفة لأن مثل هذه التصرفات كانت تصدر عن غاية وهو لا عن خدمة حقيقة للدولة الإسلامية العربية.

٥- كان سكان بغداد من أهل السنة والشيعة والمسحيين واليهود وكان هؤلاء جميعاً في خلاف دائم حول المسائل الدينية والمذهبية كما كانوا يختلفون في الميول السياسية ولا شك أن مثل هذه الحالة كثيراً ما كانت تثير الفتن والمنازعات بين السكان . ويدرك المؤرخون أنه في أواخر عهد المستعصم

نشب قتال بين الشيعة وأهل السنة فعهد الخليفة إلى ابنه أبي بكر لفض هذا النزاع . فأغار أبو بكر على مقرات الشيعة في الكرخ وأرتكب كثيراً من الفضائع من قتل وسب وسفك للدماء فكان لهذا التصرف أسوأ الأثر في نفوس أبناء الشيعة فنقموا على المستعصم وعلى ابنه وقد أثار هذا الحادث كوامن الأحقاد على الدولة العباسية وتمنوا زوالها كما أن مؤيد الدين ابن العلقمي الذي كان محسوباً على الشيعة قد تألم جداً لوقوع هذا الحادث فيقال أنه كاتب المغول في ملك بغداد .

وجاء المغول عدة مرات في عهد المستعصم وحدثت مناوشات بينهم وبين جيوش الخليفة ولكنهم لم يوقفوا في الاستيلاء على بغداد حتى أوائل سنة ٥٦٦هـ ، وعندما صمم هولاكو على مهاجمة الاسماعيلية أرسل إلى الخليفة يطلب إليه أن يمده بجيش ليعاونه في القضاء على تلك الطائفة . فلما شاور الخليفة أتباعه حذروه أن يقدم على هذا العمل وأدخلوا في روعه إن هولاكو يريد بهذه الوسيلة أن تخلوا بغداد من الجيش حتى يسهل عليه أن يستولي عليها في أي وقت يشاء دون أن يجد صعوبة أو مشقة . فوافتهم الخليفة وأمتنع عن إرسال المدد إلى هولاكو . وعندما فرغ هولاكو من الاسماعيلية قصد همدان وأرسل إلى الخليفة رسولأ يحمل رسالة منه إليه مصاغه في قالب التهديد والوعيد لامتناعه عن إرسال المدد ولم يكن هذا الاحتياج في الواقع إلا ذريعة للمطالبة بالسلطة الزمنية التي سبق أن فتحت في بغداد لأمراء البوهين . ثم لسلطانين السلاجقة . يقول هولاكو في هذه الرسالة (لابد أنه قد وصل إلى سمعك على لسان الخاص والعام ما حدث للعالم على أيدي الجيوش المغولية منذ جنكيزخان وعلمت أية مذلة لحقت بأسر الخوارزميين والسلاجقة وملوك الديلم والاتبكة وغيرهم من كانوا أرباب العظمة وأصحاب الشوكة ، ومع ذلك لم يغلق باب بغداد قط في وجه أي طائفة من تلك الطوائف التي تولت هنا السيادة . فكيف يغلق هذا الباب في وجهنا رغم ما لنا من قدرة وسلطان ؟ . وقد نصحتك قبل هذا والآن نقول لك تجنب الحقد والخصام والضغينة ولا تحاول أن تقف في سبيلنا لأنك ستتعجب نفسك عيناً . ومع هذا فقد

مضى ما مضى فعليك أن تهدم الحصون وتطم الخنادق وتسلم ابنك المملكة ثم تتوجه لمقابلتنا، وإذا كنت لا تزيد ذلك فأرسللينا الوزير وسليمان شاه والدواء دار ليوصلوا رسالتنا إليك بغير زيادة ولا نقصان ، فإذا أطعك أمرنا فلا حقد ولا ضغينة ونبيك لك ولابنك وجيشك ورعيتك وإما إذا لم تنتصح وسلكت طريق الخلاف والجدال ، فأعد جيشك وعين جبهة القتال فإننا مستعدون لمحاربتك وأعلم إيني إذا غضبت عليك وقدت الجيش إلى بغداد فسوف لا تنجو مني ولو صعدت إلى السماء أو اختفيت في باطن الأرض. فإذا أردت أن تحفظ رأسك واسرتك فاستمع لنصيحي بسمع العقل والذكاء وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله.

فرد الخليفة بالرفض على التحذير الرسمي من المغول وعارض امبراطوريتهم بالسيادة الروحية للخلافة الإسلامية فقال: (يا أيها الشاب الغر الذي لم يخبر الأيام بعد والذي يتمنى قصر العمر والذي أغرته إقبال الأيام ومساعدة الظروف فتخيل نفسه مسيطراً على العالم وحسب من أمره قضاء مبرم وأمرٌ محكم . لماذا تطلب مني شيئاً لن تجده عندي؟ . ألا يعلم الأمير أنه من الشرق إلى الغرب ومن الملوك إلى الشحاذين ومن الشيوخ إلى الشباب ومن يؤمنون بالله ويعتنقون الأديان كلهم عبيد وهذا البلاط وجنود لي؟ . إنني حينما أشير بجمع الشتات سأبدأ بجسم ايران ثم أتوجه منها إلى توران وأضع كل شخص في موضعه وعندئذ سيسير وجه الأرض مملوءاً بالقلق والاضطراب غير إني لا أؤد الحقد والخصام ولا أن أشتري ضرر الناس وإيذائهم كما إني لا ابغى من وراء تردد الجيوش أن تلهج السنة الرعية بالمدح والقدح خصوصاً وإنني مع الخاقان وهو لا يكو قلب واحد ولسان واحد . فإذا كنت مثلي تزرع بذور المحبة فما شأنك بخنادق رعيته، وحصونهم؟ .

أسلك طريق الود وعد إلى خراسان وأن كنت تريد الحرب والقتال فلا تتوان
لحظة ولا تعتذر فإن لي ألوفاً مالفة من الفرسان والرجاله هم على أهبة الاستعداد
للقتال).

وإذا أمعنا النظر في رسالة الخليفة نجد إنه كان حريصاً على التهديد والوعيد أكثر من حرصه على المصالمة والمهادنة وربما كان يظن أن ذلك قد يرعب هولاكو و يجعله يفكر ملياً قبل أن يقدم على خطوته. ولكنه كان واهماً لم يكن له سند حقيقي من قوة حتى يمكنه أن يقف هذا الموقف المتشدد من قوم مغاربة جبابرة دخلوا الممالك وقضوا العروش في مدة قصيرة من الزمن ثم أنه إذا كان يعتمد على العالم الإسلامي الذي يدعى أنه رهن إشارته فقد أخطأه التوفيق وكذلك لأن المستعصم كان أول من يعلم حقيقة العالم الإسلامي في ذلك الوقت . كان يعلم أنه فقد أهم أجزاءه وأنه لا يزال يعاني الأثره والأنانية والتفكك والانحلال فلا يعقل أن يهرب لنجدهته مهما كانت الأسباب وكان من الطبيعي اذن إلا تجدي تلك التهديدات بل يكون لها على العكس أسوأ الأثر في نفس هولاكو فيصمم قبل كل شيء على فتح بغداد وهذا ما حدث بالفعل . وعندما وصلت رسالة الخليفة إلى هولاكو غضب غضباً شديداً وأعاد رسل الخليفة قائلاً لهم (إنني متوجه إلى بغداد بجيوش كالنمل والجراد فإذا تغيرت الأحوال فذلك تقدير الله العظيم) وعلى أثر ذلك أصدر هولاكو أمره بتحرك جيوش المغول من اطراف بلاد الروم عن طريق اربيل والموصل متوجه نحو بغداد لتحاصرها من الجهة الغربية وتنظر حتى تصل اليهم جيوش هولاكو من الناحية الشرقية أما (كيتوبوقا) أحسن قواد هولاكو فقد أتجه بالجناح إلى العاصمة العباسية عن طريق لرستان وخوزستان كما أنفذ إليها بعض أمراء المغول عن طريق كردستان واستطاع هولاكو أن يستميل إلى جانبه الاكراد سكان الأماكن الجبلية المتاخمة للعراق بواسطة الأموال التي كان يبذلها بينهم كما استطاع أن يضم إليه كثيراً من جنود سليمان شاه وكان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل والأتابك أبو بكر في إقليم فارس من أمدوا هولاكو بالمال والرجال .

أقام هولاكو معسكره في ظاهر بغداد من الشرق وقد حاول الجيش الصغير الذي أعده الخليفة بقيادة مجاهد الدين آبيك الدواه دار الصغير أن يحول دون استقرار المغول في أماكنهم فكان نصبيه الهزيمة المنكرة وقتل عدد كبير من الجنود لاقوا حتفهم على يد المغول فلم يسع مجاهد الدين إلا الهرب مع قليل من أتباعه . وفي

يوم الثلاثاء ٢٢ محرم أحكم الحصار حول مدينة بغداد واستمر حتى نهاية هذا الشهر وفي خلال تلك الفترة كان المغول يطلقون يد التخريب في المدينة ويفتحون الابراج حتى استولوا بهجماتهم على القسم الشرقي من التحصينات ولما رأى الخليفة حرج موقفه أراد أن يهدى المغول ويتبيهم عن عزمهم عن اتمام الفتح وذلك بارسال الرسل والهدايا ولكن هولاكو لم يستجب لهذا النداء وأرسل نصیر الدين الطوسي إلى الخليفة يأمره باحضار سليمان شاه والدواء دار فوجد نفسه مضطراً إلى اطاعة هذا الأمر وطلب إلى الشخصين المذكورين أن يذهبا لمقابلة هولاكو. فلا وصلاً اليه أعادهما إلى بغداد لاصطحاب اتباعهما وكل مل يخصهما بحجة إنهم سينفون جميعاً إلى مصر والشام فخرج معهما جند بغداد وكثير من السكان ضائنين أن ساعة الخلاص قد حانت فلما خرج هذا الجمع أمر هولاكو بقتلهم عن آخرهم . وفي يوم (٢ صفر) قتل الدواء دار الصغير وسليمان شاه مع سبعمائة شخص من اقاربه واتباعه وكذلك قتل تاج الدين ابن الدواء دار الكبير وارسلت رؤوس هؤلاء الثلاثة إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ليعلقها على أسوار مدینته ورغم أن بدر الدين كان صديقاً لسليمان شاه فإنه لم يكن في وسعة إلا أن يذرف الدموع وإنما أن يذعن للأمر فيتعلق الرؤوس خوفاً من بطيش هولاكو وتجنبأ لنفنته واستمر المغول يشنون على بغداد حرباً لا هوادة فيها فلم يبق أمام الحاضرين إلا أن يستسلموا وحاول جند الحامية الهرب فأدركهم المغول وقتلواهم عن آخرهم . وفي يم الاحد (٤ صفر سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م) ، خرج الخليفة من بغداد وسلم نفسه وعاصمته للمغول بلا قيد ولا شرط بعد أن وعده هولاكو بالأمان . وتنذر الروایة الشائعة أنه على اثر الهزيمة التي منى بها جيش الخليفة خرج الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي إلى هولاكو فتوثق نفسه وعاد إلى المعتصم وأخبره أن هولاكو يبقيه بالخلافة كما فعل سلطان الروم ويريد أن يزوج أبنته من ابنه أبي بكر وحسن له الخروج إلى هولاكو وخرج من بغداد ومعه أبناءه الثلاثة فلما وصلوا إلى هولاكو لم يبدأ اثراً للغضب بل أخذ يلطفهم ويطيب خاطرهم ثم طلب إلى الخليفة أن ينادي في الناس بالقاء أسلحتهم والخروج من المدينة لاحصائهم فلما

الى الناس أسلحتهم وخرجوا قتلوا جميعهم بعد ذلك أمر هولاكو بردم الخنادق وهدم أسوار المدينة كما أمر بإقامة جسر على نهر دجلة . وفي يوم (٧ صفر) أعلن الهجوم العام على المدينة وذلك بأن كلف القوات المغولية الموجودة في شرق بغداد بدخول المدينة من الشرق كما كلف القوات المغولية المرابطة على الشاطئ الغربي بعبور الجسر واقتحام المدينة من الغرب فدخلها هؤلاء وهؤلاء الآخرين وأتوا على كل ما فيها فخرموا المساجد بقصد الحصول على قبابها الذهبية وهمموا القبور بعد أن سلبوها ما فيها من تحف نادرة واباحوا القتل والنهب وسفك الدماء . يقدر المعتدلون من المؤرخين عدد القتلى (٨٠٠ ألف) واستمرت هذه الغارات على بغداد مدة أربعين يوماً وخربت أكثر الأبنية وجامع الخليفة ومشهد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وقبور الخلفاء ثم أصدر هولاكو أمره بالكاف عن القتل وينصرف كل شخص إلى عمله .

يقول ابن كثير : (ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامر والمقابر والقني كأنهم الموتى وأنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه وأخذهم الوباء الشديد ففانوا وتلاحقوا بمن سبقوهم من القتلى). أما عن الكيفية التي قتل بها الخليفة المستعصم . أختلفت المصادر فيها واكتفتها نوع من الغموض فنصر الدين الطوسي ورشيد الدين فضل الله لا يعطيان تفاصيل وافية عن تلك الحادثة وإنما يكتفيان بالقول : (إن هولاكو رحل من بغداد في يوم الابعاء (١٤ صفر) سنة ٦٥٦هـ وذلك نظراً لعفونة الهواء ونزل بقرية بالقرب من بغداد تدعى (وقف) حيث استدعي الخليفة وقضى عليه في ذلك اليوم) .

ويذكر أبو الفداء اختلاف الروايات حول كيفية قتل الخليفة المستعصم إظهاراً واضحاً حيث قال : (ولم يقع الاطلاع على كيفية قتلها فقيل خنق وقيل وضع في عجل ورفسوه حتى مات وقيل غرق في دجلة والظاهر ان روایة قتل المستعصم بوضعه في غرارة ثم رفسه إلى أن مات أشهر من غيرها من الروايات لورودها عند مؤرخين قرئي عهد لواقعه بغداد). ولكن بنا أن نتسائل لما اختار هولاكو هذه

الطريقة في قتل المستعصم وأمتنع عن إرافة دمه على الأرض؟ فقد قيل في تبرير ذلك ما يأتي:

١- صعب جداً على مستشاري هولاكو من المسلمين أن يراق دم الخليفة وهو أمير المؤمنين وزعيمهم الديني فحضروا هولاكو أن يقدم على تلك الفعلة حتى أنهم ليروون أن أحد المنجمين قال لهولاكو: (إذا قتل الخليفة يصير العالم أسود مظلماً وتظهر علامات القيامة). ولكن نصير الدين الطوسي نفى هذا الادعاء وأيد رأيه ببراهين عملية تثبت أن عدة خلفاء من بنى العباس قتلوا ولم يحدث خلل يذكر. وقيل كذلك أن بدر الدين لولو صاحب الموصل كان من المحرضين على قتل الخليفة فلما صمم هولاكو على قتله أحترز من أن يريق دمه فقتله بالطريقة سالفة الذكر.

٢- قتل المستعصم دون أن يراق دمه لا خوفاً من تحذير العلماء المسلمين وإنما جرياً على عادة المغول . وقد اشار إلى ذلك ابن خلدون إذ يقول: (وقد قبض على المستعصم فشذخ بالمعامل في عدل تجافياً عن سفك دمه بزعمهم ويدرك النويري في كتابه نهاية الارب. أن المغول لا يرغبون دم السلاطين والأمراء على الأرض الذين يحكم بقتلهم. ويظهر أن السبب الثاني هو الأرجح لأن المغول حتى في دفهم للمستعصم جروا على سننهم وتقليلدهم إذ دفونه في مكان مجهول وغفوا على أثر قبره، كما يقول ابن القوطي).

أبن العلقمي وسقوط بغداد

لابد لنا ونحن في صدد الاحتلال المغولي للعراق وسقوط بغداد بيدهم من ذكر الاشخاص الذين لعبوا دوراً هاماً في فتح بغداد وكان موقفهم محاطاً بالشكوك والشبهات ومثاراً للقيل والقال، ويأتي في مقدمة هؤلاء مؤيد الدين بن العلقمي الذي كان وزيراً للمستعصم أبان فتح بغداد.

كان ابن العلقمي يتولى الوزارة لل الخليفة المستعصم مدة أربع عشرة سنة فلما فتحت بغداد نصب وزيرًا في دولة المغول. وقد عرف عنه إنه كان من منتقى عصره، كما أشتهر بجودة الخط وبلاهة الأنشاء وكان ينظم الشعر ويحب الأدباء ويقرب العلماء ويجزل لهم العطاء فمدحوه بقصائدهم وصنفوا له الكتب كما كان وزيرًا كفؤًا خبيرًا بتبيير شؤون الملك. وكان المستعصم أول الامر يثق ويطمئن إليه، غير أن بعض حاشية الخليفة كانوا يكرهونه ويحسدونه ويوشون به، فلما رأى من نفسه العجز عن مقاومة هذا التيار تخاذل وكف يده عن أكثر الأمور لدرجة إنه نسب إليه إنه خان المستعصم وتوطأ مع هولاكو وشجعه على احتلال بغداد بل وحرضه على قتل الخليفة.

تميل مصادر كثيرة إلى اتهام ابن العلقمي بالخيانة صراحة وبندخله في أمر محاصرة بغداد لصالح المغول وتحريضهم على قتل الخليفة ويرجع السبب في ذلك إلى حادث نهب الكرخ وتخريب مشهد الإمام موسى الكاظم (ع) على يد أبي بكر بن المستعصم وما تبع ذلك من قسوة وإهانة لحقت الشيعة. فتأثير الوزير الشيعي أشد التأثير وصمم على أن يساعد هولاكو في الاستيلاء على بغداد والقضاء على الخلافة العباسية ولهذا قيل كان يرسل الرسل سرًا إلى هولاكو ليطلع المغول على ضعف الخليفة وليهون له من شأنه وليسهل لهم مهمة فتح بغداد. كما تذكر هذه المصادر المنقوله إنه لما حاول الخليفة أن يستعد لملاقاة جيش العدو قطع ابن العلقمي أرزاق الأجناد وثبط همة الخليفة وصرفه عن الاستعداد بحجة إنه رتب شؤون الصلح، إلى آخر هذه الوسائل التي أندفع بها الخليفة حتى سقطت بغداد لقمة سائحة في أيدي المغول.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أكثر من هذا ويتهمنون ابن العلقمي بأنه اثناء جهاد المسلمين في بغداد ضد المغول لم يتورع أن يصدر أمره في وقت المحنّة بفتح سد كان مقامًا على نهر يقع خارج بغداد، فغرق بسبب ذلك الكثيرون من جيش الخليفة.

وهناك قلة من المؤرخين دافعوا عن ابن العلقمي ويرؤه من تهمة الخيانة وألقوا التبعة كلها على ضف الخليفة وظلم ابنه أبي بكر ونفاق الأمراء وقواد الجيش وتنازعهم الواحد مع الآخر. علاوة على قولهم ان سقوط بغداد كان أمراً متوقعاً جداً بعد سقوط الدولة الخوارزمية المسلمة التي كانت تحكم أغلب أجزاء ایران بيد المغول وسقوط بلاد الاسماعيلية وقلاعهم المنيعة بيدهم أيضاً. وعلى أي حال فإن أغلب المصادر الإسلامية قد أدانت هذا الوزير ونعته بتهمة الخيانة وهي مصادر معتبرة وموثوقة بها.

وأخيراً على ضوء المصادر والقرائن السابقة نستطيع أن نقول: إن موقف ابن العلقمي لم يكن سليماً على الأطلاق ولكننا لا نستطيع أن نحمله التبعة كلها. بل نشرك معه الخليفة ورجال حاشيته الآخرين كما سبق أن بينا في شرح الاوضاع التي كانت قائمة في بغداد أيام الغزو المغولي. وبعد أن فرغ هولاكو من فتح بغداد وأسقط الخلافة العباسية فيها نظم شؤونها وتوجه إلى أذريجان حيث اختار مدينة مراغة في شمال هذا الإقليم عاصمة لملكه. كما أن الخزانة التي كانت تحوي الغنائم والأموال والنفائس التي أخذت من بغداد وقلاع الاسماعيلية والروم والكرج والأرمن وغيرها من البلاد فقد أرسلت إلى أذريجان ووضعت في قصر حسين أمر هولاكو بتشيده في إحدى جزائر بحيرة اورمية. وقد أرسل هولاكو إلى أخيه (منكو) كثيراً من التحف والأموال التي غنمها وهي تحمل بشرى الفتح والظفر والتصميم على التوجه للاستيلاء على ديار مصر والشام.

لقد أوقع سقوط بغداد العالم الإسلامي في فزع وذهول وحيرة فسارع حكامه المستضعون إلى الطاغية هولاكو يقدمون له فروض الطاعة والتهنئة ويتملقونه خوفاً من بطشه وانقاء لشره. فكان من حضر التهنئة في مراغة أتابك الموصل الهرم بدر الدين لؤلؤ وأرسل أبو بكر أتابك فارس ابنه للغرض نفسه. ووصل كذلك إلى معسكر هولاكو أثنان من سلاطين سلاجقة الروم هما الاخوان المتنافسان السلطان عز الدين كيكاووس الثاني والسلطان ركن الدين قلچ ارسلان الرابع . أما

عز الدين فكان يرتجف رعباً لأن جنوده حاولوا أن يصدوا أمام القائد المغولي (بايجونویان) فدحرهم بايجو فلما سقطت بغداد أحس عز الدين بحرج موقفه وخشي بطش هولاكو فحاول أن يخلص نفسه بتملق وخطب وذلة.

ولاشك أن هذا الموقف المخزي يصور لنا ما بلغه بعض حكام المسلمين من استذلال ومهانة.

نتائج سقوط بغداد:

لقد كان لحادثة سقوط بغداد وانتهاء الخلافة العباسية التي استمرت قائمة أكثر من خمسة قرون أسوأ الأثر في نفوس المسلمين جميعاً إذ يعد سقوطها من أكبر الواقع التي حدثت في التاريخ الإسلامي واعتبرت هذه المأساة لطمة فاسية وبلاء شديد سلط على رأس المسلمين نتائج خطيرة نوجزها بما يلي:

١- كان المسلمين يتطلعون إلى الخلافة على أنها رمز للممالك الإسلامية جميعها يجب أن يظل قائماً و كانوا ينظرون إلى الخليفة نظرة اجلال واحترام. وعلى هذا كان نفوذه الديني بعيد الأثر في نفوس المسلمين. فلما سقطت بغداد وقتل الخليفة قضى على هذا النفوذ وزال ما كان لتلك الخلافة من مكانة دينية محترمة.

٢- كانت بغداد قبل حملة المغول مركزاً للنشاط السياسي في جميع أنحاء الشرق الإسلامي يؤمها وفود الحكام والامراء المسلمين وكانت الروابط تربط بينها وبين مختلف العواصم. فلما سقطت في أيدي المغول صارت مدينة ثانوية يعين عليها (والي) وانتقل النشاط إلى مدن الشمال في اذربيجان فقدت بذلك بغداد أهميتها السياسية. ودخل الشرق الإسلامي عامة في عهد جديد ألت فيه السيطرة من بعد هولاكو إلى أبناءه الذين ساروا يستقلون تدريجياً عن المغول في قراقوز وأسسوا لأنفسهم دولة باسم (دولة الایلخانيين).

٣- كانت بغداد مركزاً هاماً للعلوم والاداب والفنون يهرب اليها العلماء وطلاب العلم للتزود بالثقافة الإسلامية التي كانت تمثل هناك بأجلى معاناتها. كانت بغداد غنية بعلمائها وأدبائها وفلاسفتها وشعرائها. وكان كل هؤلاء بمثابة أساتذة وقادة لرجال العلم والادب في مختلف أنحاء الشرق الإسلامي. فلما حلت النكبة ببغداد على يدي المغول قتل آلاف من العلماء والشعراء وشرد من نجا فلجاؤا إلى مصر والشام وغيرهما من البلدان وأحرقت المكتبات وخربت المدارس والمعاهد وقضى على الآثار الإسلامية التي تعب الفنانون المسلمين في ابداعها. كل هذا التراث المجيد قد أصبح في التراب أثراً منسياً . وخلاصة القول ان بغداد بعد أن سقطت بخارى ونيسابور والري وغيرها من مدن العلم والادب كان حقاً جنایة إنسانية كبيرة على الحضارة والثقافة.

٤- سقوط الخلافة. وخلوا الأرض من وجود خليفة يكون له المقام الروحي المرموق تأثر له المسلمون أشد التأثر فلما تولى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس عرش مصر بحث عن أحد افراد الاسرة العباسية ونصبه خليفة في مصر سنة ٦٥٩هـ. وهكذا قامت الخلافة العباسية في مصر وكان لها شبه سلطة روحية في مدينة القاهرة. وكان الظاهر بيبرس يرمي من وراء احياء الخلافة العباسية في مصر إلى أن يكسب سلطنته صفة شرعية بفضل التقليد الذي حصل عليه من الخليفة وأن يمد ملكه ويوسع سلطانه بمساعدته باعتباره حامي الدين. وقد استمر هذا الوضع قائماً في مصر إلى أن استولى عليها السلطان العثماني سليم الأول سنة ٩٢٣هـ. فألغى منها الخلافة العباسية.

٥- أدى سقوط بغداد إلى إثارة الحزن العميق والجزع الشديد في جميع أنحاء البلاد الإسلامية لأن معركة بغداد لم تكن في الحقيقة حدثاً عادياً يمكن أن يمر بسهولة بل كانت قضية الأمم الإسلامية والعربية جموعة التي أحسست

بالخطر الداهم خصوصاً بعد أن توقف قلبه وانتزعت منها عاصمة الخلافة العربية وأنفطرت عقد الوحدة الإسلامية . وأقبل المسلمين بعضهم على بعض يتساءلون ماذا عسى أن يكون الوضع بعد بغداد؟ إن الاعداء لازوا واقفين بالمرصاد يعتدون على الاوطان ويخربون الديار . وإذا كانوا بالأمس قد اسقطوا بعدها فإنهم اليوم يهددون دمشق والقاهرة . لقد جال هذا بخاطر كل مسلم ، فانفعلت كل نفس ، واهتز كل وجдан خاصة في نفوس الشعراة فإن هذا الحادث الجلل كان أشد وقعاً وأعظم تأثيراً فيهم فنظموا المراثي التي تشيع الأسى في النفس وتنثیر الشجون وكان من بين تلك المراثي مرثية وردت في تاريخ الإسلام للذهبي منها هذه الآيات:

لسائل الدمع عن بغداد اخبار	فما وقوفك والاحباب قد ساروا
يا زائرین إلى الزوراء لا تفدو	فما بذاك الحمى والدار ديار
تاج الخلافة والربع الذي شرفت	به المعالم قد عفاه اقفار
أضحي لعطف البلى في ربعه أثر	وللدموع على الآثار آثار

حملة المغول على الشام:

لما فرغ هولاكو من فتح قلاع الاسماعيلية والاستيلاء على بغداد بقي عليه وفق المنهج الذي رسمه له أخوه (منكوقاآن) ان يخضع الشام ومصر لسيطرته فوجه همه لاخضاع هذين البلدين . كانت الشام في ذلك الوقت تقاسماً لها سلطة الفرنج الصليبيين وسلطة الحكام المسلمين الذين كانوا يتمثلون في الأمراء الايوبيين وكانوا يحكمون في مدن ميافارقين وحصن كيما والكرك وحلب ودمشق وحمص وحماء، ومن المؤسف حقاً ان كل واحد من هؤلاء الأمراء كان يعتبر نفسه مستقلاً عن الآخر لا يربط بينهم وفاق . كما لا سلطان لأمير منهم على أمير بل كانوا في نزاع دائم وخلاف مستمر حتى في الوقت الذي بدأ فيه شبح المغول يظهر مخيفاً مرعباً بل ان هذا الخطر أصبح مائلاً للعيان على أثر فتح بغداد . ولو

قدر لهؤلؤ الامراء فاتحدوا في كثلة واحدة لتمكنوا أن يوجدوا سداً منيعاً يصدون به خطر المغول عن تلك البلاد . يقول ابن العبري أثناء تاريخه لحوادث سنة ٦٥٦هـ وفيها ((توجه الاشرف ابن الملك الغازي ابن الملك العادل صاحب ميافارقين الى الملك الناصر صاحب حلب يطلب منه نجدة ليمنع المغول من الدخول الى الشام . فأستخف برأيه ولم يسمع مشورته بل صرفه بكلام وسرحه من عنده بالأمان . ولم يقف الناصر عند هذا الحد من التخاذل بل أظهر الضعف والخنوع إذ نجده على اثر فتح بغداد يهادن المغول فيرسل ابنه العزيز الى هولاكو يحمل اليه الهدايا والتحف ويقدم صك العبودية عن طواعية و اختيار بل ويطلب العزيز على لسان ابيه أن يمدء بنجدة تساعدة في الاستيلاء على مصر وانتزاعها من المماليك . فلم يرض الامراء الآخرون على هذا السلوك فاظهروا العداء للملك الناصر . الأمر الذي دفعه الى الاستجاد بالمغول فكان هذا عاملاً مشجعاً لهولاكو على المسير الى تلك البلاد الى جانب عامل اخر شجع المغول على فتح الشام هو التحالف الذي تم بين الحكام النصارى في غرب اسيا من جهة وبي المغول من جهة أخرى وقد كان لزوجة هولاكو النصرانية والتي كان يؤثرها احترامه وحبه أكبر الأثر في توطيد أواصر الصداقة بين الزعماء الصليبيين وبين هولاكو . ويدرك أن خطة الحملة المغولية قد تقررت بعد لقاء تم بين هولاكو وهيتوم الاول ملك قيليقية وكان الخان قد طلب اليه أن يسير بجيشه الارمني الى (الرها) بحجة انه ذاuber لكي يخلص الارض المقدسة من يد المسلمين ويردها الى النصارى ففرح الملك هيتوم بهذا الخبر وجمع جيشاً كبيراً وانظم الى هولاكو . وهكذا أخذت حملة حفيد جنكيز خان الارمنية المغولية سمات الحرب الصليبية .

وعندما صمم هولاكو على غزو الشام أوفد رسلاه الى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يأمره بأن يرسل أبنته الملك الصالح نياهو عنه نظراً لكبر سنه لكي يصحب جيوش المغول أثناء حملته على الشام ومصر .

تحرك الجيش المغولي الكبير من أذربيجان قاصداً سوريا في شهر رمضان سنة ٦٥٧هـ، وكان يقود الطلائع القائد المغولي (كيتو بوفا) وكان بايجو وسنقر يقودان الجناح اليمين. أما الجناح اليسير فكان يقوده (سونجاق) وأخيراً القلب وكان يقوده هولاكو نفسه. كما أرسل أبنه (يسموت) مع (سونتاي نويان) لمحاصرة ميافارقين وعهد إلى الملك الصالح بن بدر الدين لولو بفتح (آمد).

ابتدأت الحملة على سوريا بغارة محلية ضد امارة ميافارقين بديار بكر، وكانت في ذلك الوقت تحت سيطرة أحد الامراء الايوبيين المسمى (الملك الكامل) محمد بن الملك المظفر بن العادل اي بكر بن ايوب. وكان مما أخذه المغول على الملك الكامل انه بعصبه صلب قسيساً يعقوبياً قدم بلاده وكان يحمل جواز مرور مغولي. فعهد هولاكو الى الامراء يسموت وليلكا نويان وسونتاي بالاستيلاء على نيافارقين فلما اقتربوا منها أرسلوا رسالهم الى الملك الكامل يدعونه الى الانقاذ والطاعة. فأخبرهم بأنهم يحاولون عبئاً لأنه سوف لا ينخدع باقولهم المعسولة ولن يعتمد على وعدهم بل سيمتشق الحسام ضدتهم مادام على قيد الحياة وهكذا استقر الرأي على القتال. وتوجه الملك الكامل الى أفراد شعبه مقوياً من عزيمتهم فقال: ((انني لم اضع الفضة والذهب والغلات التي توجد في المخازن بل سأؤثر بها المحتججين فلست بحمد الله مثل المستعصم عبداً للدينار والدرهم فإنه قد اسلم رأسه وملك بغداد الى الهاك. بسبب بخله وشحه فأنضم اليه جميع السكان وصاروا رهن اشارته في الاشتراك في المعركة.

حاصر المغول ميافارقين واشتركت معهم فرقة ارمنية نصرانية وقد استمر الحصار مدة عامين أظهر خلالهما المدافعون عن المدينة ضربوا من الشجاعة المنقطعة النظير وكان هناك في جيش الملك الكامل فارسان بار عان دوحا المغول وأوقعواهم في الدهشة والخيرة . إذ كانت بسالتهموا واحكمهموا الرماية سبياً في إزالة أفدح الخسائر في الجيش المغولي ولكن نظراً لطول الحصار نفذت عند المدافعين الأرزاق وعم القحط وانتشر الوباء واضطر الناس الى أن يأكل بعضهم

بعضًا. حتى هلك أكثر سكان المدينة ولما تأكد الملك الكامل أن المقاومة أصبحت عديمة الجدوى استسلم للمغول فقتلوه شر قتلة إذ كانوا يقطعون لحمه قطعًا ويدفعون هذه القطع إلى فمه حتى مات ثم قطعوا رأسه وحملوه على رمح وطاووا به في البلاد السورية الكبيرة وكان يتقدم موكب الرأس مغنوون وطبالون وأخيراً علق في شبكة سور باب الفردس بدمشق.

بعد فتح میافارقين تقدموا إلى ماردين وكانت في قبضة الملك السعيد الذي أبى إلا أن يقاوم فاستمر المغول يحاصرونها مدة ثمانية أشهر دون أن ينجحوا في احتلالها وأخيراً حاول أحد أبناء الملك السعيد أن يثنى إباه عن عزمه ويحمله على التسلیم للمغول فلما لم يفلح قتل أبيه خنقاً لدماء المسلمين فتخلص منه وسلم القلعة للمغول فنصبوه والياً على ماردين بدلاً من أبيه.

وفي أثناء حصار میافارقين كان هولاكو يغزو الامارات الاسلامية في سوريا إذ نزل من كردستان إلى الجزيرة واستولى على نصبيين واستسلمت له حران والرها. وقتل أهالي سروج عن آخرهم لأنهم قاوموه ثم أحتل البيره وعبر نهر الفرات وأغار على منبج حيث سفك دماء الكثرين من أهلها. وفي (٢ صفر سنة ٦٥٧هـ) سار الجيش المغولي بقوده هولاكو بنفسه ويعاونه الأرمن والفرنج وأبدأ بحصار حلب وارسل إلى ولديها الملك المعظم تورانشاه يطلب إليه أن يسلمه البلد ووعد بأن يؤمنه ويؤمن أتباعه فلم يجده تورانشاه إلى طلبه وصم على محاربته. أما السلطان الناصر صاحب حلب فبدل أن يبقى ليدافع عن المدينة أثر الهرب إلى دمشق فحمل عنه عباء الدفاع الملك المعظم تورانشاه وفي ذلك الوقت كان رئيس أساقفة حلب هو المؤرخ ابن العبری فسارع إلى المغول وقدم طاعته لهولاكو.

نصب المغول عشرين منجنقاً (مدافع) حول المدينة وصاروا يمطرونها بوايل من قذائفهم إلى أن اضطررت إلى التسلیم. فاستباحوها سبعة أيام قتلوا خلالها خلقاً كثيراً امتلأت بهم الطرقات وأسرروا النساء والذرية ونهبوا الاموال. أما قلعة حلب فقد استعصت عليهم واستمرت تقاوم مدة ثلاثة يوماً ثم سلمت في النهاية. بعد

ذلك رحل المغول الى قلعة حارم ولكن أهلها أبوا أن يسلموها لغير فخر الدين المعروف بالساقی والي قلعة حلب فغضب عليه هو لاکو ولكنه ظاهر بالنزول على رغبهم واستدعى فخر الدين حتى اذا سلمت اليه القلعة أمر هو لاکو بالسكن فقتلوا عن اخرهم ومعهم اطفالهم وزوجاتم وكذلك سقطت بأيدي المغول.

حماة وحمص والمعرة:

ونتيجة لهذه الانتصارات السريعة الحاسمة وما صاحبها من قتل وتشريد وتخريب وتدمر عم الربع في كل بلاد سوريا فسارع الامراء الاخرون بتقديم فروض الطاعة للمغول . فكان منمن جاء إلى هو لاکو وهو عند اسوار حلب الايوبي الاشرف موسى ملك حمص سابقاً وكان الناصر قد أنتزعها منه سنة ٦٤٦ هـ ، فأعادها هو لاکو اليه . وعندما تقدم المغول نحو دمشق كان المدافعون عنها قد هجروها كما ان الملك الناصر لم يحاول أن يحمي المدينة إذ كان قد فر إلى مصر عندما سمع بسقوط حلب أما أهالي دمشق فقد عرفوا ما حل بمدينة حلب وكانوا يخشون أن يلقوا نفس المصير اذا حاولوا مقاومتهم ولهذا سارع ذوو الرأي والوجهاء منهم إلى هو لاکو وقدموا له الهدايا والتحف وسلموه مفاتيح المدينة وأظهروا له الانقياد والطاعة . فدخل المغول المدينة دون إراقة الدماء ولكن أمتنعت عليهم قلعة دمشق فحاصروها واقاموا عليها المجانق إلى أن استسلمت لهم ونهبوا جميع ما فيها وخلال الاسابيع الثلاثة التي أعقبت فتح دمشق أتم المغول فتح سوريا وقتلوا حامية نابلس لأنهم قاوموا ثم تقدموا إلى غزة دون ان يلقوا مقاومة تذكر وكذلك استسلمت لهم حامية عجلون .

ساحت للنصارى الفرصة للتشفي والانتقام من المسلمين على أثر فتح دمشق فنظموا مواكب عامة كانوا ينشدون فيها الاناشيد ويحملون الصليبان ويجبرون المسلمين على أن يقوموا احتراماً لها ومن يمتنع منهم كان يتعرض للسب والشتائم والاهانة . وبلغ بهم التحدي أقصاه فدقوا النواقيس وتظاهروا بالخمر في رمضان ورشهو على ثياب المسلمين في الطرقات كما صبوه على أبواب المساجد ولم

يستثنوا حتى الجامع الاموي ، فضجر المسلمين من تلك الفعال ورفعوا شعارات إلى كيتوبيقا نائب هولاكو فلم يحفل بهم بل أهانهم وضرب بعضهم في الوقت الذي أخذ يزور الكنائس ويعظم رجال الدين النصارى.

حملة المغول على مصر:

لقد تبين لنا مما تقدم أن المغول قد تمكنوا في مدة يسيرة أن يستولوا على معظم أقاليم العالم الإسلامي المعروف آنئذ وتوغلوا في ممالكه يفكرون ويهتكون ويسفكون الدماء ويطحمن العروش . وقضوا على قلاع الاسماعيلية وسقطت بغداد في أيديهم واستولوا على بلاد الروم وديار بكر وديار ربيعة وأخضعوا الشام باسره ولم يبقى أمامهم إلا مصر آخر معلم للإسلام في الشرق.

ولقد كانت هذه الانتصارات المتتابعة التي احرزها المغول قد حيرت الناس وتركت في نفوسهم اثراً عميقاً وجعلتهم يعتقدون ان هؤلاء المغول إنما هم بلاء من الله سلطه على المسلمين ولن تستطيع قوة على ظهر الأرض أن توقف أمامهم ولكن فجأة وقعت حادثة قطعت هذا الاعتقاد وقلبته هذه الفكرة رأساً على عقب إذ وصلت الاخبار إلى هولاكو بتبيء بوفاة أخيه الأكبر (منكوفا آن) في الصين سنة ٦٥٥هـ ويتنازع أخيه الآخرين (قوبيلاي) و (اريق بوكا) ولاية العرش. وبالرغم من أن هولاكو هو الآن الابن الرابع لتولوي، ومن حقه أن ينافس أخيه الآخرين في تولي عرش المغول، غير أنه عدل عن ذلك بسبب ما تهيء له من الفتح والظفر في ايران وال العراق والشام ولكنه في الوقت نفسه كان يرى أن أخيه (قوبيلاي) أجدى بتولي هذا المنصب من أخيه الآخر اريق بوكا لهذا كان حريصاً على أن يحضر القوريلتاي (مجلس الشورى) ليزكي ترشيح أخيه قوبلاي خاناً أعظم. ومن ناحية أخرى كان هولاكو يعلم أنه مهدد من جهة الحدود القوقازية من قبل ابن عمه (بركة خان) الذي كان يحكم في القبجاق، خصوصاً وأنه كان قد اعتنق الإسلام وصار يتوعد هولاكو بالانتقام منه بسبب ما اقترفه من مذابح راح فيها ألف من الصهايا المسلمين ولتجزؤه على مقام الخليفة وقتل الخليفة.

أضطر هولاكو إلى العودة إلى ایران للسبعين المذكورين وكان في نيته أن يكتفي بما تم من فتح ولا يترك خلفاً له يكمل برنامجه في الاستيلاء على فلسطين ومصر. غير أن الحاج النصارى وفي مقدمتهم هیتوم ملك أرمينيا جعل هولاكو يوافق على أن يترك قائد (کیتو بوقا) وتحت أمرته عشرة آلاف مقاتل لإتمام هذا المشروع. كما عهد هولاكو إلى هذا القائد بإدارة شؤون الحكم في سوريا.

لقد كان القائد (کیتو بوقا) يكن أحسن التوابا للنصارى لا لأنه كان يدين بالنصرانية فحسب بل لأنه فيما يبدو قد فهم المصلحة من قيام حلف صليبي مغولي . وبالرغم من أن بوهيموند السادس ملك انطاكيا كان يشارك کیتو بوقا هذا الشعور فإن بارونات عكا ظلوا ينتظرون إلى المغول كبرابرة لا يمكن أن يفضلوا في نظرهم المسلمين . وحدث أن هاجم أحد هؤلاء البارونات المسمى (الكونت جوليان الصيداوي) دورية مغولية وقتل ابن أخي کیتو بوقا فسقط المغول وتألموا جداً بسبب وقوع هذا الحادث وتوجهوا لتخریب صيدا فكان هذا ایذاناً بانهاء الحلف الصريح أو الضمني بين الفرنج الصليبيين والمغول . ونتيجة لهذا التناقض عادت المسلمين في مصر شجاعتهم وتفهم بأنفسهم وكان على المغول أن يدرکوا انه إذا كانت سلطة حلب ودمشق قد سقطت في أيديهم فإنه قد بقي عليهم أن يغلبوا قوة اسلامية عظيمة هي قوة المماليك أصحاب السيطرة والقوة في مصر . وفي هذه الفترة التي تتحدث عنها كان السلطان المملوكي (قطز) ثالث هؤلاء المماليك هو الذي يحكم في القاهرة . لقد دخلت العلاقات بين المغول والمماليك في مرحلة حرجة حينما أرسل هولاكو قبل أن يترك الشام في سنة ٦٥٨هـ رسلاً يحملون رسالة إلى السلطان قطز تتضمن كل معانٍ التهديد والوعيد يدعوه فيها إلى الاستسلام وتقديم فروض الطاعة للمغول . يقول في هذه الرسالة: ((من ملك الملوك شرقاً وغرباً الاعظم . باسمك اللهم باسط الارض ورافع السماء يعلم الملك المظفر قطز الذي من جنس المماليك الذين هربوا من سيفونا إلى هذا الإقليم (يسير هنا إلى أصل قطز محمود ابن مودود وامه اخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه وابوه ابن عم السلطان جلال الدين وكان قد أسر في حروب التتر وبيع بدمشق

للسلطان الملك المعز آییک ثم انتقل إلى القاهرة). يتعمون بانعامه ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك يعلم الملك المظفر قطر وسائر امراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الاعمال . انا نحن جند الله في ارضه خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه . فلهم بجميع البلاد معنبر وعن عزمنا مزدجر فاتعظوا بغيركم واسلموا علينا امركم. قبل ان ينكشف الغطاء فتدموا ويعود عليكم الخطأ فحنن ما نرحم من بكى ولا نرق لمن شكي فلا تطيلوا الخطاب واسرعوا برد الجواب قبل أن تضرم الحرب نارها وترمي نحوكم شرارها فلا تجدون منا جاهماً ولا عزاً، ولا كافياً ولا حرزاً وتدهنون منا بأعظم داهية وتصبح بلادكم منكم خالية فقد انصفناكم إذ راسلناكم وأيقضناكم إذ حذرناكم فما بقي لنا مقصد سواكم والسلام علينا وعليكم وعلى من اطاع الهدى وخشية عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى).

إلا قل لمصر هاهلون⁽¹⁾ قد اتى

بحد سیوف تتنضی وبواتر
يصیر أعز القوم منها أذلة

ویلحق اطفالاً لهم بالأکابر

فلما وصل رسل هولاكو إلى القاهرة وتسلم قطر تلك الرسالة استدعي الامراء وتشاور معهم فاستقر الرأي على قتل الرسل والمسير للقتال ذلك لأنه أدرك ان الظروف قد أصبحت ملائمة وان كيتوبيقا بجيشه الذي لا يزيد على عشرة الاف جندي بعد رحيل هولاكو بمعظم الجيش لم يكن ليستطيع أن يحتفظ بفتحاته إلا عن طريق تحالفه بالفرنج النازلين على الشاطئ وما دام هؤلاء الفرنج قد نفروا ايديهم من هذا الحلف فقد أصبحت الفرصة مؤاتية للوقوف أمام الغزارة وقفه موقفة بل صار الأمل كبيراً في الانتصار عليهم.

ومع هذا فعندما جد الجد واستعد قطر للمسير إلى القتال نكس جماعة من الامراء على أعقابهم وابدوا تكاسلاً وختنواً وخوفاً بحجة انه لا طاقة لهم

(۱) هاهلون: صيغة لاسم هولاكو ترد في كتب المؤرخين.

بمقاومة المغول فما كان من قطز إلا أن توجه اليهم بناك الكلمات اللاذعة التي ألهبت مشاعرهم وقوت عزيمتهم وجعلتهم يطربون الجن وراء ظهورهم ويصارعون إلى نصرة قائدھم وتأييده: (يا أمراء المسلمين لكم زمان تأكلون أموال بيت المال وأنتم للغزاة كارهون وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته فإن الله مطلع عليه وخطئة حريم المسلمين في رقاب المسلمين). فتكلم الامراء الذين تخيرهم وخلفهم في مرافقته على المسير فلم يسع البقية إلا الموافقة وأنفض الجميع . وعلى هذا التصميم تقدمت طلائع المصريين يقودهم الامير بيرس البندداري قاصدين فلسطين، بينما كانت الحامية المغولية الصغيرة بقيادة (بایدر) تحتل غزة فلقيها بيرس ودمراها بعدها السوفير وأجلها حتى شاطئ نهر العاصي. أما الفرنج في عكا فإنهم بدلاً من أن يتقوا مع كيتو بوقا سمحوا للمصريين بأن يعبروا ارضهم ويمونوا أنفسهم منها عند أسوار عكا.

يقول المقرizi: (ثم نزل السلطان بالعساكر إلى غزة وأقام بها يوماً ثم رحل من طريق الساحل على مدينة عكا وبها يومئذ الفرنج فخرجوا إليه بتقادم وأرادوا أن يسيروا معه نجدة فشكرهم وأخلع عليهم واستخلفهم أن يكونوا لا له ولا عليه واقسم لهم أنه متى تبعه منهم فارس أو رجل يريد أذى عسكر المسلمين رجع وقائهم قبل أن يلقي التتر).

ولاشك ان السماح للجيش المصري باتخاذ الطريق الساحلي الذي كان في أيدي الصليبيين واحتشاد هذا الجيش هناك بفضل تموين الفرنج لهم كان ميزة كبيرة تتمتع بها المصريون إذ أتاحت لهم فرصة ذهبية للقاء العدو وهم على أتم الاستعداد هذا فضلاً عن كثرتهم العددية بالقياس إلى جيش المغول.

معركة عین جالوت:

عندما علم القائد المغولي (كيتو بوقا) باندحار (بایدر) صار يغلي كالمرجل من الغضب وتقدم للانتقام واثقاً من نفسه مزهوأ بقوته معتمداً على ان

الجيش المغولي لا يمكن أن يكسر أو يقهر فتجمع المصريون عند أسوار عكا كما ذكرنا آنفاً ثم اتجهوا عبر بلاد الفرنجة نحو نهر الاردن وتقدم (كيلوبقا^٩ ومعه بعض النجادات الارمنية فالنقي الجمعان عند عين جالوت (وهي بلدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين) في يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ٦٥٨ - ١٢٦٠م، حيث دارت الحرب بين الفريقين فأسفرت المعركة عن هزيمة المغول هزيمة منكرة لأول مرة في تاريخهم بعد ان كانت القلوب قد يئست من النصر عليهم باستيلائهم على معظم البلاد الإسلامية وأنهم ما قصدوا أقليماً إلا فتحوه ولا عسكراً إلا هزموا إلى أن كانت هذه الواقعة التي رجحت فيها كفة المصريين إذ استطاعوا ان ينتصروا من المغول شر انقاوم فقتلوا عدداً كبيراً منهم وتعلق من سلم برجوس الجبال فتبعهم المسلمون واقنواهم وطاردوا من هرب إلى أطراف البلاد الشرفة.

وقد وقع قائد المغول (كيتبوقا) اسيراً في قبضة المسلمين بعدما أبدى في هذه الموقعة من ضروب الشجاعة والتضحية ما يجل عن الوصف ثم احضر أمام السلطان قطز الذي قال له بشف: (ايها الرجل الناكم العهد ها انت بعد ان سفكت كثيراً من الدماء البريئة وقضيت على الابطال والعظماء بالوعود الكاذبة وهدمت البيوتات العريقة بالاقوال الزائفه المزورة قد وقعت أخيراً في الشرك).

فرد عليه القائد المغولي رداً في غاية الجرأة والقوة غير أبه بما ينتظره من مصير مخيف على يد قطر (أني إذا قتلت على يدك فإني أعلم أن ذلك من الله لا منك فلا تخدع بهذه المادفة العاجلة ولا بهذا الغرور العابر فإنه حين يبلغ هولاكو خان نباً وفاتي سوف يغلي بحر غضبه وستطأ سنابك خيل المغول البلاد من اذريجان حتى ديار مصر ان لهولاكو خان ثلاثة الف فارس مثل كيتوبوغا فأفرض انه نقص واحد منهم) فقال له قطر (لاتختر إلى هذا الحد بفرسان توران فإنهم يزألون أعمالهم بالمكر والخداع لا بالرجلة والشهامة). وكانت اخر صيحة لكيتوبوغا أن سب هؤلاء السلاطين المماليك الذين ترفعهم الصدف والذين يَخذون

قتل سادتهم وسيلة للوصول إلى الملك. ثم أشاد بالوفاء المغولي ومدى احترام المغول للقانون فقال: (أني كنت عبداً للملك ما حبيت ولست مثلك ماكراً وغادراً وقائلاً لمولاه. بادر بالقضاء على بأسرع ما يمكن حتى لا أسمع تأنيك). فأصدر قطز امره على الفور فاحتز رأس القائد المغولي وطيف به في البلاد.

تابع قطز سيره بالجيش حتى دخل دمشق دخول الظافر المنتصر وقد دفع النصارى بهذه المدينة الثمن غالياً بسبب عطفهم السابق على المغول لما اقترفوه من آثام ضد الاهالي المسلمين على أثر انتصار المغول وبهذا النصر دخلت الامارات الإسلامية في سوريا من الفرات إلى حدود مصر تحت حكم المماليك وقد حاول المغول أن يستعيدوا مركزهم مرة اخرى فدخلت فرقة منهم أرض سوريا من جديد ونهبت إقليم حلب إلا أنها سرعان ما ردت على أعقابها بعد لقاء قرب حمص فعادت ادراجها شرقى الفرات.

استعدت القاهرة لاستقبال الملك المظفر قطز وأخذت المدينة زخرفها وزينت ليلى القائد العظيم ثمرة انتصاره. ولكن لم تك قدمه نطاً أرض الوطن حتى راح ضحية الغدر على يد (رکن الدين بیرس) في ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ. ذلك لأن بیرس كان يشعر بأنه قد أبلى بلاء حسناً في معركة عین جالوت فكان يأمل أن يقطعه السلطان (قطز) حلب حتى إذا خاب رجاؤه عول على الانتقام منه فقتلته واعتلى عرش مصر وتلقب بلقب الظاهر ولكن مما عزى الامة الإسلامية عن فقد هذا البطل هو ان الظاهر نفسه كان قائداً عبقرياً أثبت كفاءة ومقدرة في حروبه ضد المغول والانتصار عليهم المرة تلو الاخرى.

نتائج عین جالوت:

لقد كانت موقعة عین جالوت أحد الوقائع المهمة ليس في تاريخ مصر والشام فحسب بل في تاريخ العالم الإسلامي بأسره وذلك لما ترتب عليها من نتائج بالغة الاممية نوجزها فيما يأتي:

١- كانت بمثابة سد منيع حال دون تقدم المغول إلى مصر. ورغم ان الهزيمة لم تلحق بشخص هولاكو إلا أنها كانت على كل حال ضربة قاسمة وحاسمة أزلتها قطر بجيوش المغول التي لم تكن تعرف الهزيمة من قبل. ولاشك ان ذلك الانكسار بالإضافة إلى قتل القائد المغولي كيتوبوغا يعد صدمة عنيفة اصابت هولاكو الذي صمم على الانتقام ولكن الظروف لم تمكنه من ذلك.

٢- توطدت العلاقات بين الحكم المغول من المسلمين في القباق و بين المماليك في مصر و تحالف الفريقيان ضد عدوهما المشترك الذي كان يتمثل في اسرة هولاكو بايران وكان من جراء ذلك انتشار الإسلام بين سكان تلك المناطق.

٣- تبدو أهمية هذه المعركة على وجه الخصوص إذا ما تصورنا أنها جاءت بنتيجة عكسية وانتصر فيها المغول اذن لسقط آخر معقل الإسلام في مصر و فلسطين خصوصاً و ان الصليبيين كانوا يقفون بالمرصاد للMuslimين فهم يحثون المغول و يتحالفون معهم غي سبب القضاء على الإسلام والMuslimين فلولا هذا النصر المبين لكان الإسلام مقتضاً عليه بالفناء. ولتغير مجرى سير التاريخ الإسلامي.

٤- بعث هذا الانتصار روحًا جديدة في المسلمين ولاسيما الذين تحملوا وطأة الغزو المغولي و خضعت بلدانهم لسيطرة وسلطة المغول من لاقوا صنوفاً من العذاب والاضطهاد والتشريد فقوى موقفهم واستطاعوا ان يصمدوا امام مناوراة النصارى واليهود وينافسونهم في تبوع الزعامة والصداره في دولة الايخلنبيين وصاروا يشرحون للحكام المغول تعاليم الإسلام العظيم ويرغبونهم في اعتناقها حتى تكللت مساعيهم بالنجاح واصبح الإسلام ديناً رسمياً للدولة الإلخانية.

٥- أسفرت هذه المعركة عن فشل ذريع لسلسلة الصليبيين في الشرق والغرب ومنحت مصر مركز الزعامة في العالم الإسلامي فكان ينظر إليها دائمًا في تلك العصور على أنها الدولة الوحيدة التي استطاعت أن تنتصر على عدوين خطرين الصليبيين من جهة والمغول من جهة أخرى.

ولنا أخيراً أن نسجل بمداد الاعتزاز والتقدیر الاكبار والاحترام لشجاعة وبسالة القائدين الكبيرين قطز وببرس وابناعهما لما أدوه من جليل الخدمات للعالم الإسلامي بوجه عام ولسوريا ومصر بوجه خاص فقد جنبا مصر وبلاد الغزو الذي عطل سير التطور التفافي والفكري في دنيا الإسلام.

يقول سيديو في كتابه (تاریخ العرب العام): (وَجَدَ الْمَغْوُلُوْنَ حِينَما أَغَارُوا عَلَى سُورِيَا فِي النَّصْفِ الْآخِرِ مِنَ الْقَرْنِ الْثَالِثِ عَشَرَ فِي مَقَاوِمَةِ الْمَمَالِكِ وَشَجَاعَتِهِمْ حَاجِزاً يَتَعَذَّرُ اقْتَحَامُهُ وَأَنْضَمَتْ عَدَةُ قَبَائِلُ عَرَبِيَّةٍ إِلَى الْجَيُوشِ الْمَصْرِيَّةِ فَسَاعَدَتْهَا عَلَى نَيلِ النَّصْرِ وَلَمْ يَتَرَدَّ بِبِرِّسُ الَّذِي هُوَ أَشْهَرُ مُلُوكِ الْمَمَالِكِ الْبَحْرِيَّةِ فِي الظَّهُورِ بِمَظَاهِرِ الْمَدَافِعِ عَنِ الْإِسْلَامِ عَلَى حِينٍ لَمْ يَفْكِرْ أَمِيرُ باسِيَا فِي النَّهْوِ عَنِ الظَّاهِرِ سِيَاسِيًّا مَحْنَكًا كَمَا كَانَ قَائِدًا مُمْتَازًا).

وللتذليل على ما تعرّضت له البلاد التي شملها الغزو المغولي من سلب ونهب وقتل وتشريد واباحة وهم وتحريق وتحطيم وتخريب أن نورد نبذة مما كتبه المؤرخ المحقق عز الدين ابن الاثير في كامله إذ يقول: (لقد بقيت عدة سنين معرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها كارها بذكرها فأنا أقدم اليها رجلاً وأوخر أخرى فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت امي لم تلدني ويا ليتني مت قبل هذا و كنت نسيًا منسياً إلا اني حثي جماعة من الاصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ثم رأيت ان ترك ذلك لا يجدي نفعاً فنقول: (هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقفت الايام واليالي عن مثلها عمت الخالق وخصت المسلمين فلو قال قائل: ان العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا

بمثلاً لكان صادقاً فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلا أن ينقرض العالم وتقى الدنيا إلا ياجوج ومأجوج. وأما الدجال فإنه يبقى على من أتبعه ويهلك من خالقه وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنحة فإن الله وإنما إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح).

ويذكر المؤلف صاحب هذا الكتاب عن حملة هولاكو على بغداد بصورة مختصرة فيها ما خفي عن قبلها في كتابه (وماذا بعد يابغداد) توخيًا لزيادة المعلومات فأرتأى ذلك البحث وهذا نصه: (عرف المغول قبل جنكيز خان باسم (التتار) وقد وردت هذه التسمية في نقوش أرخون في القرن الثامن الميلادي وكانوا ينقسمون إلى قسمين الأول يتالف من (٩) قبائل والآخر يتالف من ثلاثة قبيلة^١، وعاش المغول في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي الممتدة في أواسط جنوب سيبيريا وشمال التبت وغربي منشوريا وشرقي التركستان.

وقد مارس المغول الرمي والصيد والواقع ان تاريخ المغول السياسي بدأ مع ظهور جنكيز خان الذي نجح في استقطاب جموع المغول وربطهم بتنظيمات سياسية قدر لها الاستمرار بفضل مهارته وحسن قيادته حتى بعد وفاته . بدأ جنكيز خان اجتياحه لأقاليم العالم الإسلامي منذ عام (١٢١٩م) ففي هذه السنة تدفقت جيوشه على دولة خوارزم فسيطر ولده جورجي على القسم الغربي في بلاد ما وراء النهر وأما جنكيز خان نفسه فقد زحف بالجيش الرئيسي نحو بخاري فأحدث فيها مجزرة رهيبة تحولت المدينة إلى رماد^٢ . وأما سمر قند استسلمت في يوم عاشوراء سنة (١٢٢٠م) بعد حصار قصير وأصبحت الطرق ممهدة إلى خراسان

^١ در.رشيد الجبلي، المورد، ص.٦٠.

^٢ الخليفة المستنصر بالله أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله ولد سنة (١١٩٠م).

وبقية الولايات بعد احتلال المدن وتخربيها أما جنكيز خان فقد عاد إلى منغوليا في سنة (١٢٢٣م) حيث مات بعد أربعة أيام ولم يتم انتخاب ولده وخليفته (أو عوناي) إلا في سنة (٦٢٦هـ) ولقد كان سقوط الدولة الخوارزمية واحتفاء جلال الدين قد أتاح للملعون التوسيع السريع نحو الغرب فوصلوا ديار بكر وأمد وميافارقين وبلغوا الجزيرة وحران وتعرضت الموصل واربيل ودقوق إلى هجماتهم وأصبح الطريق ممهداً أمامهم نحو عاصمة الخلافة بغداد وقد كانت سياسة المستنصر بالله تقوم على محالة استرضاء المغلول ومصالحتهم إلا أن هولاكو استعد للزحف نحو بغداد ووصل هولاكو إلى أسوار بغداد والنقي جيش الخليفة المستعصم بالله بطلاع المغلول بالقرب من قنطرة باب البصرة وكانت قوة المغلول المتقدمة تقدر بعشرة آلاف مقاتل وكان المغلول يحاولون سحب القوات الإسلامية إلى خارج بغداد لغرض إرسال قوة مغولية لتدمر الجسور والقنطرات والسدود لغرض إغراق الارضي وحصر قوات الخليفة ونبع المغلول في تحقيق ذلك واستولوا على الضفة الغربية لنهر دجلة وقاموا بتطبيق الحصار على بغداد لمنعهم من الهروب فقرر الخليفة ايفاد وزيره ابن العلقمي وجاثليق المسيحي النساطرة إلى هولاكو لاقناعه بالكف عن القتال وعقد الصلح غير أن هولاكو لم يلتفت إلى ذلك واستمرت الحرب بين الطرفين ولم يلبث الخليفة المستعصم أن أعلن الاستسلام وارسل الهدايا إلى هولاكو ولم يكف هولاكو من القتل ولم يجد الخليفة بدأ من الخروج لمقابلة هولاكو وخرج معه أولاده وأهله وطلب هولاكو من الخليفة أن يصدر أوامره إلى بقية المدافعين عن بغداد بالقاء سلاحهم والخروج فاستجاب الخليفة وخرجوا جميعاً وبالعراء فاحتاط جند المغلول بهم وقتلهم جميعاً فأطلق هولاكو جنوده لاستباحة المدينة لمدة سبعة أيام وأحرقوا الجامع ومسجد الكاظم (ع) فاصبح القتلى تلوك فوق الشوارع ثم أمر هولاكو بقتل الخليفة وأولاده ثم قتل أعمام واقارب الخليفة وبعض أعيان بغداد ثم بعد ذلك أعلن هولاكو أن من بقي حياً فهو من رعاياه حياً ويقدر عدد القتلى أكثر من مليون نسمة حسبما أورده الذهبي وبعد إعلان وقف القتال أمر هولاكو بدفن القتلى ورفع جثث الحيوانات من

الطرقات ففسد الهواء وانتشر الوباء وقبل ان يغادر هولاكو بغداد متوجهًا إلى همدان فوض حكم بغداد إلى الامير علي بهادر وأقر الوزير ابن العقumi في الوزارة وفخر الدين الدامغاني في الديوان ونظام الدين عبد المنعم في القضاء كما وزع المناصب الإدارية على بقية من يعرفهم ثم رحل هولاكو سنة ٦٥٦ هـ - حوالي ١٢٥٠ م وترك على بغداد قائدین من المغول مع ثلاثة الاف جندي.

والواضح ان الزحف المغولي قد توقف نهائياً بعد معركة عين جالوت سنة ١٢٦٠ م واصبحت مصر نقطة بالغة الاهمية والقوة في الدفاع عن الشرق الادنى لاسيما بعد ان تداعت امارات السلطنة الايوبيه في الشام . وبهذا تكون قد فرغنا من سرد موجز لتاريخ حروب العرب وال المسلمين نسأل الله تعالى في حاضرنا العون والمدد لأمتنا لما خلفه الاستعمار البغيض وأنذابه المرتزقة سابقاً وحالياً لمدينة بغداد وآخواتها من المدن العراقية من التخريب والدمار للإنسان والارض ما فاق ببربرية هولاكو لما فيها من الأوضاع الشاذة والامعقول بقضية العراق المستعصية من قبل السياسيين الذين هم أساس المشكل المتفاقم حول تخاذلهم وتنافسهم على المناصب وألوس الحصص من الكعكة النفطية وتركوا جسد الأمة المتعب والمثقل بالهموم بسلاكين اللصوص وقطاع الطرق والانتحاريين وال مجرمين من الأعراب لأحياء النزرة الفوضوية الخلاقة لتقسيم الوطن العراقي إلى ثلاث كيانات هزيلة ومتناحرة وربما إلى رابعة وخامسة باسم الربيع العربي ومنهم من ينتظر استفحال الازمات الداخلية وتنامي تطاول بعض رؤوس الكتل في زمن كثرت فيه ديدان وغربان الأرض وآرذل القوم تنهش الاجساد وال المقدسات. وما مر يوم و العراق ليس فيه دم يجري ومازال الدم العراقي يسفح برخص من دون أن يثير إهراقه حمية أولي الأمر وكأنه كتب على نسائنا شق الثياب ولبس السواد ولطم الخدود وعلى اطفالنا البؤس والبتم والفاقة والتخلف. أي بلد هذا الذي يصحو فيه الناس على مجررة ويغمضون أعينهم من الهلع وأي مقابر تلك التي تتراحم بها الأضداد فيلتقي الابناء والاحفاد والاجداد وكلهم ماتوا غيلة أو ذبحاً أو انتقاماً أو ثاراً.

جميع الديانات حرمت قتلبني البشر إلا بعض المشعوذين والظلاميين الذين يحسبون أنفسهم على أمة محمد (ص) فإلى متى سبقي مأكولين تفترسنا النطیحة والمتربدة وتبلغ بدمائنا الكلاب المتوجحة . ويعلم الجميع ان العراقي فاقه صبره صبر ايوب وما عاد لينتظر ما تأتي به رياح الشمال نتمنى جميعاً أن لا يظهر أبو رغال جديد بين بغداد واربيل لتوريط ابناء شعبنا الكردي والعربي لسویلات الحروب المدمرة بين ابناء الشعب الواحد ذات الاهداف المشتركة بالدين والارض والتاريخ ليجربوا ستراتيجية فتنة حرب الجمل مع من لا يفرق بين الناقة والجمل.

الفردوسی والشاهنامه

تعتبر الشاهنامه من أعظم الملاحم الإيرانية وواحدة من أهم الملاحم العالمية وتمثل كتاب الفرس القومي، نظمها وقدمها شعراً أبو القاسم الفردوسي^(١)، في القرن الرابع الهجري ويبلغ عدد أبياتها حوالي سنتين ألف بيت ويدور موضوعها حول الإمبراطورية الفارسية القديمة منذ الخليقة وحتى الفتح الإسلامي لإيران ولكي ينظم الفردوسي هذه الشاهنامه كان لابد له من توافر مجموعة من المصادر والكتب التي تقدم المادة المطلوبة لهذه الملحة، وعندما توافرت له الآثار والملاحم الفارسية علاوة على مصادر تاريخية إسلامية كتبت باللغة العربية صنفها مسلمون من الفرس أمثال الطبری والبخاری والشعالی وحمزة والأصفهانی والمسعودی وغيرهم من حول هذه الأفكار إلى هذه الملحة الشهيرة وعلى الرغم من شيوع هذه النظرة وانتشارها لدى البعض إلا ان الفردوسي أثبت خلال نظمه للشاهنامه كان واقعاً تحت تأثير المجتمع الإسلامي بكل ما فيه من قيم ومفاهيم ونظم وعلوم

(١) كان مولده في الربع الأول من القرن الرابع الهجري في قرية (باز) من قرى طوس بخراسان من أسرة تنتهي إلى طبقة تعرف باسم (الدهاقن) ، دراسات في الشاهنامه، طه ندا، الدار المصرية للطباعة ، الاسكندرية، ١٩٥٤، ص ٩-٨.

إسلامية مما جعله يعيد صياغة الصور الكلية لإيران قبل الإسلام من خلال منظور إسلامي شمل كافة الموضوعات والأفكار المطروحة وجاءت روایاته أقرب ما تكون إلى المصادر الإسلامية منها إلى الروایات الإيرانية القديمة وكأنه تمنى أن يكون لأجداده الفرس هذه الصور المثالیة التي استقى أسسها وأطّرها العامة من خلال المجتمع الإسلامي والعربي الذي عاش فيه وكان واحداً من أبنائه. ولما كان التأثير الإسلامي المفترض قد تجاوز مجرد التشابه بين بعض قصص الشاهنامه وقصص الأنبياء إلى سيطرة بعض الظواهر السياسية والاجتماعية الإسلامية على الفردوسي.

وكان الفردوسي كواحد من أبناء ذلك العصر وكان يمجّد العقل ويدعو لطلب العلم والمعرفة وهذه منظومته تبدأ بهذا الشطر الذي يقول فيه (بسم رب الروح والعقل)، ومن الروایات التاريخية في الشاهنامه دراسة مقارنة بينها وبين المؤثر التاريخي الإسلامي حيث يقال (إذا كان لإیران فی الشاهنامه علاقات عديدة ومتّوّعة مع الأمم والدول المجاورة، مثل توران والروم والصين والهند إلا ان العلاقات الإيرانية العربية في الشاهنامه لها طابعها الخاص والممیز، فالعرب وكما جاء في الشاهنامه هم أول الأجناس احتکاکاً بالإیرانيین وهم أيضاً الذين قضوا على الدولة الساسانية في إیران وأقاموا بها الدولة الإسلامية ويدرك الفردوسي ان جمشيد الملك البیشدادی حين استقامة له الدنيا بأسرها وأطاعته كافة المخلوقات كفر بالله وأدّعى الإللوهية وصار من المفسدين فكان ذلك سبباً في زوال ملکه وانتهاء أمره.

وقد انفض الإیرانيون من حول جمشيد وأسرعوا إلى الضحّاك الحاكم العربي يطلبون منه إنقاذهم من حکم جمشيد ويعرضون عليه حکم إیران. ويقول الفردوسي (خرج الجنّد من إیران واتجهوا صوب بلاد العرب وراح كافة فرسان إیران يبحثون عن ملک فقصدوا الضحّاك) وهناك قصة كبيرة حول ذلك سنذكرها لاحقاً.

ولد الفردوسی في القرن الرابع الهجري وهو القرن الذي ضعفت فيه الخلافة العباسية وشهد العالم الإسلامي خلاله اضطراباً سياسياً حاداً وانقسمت فيه الدولة الإسلامية الكبرى إلى دول صغيرة فصارت فارس والري وأصفهان والجليل في أيدي بني بویه، وكرمان في يد محمد بن الیاس والموصل وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر في أيدي بني حمدان وصارت مصر والشام في أيدي الأخشيد، والمغرب وأفريقيا في يد الفاطميين، والأندلس في يد الأمويين، وخراسان يحكمها الساسانيون. والاهواز وواسط والبصرة في يد البريديين واليمامة والبحرين تحت سلطة أبي طاهر القرمطي، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، وغزنه يحكم فيها الغزنيون ولم يبق في يد الخليفة إلا بغداد وأعمالها وبعض الإمارات الكردية في جبال شمال العراق (كرستان حالياً)^(١). مع اعتراف الحكام جميعاً بالسيادة العليا للدولة العباسية والسلطة الدينية للخليفة العباسی وسميت جميعاً مملكة الإسلام وقامت وحدة إسلامية لا تتقيد بالحدود السياسية الجديدة^(٢). وكان المسلم يستطيع أن يرحل في داخل حدود هذه المملكة في ظل دينه وتحت رايته، ويمكن القول إن القرن الرابع الهجري يمثل تبلور الثقافة الإسلامية وأزدهارها . وهكذا كان حظ العلم والعلماء في القرن الرابع الهجري بينما مرموقاً وقد أدى هذا الانقسام السياسي إلى إيجاد نوع من التناقض بين الدول الإسلامية حول تشجيع العلم والثقافة وكان كل قطر بياهي صاحبه بما لديه من العلماء والأدباء المفكرين، فأدباء الشام يزهون على أدباء العراق وعلماء مصر يجلون علماء بغداد. وشاهد الناس في ذلك

(١) تجارب الأمم، ابن مسکویه، ط القاهرة (١٩٨٣)، ج ٥، ص ٥٥٣. الكامل في التاریخ، ابن الإثیر، دار الكتاب العربي، ط ٢، بيروت ١٩٦٧، ج ٨، ص ٢٤١.

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متنز، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي، ط ٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة، ١٩٤٧.

العصر مساجلات ومنافسات بين العلماء والمفكرين في العديد من المدن والبلدان التي تميزت بقوة الحركات العلمية وجذبها إليها مشاهير العلماء والمفكرين مثل بغداد والبصرة والكوفة والري وأصفهان وطوس وبخارى وغزنه ودمشق وحلب ومصر وقرطبة وغيرها^(١).

وافرزال القرن الرابع الهجري كوكبة من العلماء في شتى فروع العلوم فلما نجد أمثالهم في عصر آخر. مثل إبراهيم المرزوقي والقدوري والطحاوي وابن سريج والماوردي وأبي بكر الجصاص في الفقه والدارقطني والنسيابوري وابن حيان وابن منده والبيهقي في الحديث وأبي علي الفارسي وأبن دريد والنحاس وأبن فارس والزجاج وأبن درستويه وأبن السراج والسيرافي والرمانى في النحو واللغة وأبي إسحاق والصابى والخوارزمى وجعفر البرمكى وبديع الزمان الهمذانى وعلى بن عبد العزيز الجرجانى وأبي هلال العسكرى وأبن العميد وأبن عباده والشريف المرتضى والقاضى والتوفى والروزنى والازهري صاحب الصحاح وأبي الفرج الأصفهانى والشريف الرضى فى اللغة والطبرى وأبن زولاف والشاشتى وأبي الحسن الاشعرى والكعبي والبلخى وأبي إسحاق الاسفراينى وأبي بكر بن فورك وأبي منصور الماثريدى وأبي ليث السمرقندى والقاضى عبد الجبار الهمذانى فى علم الكلام وأبي سليمان المنطقي وأبن بطلان ويحيى بن عدى وأبي زرعه وأبن

(١) وقد زار المقدسي هذه البلدان والعالم في القرن الرابع الهجري ووصفها وتحدث عما بها من مظاهر التقدم العلمي وسجل ذلك في كتابه المعروف باسم (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) ولمزيد من التفاصيل أنظر الكتاب المذكور لشمس الدين المقدسي (ت ٥٩١)، طبعة لندن ١٩٠٦م، ص ١١٣.

مسکویه وأبی بکر الرازی وأبین الحجاز والفارابی وأبین سینا والبیرونی فی الفلسفه
والحسین بن منصور الحلاج وأبی طالب المکی وغيرهم فی التصوف^(۱).

فطی سبیل المثال کان من أهم مظاہر ازدهار الثقافه والعلوم الاسلامیة انتشار
المکتبات والمدارس، فقد أنشأ العزیز بالله الفاطمی الذي بدء حکمه عام ۵۶۵ھ
مکتبة سمیت خزانة الكتب بلغ عددها ملیوناً وستمائة کتاب تم الاستیلاء علیها من
قبل صلاح الدین الایوبی وقد بلغ من حب العلماء المسلمين للكتب والمکتبات مبلغاً
یضرب به المثل، فقد قیل ان الجاحظ کان یؤجر دکاکین الوراقین ویبیت فیها
للنظر ویروی ان الجاحظ مات بسبب کتبه حيث کان یضعها كالحائط فسقطت
علیه وقتلته كما ورد فی تاریخ أبي الفداء وکان لدی الصاحب بن عباد المتوفی
۳۸۴ھ من الكتب ما یحمل علی (۴۰۰) بعیر وفہرس کتبه یقع فی عشر
مجلدات حتى انه اعتذر عن تولیه الوزارة من قبل السلطات نوح بن منصور
السامانی حسبما ورد فی الإرشاد والیاقوت الحموی وقد عاصر الفردوس الدولتین
السامانیة والغزنویة وكانت بخاری وسمرقند تحت حکم السامانیین وهی الملاذ
المفضل عند العلماء المسلمين الحریصین علی التمسک بدقاائق الشرع والسنۃ
حسبما ورد فی كتاب تاریخ البخاری ترجمة وتعليق احمد محمود الساداتی
(القاهرة) والمذکور فی كتاب الأثر الاسلامی فی الملھمة الإیرانیة للدکتور عبد
الحفیظ محمد إبراهیم حجاب ویقول الثعالبی عن البلاط السامانی فی بخاری كانت
بخاری فی الدولة السامانیة مثابة المجد وکعبه الملك ومحمی افراد الزمان ومطلع
نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر كما ورد فی یتیمة الدهر فی محاسن أهل
العصر لأبی منصور عبد الملك بن محمد الثعالبی، القاهرة، ۱۹۵۶م.

(۱) التفاصیل فی هؤلاء واسهاماتهم العلمیة أنظر ظهر الاسلام . احمد ابین ج/۱، ص ۲۲۱
ومابعدها، لندن ۱۹۵۰، ص ۱۷.

الفردوسي كان يمجد العقل ويدعو لطلب العلم والمعرفة وهذه منظومته تبدأ بهذا الشطر العربي يقول فيه (بسم رب الروح والعقل). وبعد ان ينتهي من حمد الله والثناء عليه نجده يفيض كثيراً في مدح العقل وبيان فضله وكذلك يحث على طلب العلم والمعرفة ومن أقواله:

١- العقل أفضـل من كل الأشيـاء التي منـحـها الله لـك ومـدـحـ العـقـلـ أـفـضـلـ طـرـقـ العـدـلـ.

٢- العـقـلـ تـاجـ الـمـلـوـكـ وـزـيـنـةـ الـعـظـمـاءـ.

٣- تـعـلـمـ وـاسـتـمـعـ إـلـىـ كـلـ عـلـمـ فـسـتـجـدـ الرـاحـةـ فـيـ الـعـرـفـةـ.

٤- فـلـاـ مـفـرـ منـ الـتـعـلـيمـ وـمـنـ يـقـولـ انـ الـعـالـمـ مـثـلـ الـجـاهـلـ وـالـفـرـدوـسـيـ فـضـلـاـ عـنـ تـمـكـنـهـ مـنـ الـلـغـةـ الـفـارـسـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ وـكـانـ عـلـىـ درـاـيـةـ بـالـلـغـتـيـنـ الـبـهـلـوـيـةـ وـالـعـرـبـيـةـ مـاـ مـكـنـهـ مـنـ الإـطـلـاعـ عـلـىـ الـعـدـدـ مـنـ الـمـصـنـفـاتـ بـتـالـكـ اللـغـاتـ.

٥- فـهـوـ يـقـولـ فـيـ الشـاهـنـامـهـ فـيـ تـقـسـيرـ لـقـبـ الـضـحـاكـ (بـيـورـاـسـبـ) اـنـ بـيـورـ فـيـ الـحـسـابـ الـفـارـسـيـ مـعـنـاهـ عـشـرـةـ اـلـفـ بـالـلـغـةـ الـدـرـيـهـ (الـفـارـسـيـةـ) وـيـقـولـ عـنـ دـجـلـةـ اـنـهـ تـسـمـيـ بـالـبـهـلـوـيـةـ (أـرـونـدـ) فـإـنـ كـنـتـ لـاـ تـعـرـفـ الـبـهـلـوـيـةـ فـسـمـهـ دـجـلـةـ بـالـعـرـبـيـةـ وـكـذـلـكـ يـذـكـرـ فـيـ الـمـقـدـمـةـ اـنـ صـاحـبـهـ الـذـيـ شـجـعـهـ عـلـىـ نـظـمـ الشـاهـنـامـهـ قـالـ لـهـ اـنـكـ فـصـيـحـ الـلـسـانـ وـشـابـ وـتـكـلـمـ الـبـهـلـوـيـةـ وـهـكـذـاـ كـانـ الـفـرـدوـسـيـ وـاسـعـ الـاـفـقـ غـزـيرـ الـتـقـافـةـ فـقـدـ أـطـلـعـ عـلـىـ تـارـیـخـ أـمـتـهـ وـغـيرـهـ مـنـ الـأـمـمـ.

استخلص من خلال ذلك مواضع كثيرة جعلته يؤمن بأن الحياة مليئة بالحكمة والموعظة والدنيا مليئة بالحكمة والعبرة، فلماذا يكون نصيحتنا دائماً الغفلة لذلك لا تخلو صفحة من صفحات الشاهنامه من كلمة او موعظة كان يسوقها الفردوسي

غالباً كمقدمات في بداية حديثه عن ملك من الملوك أو بطل من الأبطال أو حادثة من الأحداث وكذلك كثيراً مانجده يذيل حديثه بمجموعة من الأشعار يركز فيها على الدرس المستفاد . مما سبق عرضه من موضوعات وأحداث وفي مطلع الحديث عن قصة رستم وسهراب يقول الفردوسي عن الموت: (ان لحظة الموت كالنار المهولة لا تفرق بين شاب وعجوز). وبما ان المسألة هكذا فإنه لا ينبغي على الشاب أن يؤمن لهذه الدنيا ويفيض حياته لاهياً ويظن انه بمحامن من الموت ويمكن للإنسان ان يجد الراحة الكاملة في الإيمان التام والتسليم بقضاء الله وقدره والاستغراق في العبادة فلن ينفع المرء بعد الموت سوى الإسلام، ويقول الفردوسي: أربع صفات ان وجدت في شخص استراح من هم الدنيا ومشاكلها وعاش ينعم بالسرور حتى نهاية حياته وهذه الصفات الأربع هي المعدن أو الجوهر ثم العقل والأصل الطاهر العفيف والمهارة . ويقول الفردوسي: والأصل ان يكون الإنسان من صلب والده واللائق ان يتخد الابن عن نسل طاهر. ويقول: حين نعقد العزم لخوض طريق الطمع فان أمر دنياك يصبح طويلاً شاقاً شأنه كشجرة سرو معوجة في غابة يصبح المصباح المضيء مظلماً أمامه. وتمتع بما لديك ولا تبحث عن المزيد أو كن قائعاً فإن الطمع يرقيق ويخشش الحياة ويجدر البحث عن العلاء حتى ولو كان من بين زفرات الأفاسين. وكل من يتخلص عن طريق الرجلة والمروءة لا تعدد آدمياً وادخله في زمرة الشياطين.

ولقد سبق الفردوسي عمر الخيام في كل ما قاله من آراء فلسفية وما طرحته تساؤلات حول الحياة ومغزى مجيء الإنسان إلى هذا الوجود وما الذي سيكون عليه المصير بعد الموت والدنيا لا تعرف الأمان فهي دائمة التقلب لم تكن شاهنامه الفردوسي أول الآثار والملاحم في تاريخ الأدب الفارسي، فقد كان للفرس

قبل الفردوسی وقبل ظهور الاسلام قصص وأساطیر وملاحم كما ذکر ذلك محمد عبد السلام کفافی فی الادب المقارن ومنها:

١- الاوستا (الابستاق)^(١).

بعد الاوستا أو الابستاق اول كتاب يضم أطرافاً من اساطیر الفرس القدماء يذكر الملوك الفرس محاطين بأساطير دينية ويدکر المسعودي ان الاوستا كتب بالذهب في اثني عشر الف مجلداً.

٢- يادکارزري (اینکارزریران)

بعد اول كتاب بعد الابستاق يضم جانباً من الروایات الايرانية الهزيلة ويعتبر أفضل الاثار الباقية عن البهلوية ويدور الكتاب حول الحروب التي دارت بين الايرانيين والتورانيين بسبب اعتناق الايرانيين دین زرادشت وقد دون اواخر القرن الخامس الميلادي.

(١) الاوستا هو الكتاب المقدس عند الزرداشتین معربة ابستاق ويضم الاوستاخمسة اجزاء، القاموس الفريد، احمد النجفي، طهران، ج ١، ص ١٧١.

الخاتمة

تعتبر الامة الفارسية من أقدم أمم العالم وأكثرها قوة وفتوحات وهم من الشعوب الآرية وقد نزلوا بلاد ایران منذ أقدم الأزمنة وكان لهم الاستعداد الفكري والذهني لأسباب التمدن والقوة والتقدم فأنشأوا الدول ووضعوا الأحكام وساسوا الأمم وبرز منهم ملوك وقادة مشهورين مثل کورش ودارا الأکبر وكسری ونروروان وغيرهم ونبغ منهم رجال وأعلام دین وأدب وعلم دونها التاريخ العربي والاسلامي في الفلسفة والطب والنحو والأدب والرياضيات وترجموا العلوم المختلفة إلى العربية وكانوا من أقدم من خالط العرب من الأمم الغربية وأقدم من ساد على وادي الرافدين قبل الإسلام وبعده ومن أجل ذلك كانت بين الأمتين العربية والفارسية منافسة شديدة وخاصة في أيام الدولة الساسانية لظلم ملوكهم للقبائل العربية فبقاء لهم فرسان العرب بالغارات على مدن الفرس للانتقام منهم إلا انهم كانوا يستخدمون العرب في دواوينهم للكتابة والترجمة وكان أكثر ملوكهم يتقنون العربية وبعظامهم ينظم الشعر العربي ومنهم من قرب العرب وأنخذ منهم ملوكاً وعضاً ونصيراً كملوك الحيرة وغيرهم.

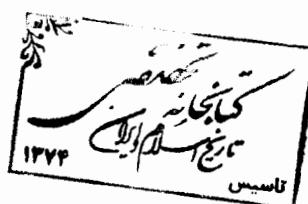
ولم يشترکوا مع العرب في دین ومعتقد واحد كما لم يجبروا العرب وغيرهم طيلة حکمهم على عبادة ما يعبدون حيث كان الفرس يعبدون الشمس والقمر والنار وأخيراً دخلوا في دین زرادشت قبل المیلاد وضلوا على المجوسية حتى جاء الإسلام لبلادهم بعد الفتوحات الإسلامية في زمان الخلفاء الرashدين فاعتنقوه كبقية الأقوام الغير عربية وتركوا معتقداتهم ودياناتهم السابقة مثلاً كان العرب وغيرهم قبل الإسلام يعبدون الحجارة والأوثان ودام حکم الفرس للعرب ما يقارب ۱۱۴۰ سنة قبل المیلاد وبعده.

حسبما ورد في المصادر التاريخية و مراجع التحقيق وفي سنة ٣٣١ ق.م سقط عرش الامبراطورية الفارسية على يد القائد الشهير بطل مقدونية الاسكندر الأكبر المعروف بذى القرنين في واقعة (اربيلا)، محافظة اربيل حالياً ثم سقوط بابل وكل ما كان ما بين وادي الرافدين (العراق) وبهذا الزحف اليوناني حطم الاسكندر اكبر وأعظم دولة كانت في ذلك العصر ودام حكم الدولة اليونانية (الاسكندر والسلوقيون) في وادي الرافدين العراق حوالي ٢٠٥ سنة قبل الميلاد. وكان للدولة الفارسية ثقلها ومكانتها العلمية والدينية والأدبية وكانت مركز استقطاب العديد من العلماء الذين رحلوا منها أو جاءوا إليها للتدريس أو للدراسة فأفادوا وأستفادوا من الدين الإسلامي ورحم الله ابن خلدون حينما قال في مقدمته (ان الدول لها أعمار طبيعية كأعمار الأشخاص)

والحمد لله رب العالمين..

المؤلف

شاكر مجيد الشطري



المحتويات

الصفحة	الموضوع	ت
١	١. المقدمة.....	
٣	٢. توطئة.....	
٤	٣. تمہید.....	
٥	٤. تاریخ الفرس القدیم.....	
٨	٥. الدولة العیلامیة.....	
١١	٦. الدولة الکیانیة.....	
١٣	٧. الدولة الفارسیة البرتیة.....	
١٧	٨. الدولة الفارسیة الرابعة.....	
٢٨	٩. الدولة الفارسیة الخامسة.....	
٣٢	١٠. الدولة الصفویة الاولی	
٣٦	١١. الدولة الصفویة الثانية	
٣٩	١٢. الدولة الزننیة الثامنة.....	
٤٢	١٣. جدول مدة حکم الفرس فی العراق.....	
٤٤	١٤. مدة حکم غير الفرس فی العراق.....	
٤٥	١٥. ثورة البابلینیین الاولی ضد الفرس.....	
٤٧	١٦. ثورة البابلینیین الثانية.....	
٤٩	١٧. فیروز شابور.....	
٥٦	١٨. العصور التاریخیة فی العراق القدیم.....	
٥٧	١٩. تاریخ الامبراطوریة الفارسیة القدیمة.....	
٥٨	٢٠. خلاصة الاستنتاجات لمدینة فیروز شابور (الأنبار).....	

٦٢	٢١ . جدول مدينة الأنبار.....
٦٣	٢٢ . اسماء مدينة الأنبار عند الأقوام.....
٦٤	٢٣ . معارك العرب المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين.....
٩٢	٢٤ . الحياة الفكرية عند الفرس.....
٩٦.....	٢٥ . حركة إحياء اللغة والآداب الفارسية.....
٩٩.....	٢٦ . أصل البرتیون.....
١٠٢.....	٢٧ . دور الأمراء البویهیین في الحركة الفكریة.....
١١١.....	٢٨ . علماء خراسان في بغداد.....
١١٥.....	٢٩ . قالوا في الدولة البویهیة.....
١١٨.....	٣٠ . حکم الدولة اليونانية في العراق.....
١٢٠.....	٣١ . قائمة باسماء العلماء في فارس.....
١٢٦.....	٣٢ . قصة الملك يزدجرد.....
١٢٨.....	٣٣ . اسلام الدیلم.....
١٣٠.....	٣٤ . جغرافية بلاد الفرس.....
١٣٦.....	٣٥ . معركة نهاوند.....
١٥٢	٣٦ . أحداث في التاريخ.....
١٥٦	٣٧ . الحروب المغولية وسقوط بغداد.....
١٦٤	٣٨ . ابن العلقمي وسقوط بغداد.....
١٦٧	٣٩ . نتائج سقوط بغداد.....
١٦٩	٤٠ . حملة المغول على الشام.....
١٧٣	٤١ . حماة وحمص والمعرة.....
١٧٤	٤٢ . حملة المغول على مصر.....

١٧٧	معرکة عین جالوت.....	.٤٣
١٧٩	نتائج عین جالوت.....	.٤٤
١٨٥	الفردوسي والشاہنامه.....	.٤٥
١٩٣	الخاتمة.....	.٤٦
١٩٥	المحتويات.....	.٤٧
١٩٨	المصادر والمراجع٤٨

المصادر والمراجع

- ١ مقدمة ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن ابن خلدون
- ٢ معجم البلدان. ياقوت الحموي.
- ٣ خلاصة تاريخ العراق للأب أنستاس
- ٤ التمدن الإسلامي جورجي زيدان
- ٥ تلخيص التاريخ العثماني تعریب شاکر أفندي
- ٦ تاريخ البصرة للنبهاني
- ٧ الكامل لأبن الأثير
- ٨ تاريخ بابل وآشور لرئيس أساقفة سردادي شیر
- ٩ التاريخ العام جميل نخلة
- ١٠ نزهة المشتاق يوسف غنیمة
- ١١ طبقات الأمم لأبن صاعد
- ١٢ الأخبار الطوال للدينوري
- ١٣ معارك القبائل العربية في الفتوحات الإسلامية شاکر مجید الشطري
- ١٤ تاريخ الدولة اليونانية والفارسية في العراق علي ظريف الاعظمي
- ١٥ البویهین فی فارس د. علي حسن غضبان
- ١٦ معارك العرب الحاسمة صبحي عبد الحميد

تم بعون الله